

كافي رينتينبرينك

عزيرزي القاري

الراحة والفرح
اللذان تبعهما الكتب
(متعة القراءة في زمن التشتت الذهني)

ترجمة
سمر محمود الشيشكلي



عزيزي القارئ

الراحة والفرح

اللذان تبعثهما الكتب

(متعة القراءة في زمن التشتيت الذهني)





وزارة الثقافة
Ministry of Culture
دولة قطر • State of Qatar

كتاب "عزيزي القارئ الراحة والفرح اللذان تبعثهما الكتب" (Dear Reader The Comfort and Joy of Books)

صادر عن: بيكادور و ماكميلان (Picador – Macmillan)
صدرت النسخة الأصلية (باللغة الإنجليزية) عام 2020
تأليف: كاثيري رينتزينبرينك (Cathy Rentzenbrink)

الطبعة الأولى "للسنسخة المترجمة" 2024

الناشر: وزارة الثقافة
إدارة الإصدارات والترجمة - قسم الترجمة
البريد الإلكتروني: rs@moc.gov.qa
هاتف رقم: 44022222
الدوحة - قطر

ترجمة: سمر حمود الشيشكلي
مراجعة: ظافر آيدن دركوشي
التدقيق اللغوي: محمد عبد اللطيف
تصميم الغلاف: أحمد غزالة
الإخراج الفني: حسام أنور

رقم الإيداع في دار الكتب القطرية:
الترقيم الدولي (ردمك):
مطابع الدوحة الحديثة المحدودة

جميع حقوق الترجمة للغة العربية محفوظة لوزارة الثقافة ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر .
جميع الحقوق الأصلية للكتاب بالنسخة الإنجليزية.

"First published 2020 by Picador, an imprint of Pan Macmillan, a division of Macmillan Publishers International Limited"

تقديم "كتاب متعة القراءة"

انطلاقاً من نهجها الثابت والواضح في دعم الكُتّاب والأدباء والمُترجمين، ودعم الأعمال الجيدة، وتشجيع المُتميّزين وإبرازهم على الساحة لتعم الفائدة على الفرد والمجتمع، وتكون القراءة أسلوب حياة تمّ انتقاء كتاب "متعة القراءة" ليكون أحد الكُتب التي تتبناها وزارة الثقافة طباعةً ونشرًا، وكل ما يتعلّق بحقوق النشر مساهمةً منها في الارتقاء بالثقافة وإعلاء قيمة القراءة وجدواها على الفرد والمُجتمع.

يتناول الكتاب مجموعةً من القصص تُروى على لسان: كاثي رينتينبرينك التي تحاول جاهدةً إظهار المتعة والفائدة المرجوة من القراءة، وضرورة الاهتمام بها، فالقراءة شريان حياة، وكما جاء على لسانها بإيجاز "الحياة تؤلم والكُتب تداوي".

كُتِبَ أُخْرَى بِقَلَمٍ: كَاتِبِي رِيَنْتَزِينْبَرِينَك

كُتِبَ لِلْأَلَمِ الْقَلْبُ

مَشْهَدُ الْحُبِّ الْآخِرِ



كاثي رينتينبرينك
عززي القارئ
الراحة والفرح
اللذان تبعثهما الكتب

”علينا أن نعيش، بغض النظر عن عدد الأفلاك التي تسقط“

دي إتش لورانس

”ليست مُهمّتي في الحياة مجرد البقاء على قيد الحياة، ولكن
مُهمّتي أن أزهو؛ وعليّ أن أقوم بذلك بشيءٍ من الشغف والحنو،
مع بعض المرح وبعض الأناقة“

مايا أنجلو



عزيزي القارئ

أنا مستلقية على أرضية منزلي الجديد في كورنوال محاطةً بالصناديق.

من المُفترض أن أفرغ أمتعتي، لكن ظهري كان يؤلمني؛ ثم تذكرت بعض النصائح التي قيلت لي ذات مرّة، بأن أستلقي على الأرض مع ثني ركبتيّ ووضع كتاب تحت رأسي كان الكتاب عبارة عن طبعة زرقاء كبيرة بغلاف مقوّى، تحتوي على الروايات الكورنوشية⁽¹⁾ الأربع لدافني دو مورييه. رواية "ريبیکا" هي المُفضّلة لديّ. تخطر في بالي القصة: الفتاة الخجولة التي لم نعرف اسمها أبدًا، والتي تعمل مرافقةً لامرأة حادة المزاج، مُتطلّبة، من جنوب فرنسا، عندما تلتقي بـ "ماكس دي وينتر"، الذي ترّمل مؤخرًا، وتتزوج. يبلغ عُمره ضعف عُمرها، رجل وافر الخبرة والثروة. تعود معه إلى "ماندرلي"، منزله الجميل المُطل على البحر، حيث تمشي بين نباتات (الأزالية) في حديقته، يرافقها شعور القلق من إحساسها بأنها أقل إذا ما قُورنت بزوجة ماكس المُتوفاة، ريبیکا. حال الفتاة تشبه حالي، إنها قلقة بشأن مظهرها، شعرها الفوضوي، وعدم وجود ملابس مناسبة لها.

ولديها أيضًا عادة قضم الأظافر مثلي. أرفع يديّ أمام ناظري فأرى الجلد حول إبهامي مسحوجًا ومحمّرًا.

(1) الكورنوشية: هي لغة جنوب غرب بريطانيا، من عائلة اللغات السلتيّة.

- كم مرّة قرأت (ريبيكا)؟ عشر مرات؟ عشرين مرة؟

- لا أتذكّر المرّة الأولى التي قرأتها فيها، ولكني، في ذاك الوقت، كنت أصغر من فتاة الرواية "ريبيكا"، أما الآن فأنا أكبر من "ماكس دي وينتر" نفسه.

اليوم، أشعر بثقل سنوات العمر. أنا متعبة ومرهقة من ضغوط التنقل. الأمر الصحيح أن أعود إلى كورنوال، وأكون قريبة من والدي.

أشعر بجاذبية إغراء الطبيعة، وبالرغبة في أن استبدل حالة احتجازي اليومي في زحام المرور، بالمشي بمحاذاة شاطئ البحر. أريد أن تكون لي حديقة، وأن أقضي الوقت في زراعتها.

لكن كل ما فعلته، حتى الآن، في أثناء تفريغ الصناديق، هو التحديق في هاتفي، أتابع سلسلة البرامج الدرامية السياسية المتواصلة. ولو كنت أقرأ رواية، لكان من الممكن أن أجدها ممتعة، حتى لو كانت غير واقعية، وسيكون الأمر مبهجاً لو كانت ساخرة. أعلم أنه لا يفيدني أن أكون قريبة جداً من هذه العبثية، وأن أواجه، باستمرار، بأدلة على حماقة بعض الناس وغرورهم. أنا أحتاج إلى إيجاد طريقة للخروج من دائرة أشياء لا أستطيع السيطرة عليها.

وعندما أكون مستلقية هناك، محاطة بالصناديق، أبحث عن الأرفف نصف الممتلئة، لطالما وجدت الإجابات في الكتب التي كانت تنتقل معي من مكان إلى آخر. سأكون طبيبة نفسي وأصف لي أفضل دواء؛ مقرر برنامج إعادة القراءة. سأقوم بوضع كُتبي الأعلى قيمة في كومة، وأعيد قراءتها، وسأشعر بالارتياح، لا مع كل كتاب منفردٍ فحسب، بل مع اطمئناني

لمعرفة أن هناك الكثير من الكتب الأخرى تنتظرنى لمقبل الأيام أيضًا.
شيء يتغيّر في جسدي. أشعر بتحنُّن بالفعل لمجرد التفكير في
إطفاء هاتفي وقضاء أمسياتي مسترخية مع كتابٍ جيد؛ وهذا ما كنت
أفعله دائمًا.

عندما تقسو الحياة الواقعية بوحشية شديدة، أهرب إلى عوالم خيالية
وأسير على دروب معروفة بالنسبة لي.. عندما أشعر على هذا النحو، لا
أتوق إلى كتابٍ جديد، لكنني أتوجّه للبحث عن العزاء فيما أَلْفُتُهُ من
الكتب التي قرأتها من قبل.

من خلال إعادة مواجهة شخصياتي الخيالية المُفضَّلة، يمكنني معاودة
التواصل مع ذواتي التي تنتمي إلى الماضي، والخروج بشعور يكون على
أقل درجة من التشتت. قامت القراءة ببناء داخلي، وعندها القدرة على لَمِّ
شئاتي مرّةً أخرى.

أندحرج على جانبٍ واحد، ثم أنهض. من أين أبدأ؟ التقطت الغلاف
الأزرق الكبير بينما كنت أفكّر في خياراتي. أشعر أن (ريبيكا) تناديني بوعود
بالسحر والغموض، ولكن، بعد ذلك، يلفت نظري مجلّد صغير على الرف
العلوي.

كانت محاولاتي الأولى في ترتيب الرفوف ترتيبًا زمنيًا؛ لقد قمت
بتنظيم كتبي بحسب العمر الذي قرأت كلّ منها فيه لأول مرّة.. سأفعل
ذلك. سأبدأ من البداية. أصل إلى الأعلى، ثم تبدأ رحلتي.



الحلم بنارنيا

حلمت الليلة الماضية بأنني ذهبت إلى (نارنيا) مرّة أخرى. وقفت تحت عمود الإنارة، وشعرت بالثلج ينسحق تحت قدمي، وارتعشت رغم دفء معطف الفرو. لم أكن أعرف ما إذا كنت قد وصلت في أوقات سعيدة أم تعيسة. هل كان ذاك شتاءً عاديًا، أم أنه كان حقبةً لا نهاية لها للساحرة البيضاء؟ هل سأكون شجاعاً بما فيه الكفاية لمواجهة التحديات المُقبلّة، أم أنني سأستسلم لإغراء الحلوى التركية السحرية؟

لا أعرف كم كان عُمرِي في الحلم، وما إذا كنت المرأة التي أنا عليها الآن، أم الفتاة التي دخلت خزانة الملابس، عندما كانت طفلة. لقد كنت أحلم بنارنيا طوال حياتي تقريبًا.

من أين بدأت؟ كانت القراءة، دائمًا، مصدرًا كبيرًا للراحة والمُتعة والفرح والمعرفة. إنه الجانب المحوري في هُويّتي؛ أَصَدِّقُ ما يمكن أن أقوله عن نفسي هو: إنني "قارئة". خلال فترة نشأتي، كنت أَفْضِلُ القراءة على الانخراط في الحياة الواقعية. وفي أواخر العشرينات من عُمرِي، كنت ضائعةً وحزينة، ولكنني وجدت ما يعزيني عندما حصلت على وظيفة في مكتبة، لهوت لفترةٍ وجيزة، عبر الإنترنت، فوصفت نفسي بـ "دودة الكتب اللطيفة".

عندما كنت حاملًا بابني (مات)، كُنْتُ أربُطُ على بطني وأحلم بالكتب التي سنقرؤها معًا. إنّ أول ما أقوم به، في أي مكانٍ جديد، هو البحث فيه

عن المكتبات ومحلات بيع الكتب. وعندما أقوم بتكوين صداقة، أتساءل: ماذا يمكن أن يكون على رفوف مكتبة هذه الصديقة؟

تلقيت كتابي الأول هديةً من جدتي عندما كان عُمرِي بضعة أشهرٍ فحسب. كانت الصفحاتُ مصنوعةً من القماش، وكان موضوع محتواها عن شاطئ البحر. أخبرتني والدتي أنني كنت أمضغها لساعات، وأحدّق في الحروف كما لو أنني عرفت ما ستكون عليه أهمية الكلمات بالنسبة لي مستقبلاً. كنت دائماً بحالةٍ متيقظةٍ فيما يتعلّق بالكتب؛ لم تكن أمّي تستطيع أن تقرأ لي قبل النوم، لأنني كنت أشعر بحمايمٍ متزايدٍ مع استمرار قراءة القصة. لقد أيقظتني القراءة بدلاً من أن تهدئني.

لا أتذكّر كيف تعلّمت القراءة. يبدو الأمر وكأنه شيء تمّ بفعل السحر أكثر من أنه كان مهارةً عليّ اكتسابها.

”ماذا سأفعل بهذه الفتاة الصغيرة؟“ تساءلت جدتي، عزّابتي، وهي تنكّئ على سريري المحمول.

”أعرف ما سأفعله! سأجعلها قارئة“. وهكذا لوّحت بعصاها وحسّمت مصيري، وأعطتني هديةً أضاءت أيامي، ووسّعت آفاقي، ورافقتني في أحلك الساعات.

القصص الأولى التي أتذكّرها لم تكن في الكتب، بل هي قصص غناها لي والدي. لقد كان يتيمًا هرب إلى البحر من أيرلندا عندما كان في الخامسة عشرة من عمره. التقى بوالدتي عندما رست سفينته في (فالماوث) بعد ثلاث سنوات. لقد تبادلا النظرات في مكتب الجمارك على رصيف الميناء، وكان ما كان.

وبعد ذلك بأربع سنوات، جئت إلى العالم، ومن ثمّ وُلِدَ أخي ماتي.

راح أبي يعمل في الأراضي الجافة حتى نتّمكّن من أن نكون معه، وكنا نعيش في مقطورة لنتمكّن من التنقل معه في جميع أنحاء البلاد، حيث كان يقوم بمختلف الأعمال الشاقة⁽¹⁾ بما فيها البناء والحفر. لقد كان ذلك قبل ظهور أحزمة الأمان وأجهزة الراديو في السيارة بوقتٍ لا بأس به، لذلك كنت أنا وماتي نتجوّل بحريّة ودون ربط أحزمة الأمان في المقعد الخلفي لسيارة اللاند روفر، بينما كان أبي يغني عن المُتمردين الأيرلنديين المُتجولين الشجعان. كان الرجال في أغانيه يتنقلون دائماً، وغالبًا ما يعملون بجد ويتعرّضون للخيانة من قبل النساء.

في بعض الأحيان، كانوا يقاتلون من أجل أيرلندا، ويعاملون معاملّة سيئة من قبل البريطانيين.

وكنت دائماً أرجوه أن يغني المزيد منها، وكنت أحب أن أغني معه.

عندما اقتربنا من سنّ المدرسة، صار أبي عاملاً في منجم قصدير، حتى نتّمكّن من الاستقرار في المكان نفسه.

عُدنا إلى (كورنوال) وعشنا في كوخ في (لانر) على قمة التل. كانت أمّي تدرّس في جامعة تعليم مفتوح. كانت تقول لنا، أنا وماتي، إننا إذا سمحنا لها بالدراسة لمدة ساعة فسوف تقرأ لنا فصلاً من كتاب "الأسد

(1) هناك تعريف أكاديمي لذلك حدده عالم الاجتماع إيفرت هيوز (1958) في الأصل الوظيفة "الشاقة" بأنها الوظيفة التي تكون (1) مشوهة جسديًا، أو (2) اجتماعيًا، أو (3) أخلاقيًا، بقدر ما يكون لها تأثير الوصمة السلبية على العامل الذي يشغل الوظيفة.

والساحرة، وخزانة الملابس“. مرَّ الوقتُ ببطءٍ شديدٍ بينما كنا ننتظر نقلنا إلى (نارنيا). ذات مرّة كان هناك أربعة أطفال يُدعون (بيتر، وسوزان، وإدموند، ولوسي)، تمَّ إجلاؤهم من لندن خلال الغارة، للعيش مع أستاذ عجوز، في منزل غامض مليء بالأسرار، حتى هو لم يكن يعرف عن هذه الأسرار أي شيء.

في أحد الأيام الماطرة، كانت لوسي تحيّد لاستكشاف داخل خزانة ملابس كبيرة مليئة بمعاطف الفرو. تدخل فتجد سكة أخرى من المعاطف. تعتقد أنّ خزانة الملابس هذه هائلة، كان هناك شيء ينسحق تحت قدميها، (هل هو النفتالين؟) ^(١) لا، إنه الثلج!

توجد أشجار وعمود إنارة. تلتقي لوسي بحيوان يدعى السيد تومونس وله أرجل ماعز، ولكنه كان على شكل رجل، من خصره وإلى الأعلى. عندما تشرح لوسي كيف وصلت إلى هناك، يعتقد السيد تومونس أنها أتت من مدينة (”وور دروب“ المشرقة) في أرض (سبير أوم) البعيدة. ويقول إنه لو اجتهد على الجغرافيا أكثر عندما كان صغيراً، لعلم بشأن تلك البلاد الغريبة.

وجدت لوسي طريقها إلى نارنيا، وهكذا بدأت المغامرات التي ستشاهدها، ينضم بيتر وسوزان وإدموند إلى الأسد أصلاً للانتصار على (الساحرة البيضاء) وإعادة الربيع والسعادة إلى هذه الأراضي المتجمّدة.

(١) النفتالين مادة توضع في أماكن تخزين الملابس والأثاث المنزلي لمنع غزوها بحشرة العث.

نُشرت رواية الأسد والساحرة وخزانة الملابس في عام 1950. تكتسب أوصاف الطعام فيها بريقًا إضافيًا عندما تفكّر فيها على خلفية التقشف الذي أعقب الحرب.

يعطي السيد تومنوس لوسي بيضة مسلوقة بُنيّة لوقت الشاي، وسردينًا على الخبز المحمص، ثم كعكة مرشوشة بالسكر.

عندما تعود لوسي إلى "نارنيا" مع الأطفال الآخرين، يقوم السيد بيفر بقلي سمك وبطاطس، وتزيد السيدة بيفر على ذلك بلفافة مربى البرتقال اللزج الرائعة. لم ينتهِ تفنّين الحلويات حتى عام 1953. فَمَنْ مَثًا لَنْ يفعل أي شيء تقريبًا للحصول على الحلوى التركية بشكلٍ غير محدود، ومشروب رغوي دافئ يُقدّم في كوب مرصّع بالجواهر؟

ذكرياتي المُبَكِّرة عبارة عن ومضات، تشبه الحلم في الطريقة التي تبدأ بها وتتوقف مع القليل من المنطق. وهي تنطوي -على الأغلب- إما على ذكريات القراءة أو ذكريات الشعور بالخزي، وفي بعض الأحيان الاثنتين معًا. في مدرستي الأولى في (لانر)، معلمتي اللطيفة كانت سعيدة بمدى قدرتي على القراءة والكتابة. لقد أرسلتني لأقرأ إلى المعلمة في الصف أعلاه، وكان أكثر من اللازم؛ وأنا طفلة صغيرة، لم تكن المعلمة، بل الأطفال الآخرون هم الذين كانوا يراقبونني. نظرت فرأيت أنني بللت نفسي هذه هي الصورة التي مازلت أراها في ذهني. عدت إلى المنزل حاملةً ملابسِي المُبللة في كيس تسوّق مرتدية سروالاً احتياطيًا من صندوق في مكتب المدرسة. غسلتها أمي وجعلتني آخذها معي لأعيدها إلى المدرسة، فكان

الأمرُ مخجلًا بنفس الدرجة التي كان عليها عندما بللت نفسي أول مرة. كنت أعيدها إلى المنزل كل يوم وأتظاهر بأنني نسيت تسليمها.

عندما أغلقت مناجم القصدير، انتقلنا من كورنوال إلى يوركشاير حتى يتمكن أبي من الحصول على وظيفة حفر الأعمدة الرأسية⁽¹⁾ في حقل الفحم (سيلبي). كان يعمل في مكانٍ يُدعى (ستيلنج فليت)، ولم يتمكن أبدًا من إزالة غبار الفحم عن عينيه بشكلٍ كامل، فكان يبدو دائمًا وكأنه يضع على رموشه المسكارة.

كنت في الخامسة من عمري وكنت متحمسةً لاحتمال تكوين صداقات جديدة، لكن الأطفال في المدرسة كانوا يضايقونني لامتلاكي صوتًا فخمًا، والذي لا بد أنه كان بسبب الطريقة التي بدت لهم بها لهجتي نصف الأيرلندية ونصف الكورنوشية. لقد تعوّدت أن أدلل وأتلقى الإعجاب على قراءتي، لكن معلمتي الجديدة، السيدة سي، لم تصدّق أنه كان بإمكانني قراءة الكتب التي قلت إنني أملكها، وجعلتني أبدأ خطة القراءة مرةً أخرى من البداية.

لم يكن هذا بحد ذاته مشكلة، لأنني أحببت إعادة القراءة، لكنها لم تكن لتسمح لي بتخطيها، لذلك كنت عالقةً في النظر إلى الصفحات نفسها التي تحتوي على أحرف كبيرة وصور. كنت أشعر بالملل فأُسْرِح نظري عبر النافذة، فتوبخني لأنني لم أهتم. كنت في خوفٍ مستمر من إشارة

(1) حفر الأعمدة هو عمل يرتبط عادةً بصناعات البناء أو التعدين. يتضمن عملية حفر أنفاق عمودية أو شبه عمودية، تُعرف بالأعمدة، في الأرض للوصول إلى الموارد الجوفية مثل المعادن أو الفحم أو النفط، أو لتوفير الوصول إلى البنية التحتية مثل أنظمة المياه أو التهوية أو النقل.

غضبها بسبب إعادتي لأقلام التلوين إلى المكان الخطأ، أو بسبب تساقط قطرات من الطلاء على الأرض، أو عدم القدرة على إخفاء الحليب الذي بقي في الشمس طوال الصباح. كان شعر السيدة "ج" أبيض أجعد يشبه كرات من الصوف القطني. كانت لديها فتحتا أنف كبيرتان لدرجة أنني كنت أحاول ألا أنظر إليها ووجهها يتدلى فوق رأسي. كانت تحب أن تكرر عبارة "من يمد يده بالسؤال لا يحصل على شيء".

في أحد الأيام، كان مع أحد الأطفال حقيبة ضخمة مليئة بمكعبات الأناس، تم تهريبها إلى المدرسة عبر شقيق أكبر له، وتم تسليمها في أثناء وقت اللعب. كنت أتوق بشدة للحصول على واحدة منها. أنا أعشق الحلويات المطبوخة. كنا نشترها بالأرباع من متجر القرية، وكانت تدوم لفترة طويلة إذا ما قمت بمضغها، ولكنني كنت أحب أن أطحنها بأسناني قليلاً. لقد تذوّقت قبل ذلك قطرات الكمثرى ومكعبات الكولا، ولكن لم أجرب الأناس من قبل. كنت أفكر بمقولة "الذي يمد يده بالسؤال لا يحصل على شيء"، كنت أراقب الصخب والجلبة حول حامل الحقيبة، الذي كان يستمتع بوقته تحت الشمس، ويبتسم وهو يفكر ملياً بمن سيفضل منحه قطعاً من الأناس. كنت أنتظر بشغف، حاولت أن أخفي يأسني. كاد لساني يشعر، تقريباً، بلمس المكعب في فمي. ثم، فرغت الحقيبة. وتفرّق الحشد. بقيت غير راضية، ولم يعبأ أحد بمشاعري، ولم يكن أحد يهتم بي. "ليس صحيحاً"، فكرت، "أن السائلين لا يحصلون"، وعلى الرغم من ذلك ما زلت غير قادرة تماماً على أن أتقدم بنفسني بأي طريقة. ما زلت أفشل عدم الحصول على مكعب أناس، على أن أعرض كرامتي للهدر عندما أطلب ويُرفض طلبي.

عندما ترفّعت إلى الصف الأعلى في العام التالي، كانت المعلمة، السيدة “ف”، قد خفّت حدتها، رغم أنها ظلّت حريصة على ألا أغادر مكاني. كانت لدينا فترات من القراءة الحرّة، وكانت هناك سلسلة أحببتها، عن القراصنة. أنهيت قراءة إحداها بسرعة وذهبت إلى العربية للحصول على أخرى. لكن السيدة “ف” أمرتني: “ارجعي إلى مقعدك”، “لا يمكن أن تكوني قد أنهيت هذا الكتاب بالفعل”. الجميع كان يحدّق بي ويضحك.

قرأتُ نسخًا مختصرة من رواية “توقعات عظيمة” و”قصّة مدينتين” كانت في تلك العربية. لم أكن أعلم أنها مختصرة، لكن المفاجأة كانت بعد بضع سنوات عندما أدركت أنّ معظم أعمال “ديكنز” طويلة ومملة. لم أتغلّب على الأمر مطلقًا لم أتمكّن تمامًا من التعامل مع أثر تلك التجربة الأولى. ولم أتمكّن من استعادة شعوري بموجة الإثارة التي شعرت بها تجاه “ديكنز” عند تعرّفي إلى أعماله للمرّة الأولى. لم أكن ماهرةً في كل شيء بأيّ حالٍ من الأحوال. لم يكن خطّ يدي أنيقًا مقارنةً بالفتيات الأخريات، ولم تكن لديّ أية براعة في الفنّ أو الصناعة اليدويّة، وكان ينتهي الأمر بلوحاتي أن تكون مجرد لطخ. كانت الحسابات معقّدة بالنسبة لي.

لقد لعبنا هذه اللعبة البشعة، “فيز بز”، حول مضاعفات الرقم خمسة وثلاثة. بدأ الجميع بالوقوف، لكن كان عليك الجلوس عندما تتركب خطأ، وهو ما كنت دائماً أفعله على الفور. لم أكن أعرف يساري من يميني، ولم أكن ماهرةً في معرفة الوقت، لذلك لم أفهم أبدًا سبب غضب أساتذتي من قراءتي، ولا سبب الكلام الكثير: “ماذا حدث لك؟” هل ابتلعت قاموسًا؟

لماذا كانوا قساة جدًا؟، أفترض أنهم لم يكونوا يحبون القادمين الجدد، حتى أنهم كانوا أكثر عدائية مع طفلين من أطفال الفجر وفتاة من أصول مختلطة في فصلنا.

في أحد الأيام، دخل أبي إلى "فورستز آرمز" إحدى مقاهي كارلتون الثلاث. كان في المقهى عندما سمع رجلين يناقشان أمر عائلتنا. قال أحدهما: "سمعت أن الزوجة متعلّمة، لكن الزوج وغد خشن". عندما أخبرنا أبي بذلك لاحقًا، كانت أمي غاضبة من أجله، لكنه ضحك فقط. قال: لا تقلقي عليّ، فأنا معتاد على ذلك. على أي حال، لقد فهمونا بشكل صحيح. اكتشفنا لاحقًا أن أحد الرجال كان زوج السيدة "ج".

كان على والدي أن يكمل تعليم نفسه بنفسه، لأنه لم يحصل إلا على قدر ضئيل من التعليم. لقد توقّف عن الذهاب إلى المدرسة بعد وفاة والدته، وكان دائمًا ما ينجح في التهرّب من انكشاف عدم قدرته على القراءة والكتابة من خلال حبّ الأصدقاء على ملء النماذج له؛ وكان يتظاهر بنسيان نظارته إن كان عليه الذهاب إلى أحد البنوك.

لكن الآن، هناك قانون جديد يؤكّد أن عليه أن يكون قادرًا على إكمال تقارير المناوبة، لذلك قام بالتسجيل في دروس مسائية في سيلبي.

لم يكن بإمكانه الحضور فيها إلا لمدة أسبوعين من كل ثلاثة أسابيع بسبب نمط مناوبته. وأخبر المعلم فيها أنه يحتاج فقط إلى أن يكون قادرًا على كتابة الجمل. كان الطلاب الآخرون جميعًا من الأطفال الذين فشلوا في مستوى ما تحت الأول وأطلقوا عليه اسم "الجد".

في المنزل، كان لدينا كتاب أحمر كبير مليء بالكتابة الإملائية؛ كانت أمي تختبرنا معًا، وكنت أفوز دائمًا.

لم يستطع أبي أن يتصوّر كيف كان الأمر معي بهذه السهولة، واعتقد أنني عبقرية. لم تكن هناك مكتبة قريبة، ولا على بعد أميال، لكننا كنا نذهب إلى سيلبي كل ليلة جمعة للذهاب إلى السوبر ماركت، وكان يُسمح لي باختيار كتاب مقابل أن أقدم يد المساعدة والفائدة. لقد أحببت "إنيد بليتون": الشجرة السحرية البعيدة، والمُكتشفون الخمسة والكلب، والسر رقم سبعة، والخمسة المشهورون. وكانت هناك أيضًا مكتبة في سنيت، القرية المجاورة. كانت كتب الكبار في الطابق الأرضي، وكان الطابق العلوي بأكمله مخصّصًا للأطفال. لقد ذهبنا عدّة مرّات في الأسبوع، الأمر الذي كان بمثابة متعة كبيرة بالنسبة لي، وواجب عمل رتيب لـ "ماتي". سُمح لكل واحد منّا بستة كتب، وكنت دائمًا أتألم بشدّة وأشعر بالضغط النفسي الشديد بشأن صعوبة اتخاذ القرار بشأن اختياري، غير قادرة على تصغير الكومة الكبيرة التي اخترتها من كل ما أردت. ولا يخرج ماتي إلّا بكتاب أو اثنين -وهذا أيضًا فقط لأن أمي شجعتني- وسيسمح لي باستخدام بقية مخصّصاته.

بمجرد وصولنا إلى المنزل، أركن إليهم وأجول عليهم بأقصى سرعة، لا أريد أن أفعل أي شيء آخر. أحببت أن تكون عندي عدّة كتب مفتوحة وقيد القراءة في الوقت نفسه، فأتركها في كل غرفة وأعلّقها على حافة الحمام. كانت أمي تصرخ بي: "سوف أرميها بعيدًا إذا لم ترتبها". اعتقدت أنّ ذلك كان غير منطقي على الإطلاق.

كانت عطلات نهاية الأسبوع ذات الطقس السيئ بمثابة علاج. كانت أمي تقول دائماً إنه خسارة ألا نتمكن من الخروج لاستنشاق الهواء النقي، لكنني استمتعت بالبقاء في المنزل، منطوية في الزاوية على كتاب. يمكن أن تتغير أي ظاهرة ممطرة عادية بفعل القراءة. أنا متأكدة من أنني منذ عرفت ما هو الكتاب، أردت أن أؤلف كتاباً بنفسني. ومنذ سنٍ مبكرة جداً كنت أجيب أنني أود أن أصبح محققة أو مؤلفة، إذا ما سُئلت عما أريد أن أفعله عندما أكبر. لكن أحداً لم يأخذني على محمل الجد على الإطلاق. "لا يمكنك فعل ذلك"، كثيراً ما كرّروا لي تلك العبارة مراراً. "ربما، إذا عملت بجد، يمكنك العمل في جمعية البناء، أو ربما حتى أن تصبحي مدرّسة". مازلت أرغب في أن أصبح مؤلفة. ولكن أردت أيضاً أن أتسلق شجرة سحرية، أو أن أحلّ الألغاز مع عصابة من المحققين الأطفال، النوم على جزيرة بمفردي، والعثور على خزانة ملابس تأخذني إلى عالم آخر. ربما أن أصبح كاتبة هو أمرٌ غريب وبعيد المنال ومستحيل بنفس مستوى استحالة هذه الرغبات. كان معظم الناس، باستثناء والدي، يخبرونني بما لا يُسمح لي بفعله. لكن الكتب من الطرف الآخر، حثّني على الاستمرار. ولم ترسم لي حدوداً.

على مرّ السنين، لم أعد أستطيع حصر عدد الأشخاص الذين أخبروني أن نارنيا هي طريقهم إلى القراءة المستقلة.

ربما يرجع السبب في ذلك إلى أن رواية "الأسد والساحرة وخزانة الملابس" ليست، في حد ذاتها مجرد قصّة مثيرة، بل تمثل أيضاً الطريقة التي يقدّم بها كل كتاب دعوته لفتح باب والبحث عن طريق إلى عالم

آخر. من البساطة والعمق أن نأخذ بعين الاعتبار مدى اتساع التجربة الإنسانية الموجودة على رَفِّ صغير من الكتب.

آمل أن أتمكّن من الاستمرار في زيارة نارنيا في أحلامي. لا ينبغي لي أن أعتبر هذا أمرًا مفروغًا منه، إنه يبدو لي دائمًا وكأنه امتياز أو نعمة.

ربما، كما يحدث مع أطفال بيفينسي، عندما أكبر في السن يومًا ما، ستظل نارنيا في قلبي دائمًا. ربما عليّ أن أتبع نصيحة الأستاذ: "لا تحاول استخدام نفس الطريق مرتين؛ في الواقع، لا تحاول الوصول إلى هناك مطلقًا. لأن الأمر سيتحقق عندما لا تكون تبحث عنه. دعونا نأمل أن يكون على حق".

كُتِبَ الأطفال التي أُحِبُّ إعادة قراءتها

تُثير قصصي المُفضَّلة من طفولتي ذكرى زمانٍ كنت فيه دون مسؤوليات، عندما كنت ما أزال أؤمن بالنهايات السعيدة.

أشعر بارتباطٍ قوي بابني (مات) عندما أشاركه شيئاً مما قرأته عندما كنت فتاة. تمضي السنوات ونحن ما نزال مجرد طفلين نطلق لخيالنا العنان بحريّة.

”الريح في الصفصاف“ بقلم: كينيث جراهام

بدأت قصّة تود ومول وراتي في رسائل كتبها جراهام لابنه في أثناء إجازته بالسيارة في كورنوال.

لقد أرسل هذه من فندق جرينبانك في فالموث: ”هل سمعت عن الضفدع تود؟“ لم يتم أسره من قبل البريطانيين على الإطلاق. لقد كان كل ذلك خدعة دنيئة فظيعة من جانبه. لقد كتب تلك الرسالة قائلاً إنه يجب وضع مئة جنيه في الشجرة المُجوّفة. وخرج من النافذة في وقتٍ مبكّر من صباح أحد الأيام، وذهب إلى بلدة تُدعى بوجلتون، وذهب إلى فندق ريد ليون هناك، ووجد مجموعة كانت قد خرجت لتوها من لندن، وبينما كانوا يتناولون وجبة الإفطار، ذهب إلى ساحة الإسطبل ووجد سياراتهم وانطلق بها دون أن يصدر أي صوت ولا حتى صوت بوق الزمّور! ثم اختفى، والجميع يبحث عنه، بمن في ذلك الشرطة. أخشى أنه حيوان وضيع سيئ.

”جينينغز يذهب إلى المدرسة“ بقلم: أنتوني باكريدج

كان مؤلف قصص المدرسة الداخلية هذه مدرّساً وموهوباً في كتابة وصف الأولاد الصغار على الصفحة بكل حيويّتهم وصخبهم الأحمق. ضحكت بصوت عالٍ من تصرّفات جينينغز وداربيشاير الغريبة، واللغة القديمة التي استُعملت، كانت جزءاً من المرح. إنها واحدة من القواعد في منزلنا أنه يمكن لـ (مات) أن يشتمني طالما أنه يقتبس من كتاب. أُفْضِل كتاب ”الرقم القياسي في القذارة“ من ”رحلة جَوَّابِ الفجر“ على كتاب ”روين كثير الشعر“ لكتيبته جينينغز، لكن القانون والقاعدة هو القانون والقاعدة.

”بيغلز يتعلّم الطيران“ بقلم: الكابتن دبليو إي جونز

قرأت لأول مرّة هذه الحكايات عن الطيارين المُقاتلين عندما كنت أصغر سنّاً بكثير من الرجال الذين يستخدمون الطائرات الخاصة، ولكن الآن، وبعد مرور الوقت، يبدو لي ببغلز وأصدقائه مجرد أولاد، وقد كانوا كذلك بالفعل.

تلك الكتب الآن قديمة بعض الشيء، لكنها جيدة كقصص مغامرات وتشجيع الحوار حول عدم جدوى الحرب. كما أنها تساعد على الشعور بالرضا والامتنان في الحياة اليومية. لقد مررنا بمرحلة كنا نقول فيها لبعضنا:

”لا تتذمّر، نحن محظوظون لأننا على قيد الحياة“، كما قال مارك، ملاح

بيغلز، له، عندما كان عليهم السباحة حول الأسلاك الشائكة بعد تحطم الطائرة على الجانب الخطأ من خطوط العدو.

”أطفال السكك الحديدية“ بقلم: إديث نسبيت

يقول والد بوبي وبيتر وفيليس قبل أن يتم إبعاده عنهم: ”الفتيات ذكيات مثل الأولاد، لا تنسوا ذلك“. هذه الحكاية البطولية اللطيفة عن كيفية تعامل الأم مع حالة القبض على زوجها ظلمًا، هي أكثر قوة، لأنه يتم رؤيتها من خلال عيون ابنتها الحكيمة، بوبي، الذكية، اللطيفة، والتي لا تستسلم أبدًا. لا أستطيع قراءة هذا الكتاب الرقيق الحجم دون أن أبكي، ست ميزات على الأقل، وعادةً يتكرّر هذا في المواقع نفسها.

”نساء صغيرات“ بقلم: لويزا ماي ألكوت

لا أستطيع أن أتذكر الوقت الذي لم تكن فيه أخوات مارش (ميچ، جو، بيث، وإيمي) جزءًا من حياتي، وأتوافق أكثر مع جو وأساليبها الصببانية. كنت دائمًا أسعد باللعب مع الأولاد مقارنةً باللعب مع البنات، عندما كنت أصغر سنًا، وأحب الخريشة، كما تفعل جو. ما زلت أعيد قراءة رواية ”نساء صغيرات“ في كثير من الأحيان، خاصة في عيد الميلاد، لأنها تقدّم ترياقًا لمُبالغات استهلاك الاحتفالات. إنه يجعلني أبكي، لكنني أنتهي وأنا أشعر بالسعادة والامتنان لكوني أنعم بالأمن والدفع، دون وجود أحد.

أحب أن أبعد، في حرب أو أن أصاب بالحُمى القرمزية.



فتيات في الكتب

كنت في الثامنة من عمري عندما علمت أن الكتب لديها القدرة على تقديم المساعدة في الأوقات الصعبة. كنا انتقلنا إلى أسكتلندا لبضعة أشهر، لأن أبي تلقى عرض وظيفة في منجم كبير يُدعى كاسلبريدج. هناك، كانت المدرسة ضخمة ومرعبة، ولم أتمكن من أن أفهم المُعلّمين دائمًا.

ذات مرة، جعلتني السيدة "بي" أقف على كرسي، لأنني لم أعرف جواب ما هو حاصل ضرب تسعة في سبعة. عندما وقفت هناك، محمرة الوجه ودامعة العينين أمام الجميع، كان عزائي هو تذكري لإيمي في فيلم "نساء صغيرات"، أنها شعرت بالخلج مثلي، عندما أمسكها معلمها بجرم تهريب كيس الليمون المخلل المحظور.

في العام الذي يليه، كان هناك نظام مهين لتوزيع المقاعد، حيث كان علينا أن نكتب مع مَنْ نريد أن نجلس. لم يختارني أحد، لذلك انتهى بي الأمر على مقعد مع الأطفال الآخرين غير المرغوب فيهم، وكان أنف أحدهم يسيل باستمرار. لو كنت شخصية في رواية أعيشها، كنت سأجد بينهم أرواحًا قريبة مني، لكنني لم أجد. لقد جلسنا هناك، متجهمين وبائسين. وبشكل ما، تحوّلت من تلميذة ذكيّة للغاية، وبالشكل الذي يخدم مصلحتي، إلى تلميذة غير ذكيّة على الإطلاق.

كان عدم وجود أصدقاء في المدرسة من أصعب الأمور، لكنني التهمت قصص الفتيات التي في الكتب. أحببت قصص مدرسة إنيد بليتون

الداخلية، وأبراج مالوري، وسانت كبير. كنت أرغب في لعب "اللاكروس"، وأن أتناول الولائم الليلية -كعكة الزنجبيل! السردين!- وأن أكون من النوع الذي يساند الآخرين. لست متأكدة ما إذا كنت أدركت تمامًا أن المدارس الداخلية موجودة في العالم الحقيقي.. كنت أريد الذهاب إلى واحدة منها كما كنت أريد زيارة نارنيا.

كنت أيضًا مهنمةً بكتب مدرسة التشاليه التي تدور أحداثها في جبال الألب، حيث كان على الجميع التحدث بالعديد من اللغات.

ما فعلته كاتي في المدرسة وفتيات أبي وفلامبارد، بقلم ك. م. بيتون

في القصر فتيات يواجهن معضلات أخلاقية، وأحببت أن أتخيل كيف يمكنني أن أتصرف لو كنت في موقف مماثل، وكنت آمل أن أقوم بالعمل الصحيح.

كانت أمي تشتري لأخي ماتي "ذا بينو" كل أسبوع، لأنها كانت المادة المطبوعة الوحيدة التي يتفاعل معها طوعًا.. كانت تقرأ له كل يوم، وكنت أستمع إلى قراءتها لـ "فطر، البعبع وستيغ من مقلب القمامة"، وأستمر في قراءة الكتاب الذي بين يدي في الوقت نفسه -غالبًا-. لكن ماتي كان يفضل أن يكون في خارج البيت للعب كرة القدم. كان لديه الكثير من الأصدقاء، لذلك كنت أتسكع معهم إذا دفعتمني أمي إلى الخارج في سعيها الحثيث لجعلي استنشاق الهواء النقي.

لقد كُنت طفلةً مطيعةً ومنضبطة، لكنني كنت أعصي والديّ عندما يحين موعد النوم، وكان سحر كتابي الأخير أكبر من أن أتجاهله. عادةً ما تقرأ الفتيات في المدرسة القصص بعد إطفاء الأنوار باستخدام مصباح تحت الأغطية. لم يكن لديّ مصباح، ولكن ضوء النهار في الصيف يتأخر إلى ما بعد موعد نومي بكثير، ثم أنني ابتكرت طريقة للوقوف بجوار نافذتي ورأسي خلف الستارة حتى أتمكّن من مواصلة القراءة.

كان عليّ أن أنصت إلى أصوات صعود الدرج حتى أتمكّن من أن أنسلل إلى سريري وأندرس تحت الأغطية عندما تأتي أمي لتتفقدنا. في إحدى الليالي، كانت القصة مثيرة للغاية لدرجة أنني لم أكن أنصت حتى أنتبه لقدمها، فقبضت أمي عليّ، ووبختني أنني كنت مخادعة غشاشة. كُنت مذعورة، فأنا لم أكن أفكر في الأمر بهذه الطريقة. كانت أسوأ خطيئة في بيتنا هي الكذب والغش، مثلما كان الأمر في الكتب. ومنذ ذلك الحين، كنت أبقى مستيقظة بلا كتاب، ولا قراءة، أحديق في السقف وأختلق حيكات قصص كلها مدارس الداخلية وتوائم وأيتام.

في صباح أحد الأيام، أيقظني ماتي وهو يقفز على سريري ويصرخ، "جدي مات ونحن ذاهبون إلى كورنوال لحضور الجنازة".

كانت أمي في الحمام تبكي. قالت: "إنه أمرٌ عجيب للغاية، بالأمس كنت قلقة جدًا بسبب حرب الفوكلاند، والآن أتساءل وألوم نفسي لماذا لم أشعر بالسعادة كل اليوم لمجرد أن أبي كان على قيد الحياة!" كنت حزينة لأن أمي كانت حزينة، ولكن، مثل ماتي، وجدت الأمر مثيرًا بعض الشيء، إذ

إن الحصول على بضعة أيام إجازة من المدرسة كان حدثًا رائعًا. ولم أدرك تمامًا أنَّ جدي الجميل لم يعد على قيد الحياة إلاَّ عندما رأيت التابوت صباح يوم الجنازة.

عندما عادت عائلي إلى أسكتلندا، بقيت مع جدي أقيم عندها لأكون في صحبتها. في غرفة الجلوس كان هناك دولاَّب صنعه جدي، يحتوي على جرة نقود لجمع المال لأبحاث السرطان، ورُف من كتب أجاثا كريستي القديمة التي اشترتها جدي من حفلات الكنيسة. لكل كتابٍ أقرؤه، كانت جدي تضع عشرة بنسات في جرة النقود. أنهيت قراءة جميع الكتب بحلول نهاية الأسبوع.

بقينا في أسكتلندا بضعة أشهر فقط. أحد الرجال في مناوبة والدي ارتكب سرقة واستخدم العمل كذريعة غياب، قائلًا إنه كان تحت الأرض في ذلك الوقت. رفض والدي دعمه وأرادت الشرطة أن يكون شاهدًا في المحاكمة. بعد فترة وجيزة، حاصر الرجل وإخوته والدي في كابينة في الموقع وهددوه. حدّر رجل آخر والدي بأن عليه أن يأخذنا نحن ووالدي بعيدًا، وفي يوم، عندما عُدنا من المدرسة، قالت أمي إننا سنغادر تلك الليلة للبقاء مع جدي.

أتذكّر توتر أمي، وهي تنتظر اتصال أبي كل ليلة. وبعد بضعة أيام، قال أبي إنه سئم من عدم تلقيه الدعم من كبار الرؤساء في المنجم، وتمكّن من البدء فورًا في منجم مالتبي.

لقد كان من نعم الله علينا أنَّ منزلنا في يوركشاير لم يتم بيعه، وقد

عُدنا بسعادة للعيش فيه مرّةً أخرى. لقد شعرت بسعادة غامرة لعودتي إلى أصدقائي، وبدأت مدرستي القديمة صغيرة وودودة.

بالعودة للوراء، يدهشني كم كان اطلاعي على ما يحدث كبيراً، لكن والديّ كانت لديهما طريقة رائعة لإخبارنا بنسخة أخرى من الحقيقة يمكننا التعامل معها، لذلك لم نكن جاهلين بما يجري، ولكننا مازلنا نشعر بالحماية.

شعرت وكأنه شيء من كتاب إنيد بليتون. أعجبت بأبي لوقوفه إلى جانب الحقيقة ورفضه السماح للمتطرفين بترهيبه. لقد أحببت والدي بشغف كبير. لقد كان مرحاً ولطيفاً، ومختلفاً عن معظم آباء أصدقائي، الذين كانوا، مثل عمّ إنيد بليتون كوينتن، غاضباً ولم يستمتع بالتواجد مع الأطفال المزعجين. لقد انبهرت أيضاً بقصته، وكنت أطلب منه أن يخبرني مراراً وتكراراً عن تاريخ وفاة والدته، وكيف توقّف عن الذهاب إلى المدرسة. لقد بدا وكأنه شخصيّة خيالية أكثر من أي شخص أعرفه، هذا الصبي اليتيم الذي هرب إلى البحر، في زمن لم يكن فيه أكبر مني بكثير.

ربما كان هذا الحب لوالدي اليتيم هو السبب الذي جعلني أقع في حب آن شيرلي من "آن" أوف جرين جابلز للكاتب إل إم مونتغمري. تُوفي والد آن بسبب الحمّى عندما كان عمرها "ثلاثة أشهر"، وتناقلتها عائلات مختلفة لسنواتٍ قبل أن ينتهي بها الأمر في ملجأ. أصبحت أحلامها حقيقة عندما أرسلت للإقامة مع ماثيو ومارلا كوثيرت في جرين جابلز، وقرّرا الاحتفاظ بها، على الرغم من أنها لم تكن الولد الذي طلباه. علّماها كيف تتلو صلواتها وأرسلها إلى المدرسة، وكانت "آن" نعمةً لهما.

كُتب "آن" هي كوميديات اجتماعية لطيفة، وأُحببت فيها تفاصيل الحياة اليومية والتاريخ المنزلي. عندما تخرج مارلا إلى اجتماع جمعية المساعدة، يُسمح لـ "آن" بدعوة صديقتها المُفضَّلة ديانا لتناول الشاي، لكن ليس لاستخدام طقم الشاي المُزَيَّن بالورود المُخصَّص لزيارات القس. تقول مارلا إنه بإمكانهما شرب كل عصير التوت المُتبقّي من الحفل الاجتماعي للكنيسة، لكن "آن" تخلط بين زجاجات العصير وتُسعد ديانا بثلاث كؤوس من عصير الكشمش الخاص بمارلا.

ترفض والددة ديانا السماح لهما باللعب معًا بعد ذلك، وتشعر "آن" بالحزن الشديد، ولكن عندما تُصاب أخت ديانا الصغيرة بالخنّاق في إحدى الليالي، حيث كان جميع البالغين يحضرون اجتماعًا سياسيًا، تنقذ "آن" حياتها بزجاجة من (الإبيكاك)، ثم تتم دعوتها لتناول الشاي، حيث تخرج السيدة باري أفضل مجموعة صينية وتقدم كعكة الفاكهة، وكعكة الباوند، والدونات، ونوعين من المربي، تمامًا كما لو أن "آن"، كما أُخبرت مارلا لاحقًا، هي ضيفة محترمة. أصبحت "آن" الآن ضيفة شرف في منزل باري، لكنها استمرت في الوقوع في المآزق في أماكن أخرى.

كان لديّ الكثير من القواسم المشتركة مع "آن". مثلها، كنت أمتلك شعراً زنجباريًا، وكتانا كنا ثرثارتين، وندمنا على الكتب، وتعرّضنا للسخرية بسبب استخدامنا للكلمات الطويلة. قامت "آن" وأصدقائها في المدرسة بتشكيل نادي القصص وتبني الأسماء المُستعارة. كان الاسم المستعار لـ "آن" هو روزاموند مونتمورنسي. كانت روبي جيليس تدخل الكثير من الرومانسية

على قصصها؛ كانت حكايات جين أندروز دائماً معقولة جداً؛ وكانت ديانا تقتل شخصياتها، لأنها لم تكن تعرف ماذا تفعل بها. كنت دائماً أحاول إقناع أصدقائي بكتابة القصص معي، بنجاح محدود.

في النهاية، أصبحت "آن" كاتبة، وهناك أجزاء عن الرفض والطموح أحببتها عندما كنت صغيرة ولا تزال تتردد في نفسي الآن بعد أن أصبحت كاتبة. الكتب أيضاً ممتازة لمتعة القراءة. تعرّض "آن" للمشاكل، لأنها كانت تقرأ "بن هور" في الوقت الذي كان ينبغي عليها دراسة التاريخ الكندي، لكنها لم تستطع التوقف حتى تعرف كيف سينتهي سباق العربات. هذا هو بالضبط ما أشعر به تجاه الكتاب الجيد حتى الآن.

بمجرد استدراجي إلى الشخصيات والانخراط فيها، أجد أنه من المؤلم أن أتوقف. الطريقة التي تطلب بها "آن" من ماثيو أن يحجز الكتاب المغربي في خزانة المربيات حتى تنتهي من واجباتها المدرسية، تذكّرتي بكيف كنت دائماً أجد صعوبة في العمل في المكتبات، لأنني أسمع الكتب التي لم أقرأها تصرخ لشدي انتباهي. وعادةً ما أسمح لنفسي بأن ألهي عن عملي.

شاركت "آن" مشكلتها، وهي التي تعرفت عليها في عيد ميلادها الثالث عشر: "خطئي الأساسي هو التخيل كثيراً ونسيان واجباتي". كنت -غالبًا- ما أتعرّض للمشاكل بسبب انشغالي عن مهمة معيّنة، وأشعلت النار مرّتين في منزلنا لأنني انغمست في قراءة كتاب ونسيت ما كنت أفعله. مرّة كنت ألهو فطائر البطاطس وأشعلت صينية الشواء بالنار. المرّة

الأخرى، تمَّ إرسالنا إلى المنزل من المدرسة بسبب الثلج، وأردت أن أخرج للعب مرةً أخرى، لكنني كنت مبتلة. قرَّرت أن أجفف زوج حذائي المطاطي المبلل بوضعه على مقعد ورفعته على شبكة مدفأة الفحم. (لا، لا أعلم لماذا اعتقدت أن ذلك كان فكرة جيدة أيضًا). صعدت إلى الطابق العلوي لتغيير ملابسني المدرسية المبتلة والتقطت كتابًا. لا أستطيع تذكُّر ما كان الكتاب، لكن من المغري أن أفكِّر أنني كنت أقرأ عن انشغال "آن" بالقراءة في اللحظة التي بدأت فيها سحب الدخان الأسود تتصاعد عبر الدرج.

ركضت نزولاً إلى المطبخ وفتحت الخزائن بحثًا عن حاوية، فعثرت على علبة قصدير قديمة من شركة كواليتي ستريت، فملأتها من الصنبور، واضطرت إلى الركض بين النار والصنبور عدّة مرّات قبل أن تنطفئ. ثم بكيّت بشدة واتصلت بأُمِّي في العمل للاعتراف. قضيت عطلة نهاية ذاك الأسبوع في تنظيف السخام من السقف.

أحببت "آن" نفسها -توأم روعي-، ولكنني استمتعت أيضًا بالمحادثات بين النساء، والنميمة حول مَنْ قد يتزوج مَنْ، ولماذا يتصرّف الناس بهذه الطريقة. الكتب تميّزت بالحديث عمّا لا يحدث. لا يوجد تلميح عن الحقائق البيولوجية، والأطفال هم "أحلام سرية" أو "آمال رقيقة" يحضرها طائر اللقلق. كان هذا مختلفًا تمامًا عن الحياة الحقيقية، فقد تمَّ جمعنا في فصل دراسي واحد في المدرسة ليتم تعليمنا.

الأيتام في الكتب

غالبًا ما يفتح اليتيم الباب للمغامرة في الكتب، حيث يُترك الأطفال للاعتماد على أنفسهم دون أن يجبرهم والداهم على أداء الواجبات المنزلية أو الذهاب إلى السرير في الوقت المُحدّد. ربما كانت هذه هي المرّة الأولى التي لاحظت فيها الفجوة بين الخيال والحياة الحقيقية - في الحياة الحقيقية كان اليتيم ليس شيئًا جيدًا بالتأكيد.

”توقعات عظيمة“ لتشارلز ديكنز

في ليلة عيد الميلاد، يزور بيب قبر والديه عندما يلتقي بسجين هارب ويوافق على سرقة بعض الطعام له. وهكذا تبدأ علاقة ستستمر مع نمو بيب ليصبح رجلًا ويحصل على فرص لتحسين نفسه. الشخصية التي تركت أكبر انطباع لديّ عندما كُنت طفلةً كانت الآنسة هافيشام، العانس الثريّة التي لا تزال ترتدي فستان زفافها بعد سنواتٍ من هجر عريسها لها - قرأت النسخة المختصرة منها من عربة الفصل الدراسي -.

”جين آير“ لتشارلوت برونتي

”هل تظن أنني بلا روح وقلب لأنني فقيرة، وغامضة، وعادية، وصغيرة؟ أنت مخطئ!“ الزواج الذي لا يحدث هو أيضًا محور حبكة جين آير. عندما نلتقي بجين، يكون والداها قد ماتا منذ زمن طويل بسبب التيفوس، وهي تعيش مع عمّة قاسية وتعرّض للتعذيب من قبل أبناء عمومتها.

في الوقت الذي كانت تقف فيه عند المذبح، تكون قد وقعت في حب السيد روتشستر، لكن نهايتها السعيدة كانت بعيدة المنال. كنت أستطيع إعادة قراءة هذا الكتاب مرّات ومرّات لا نهاية لها، ودائمًا، وفي كل مرّة كان يقول لي شيئًا مختلفًا.

”فلامباردز“ بقلم: ك. م. بيتون

كريستينا يتيمة وذات ميراث، وقد تنقّلت بين أفراد العائلة منذ وفاة والدتها. يبدأ الكتاب عندما تصل للإقامة مع عمّها المُستبد في مزرعته الفقيرة. لديه ولدان: مارك، الذي يهوى الصيد كوالده، وويل، الذي كان يتعافى بعد حادث وقوع من على الحصان، يكره الخيول ويتمنى أن يكون طيارًا.

عندما تستقر كريستينا في حياتها الجديدة، تدرك أنّ عمّها يخطط لاستخدام ثروتها لاستعادة فلامباردز إلى مجده السابق.

”ديانا“ بقلم: ر. ف. ديلدرفيلد

عندما يذهب ”جون لي“ للعيش مع أقاربه في ديفون بعد وفاة والديه، يلتقي بـ ”ديانا“، الفتاة الثرية من المنزل الكبير، وتنشأ بينهما صداقة غير متوقعة رغم اختلاف خلفياتهما. تعيد تسميته بـ ”جان“، على اسم شخصيّة في رواية ”لورنا دون“، ويقرّر أنّ يحسن من نفسه ليكون جديرًا بها. ومع مرور السنوات، يدرك جان أنه ليس بالأهمية نفسها في حياة ديانا كما هي في حياته. ثم تأتي الحرب لتغيّر كل شيء.

”الحسون“ بقلم: دونا تارت

قرأت هذا الكتاب لأول مرّة عندما انتقلت إلى مرحلة الرشد من العمر، وشعرت بعاطفة أمومية تجاه ثيو، الذي كان في الثالثة عشرة من عُمره عندما أدى انفجار في متحف فنّي في نيويورك إلى تدمير حياته. أخرج من تحت الأنقاض لوحة صغيرة باسم ”طائر الحسون“ للفنان الهولندي كاريل فابريتيوس، وهذا العمل النابع من الإيمان - أو هذه السرقة - ستظل تلقي بظلالها على حياته حتى مرحلة بلوغ الرشد. تنتقل الرواية بين الساحل الشرقي والغربي لأمريكا، ثم إلى أوروبا، حيث مجموعة من الشخصيات غريبة الأطوار تكافح مع وجود معضلات وجودية، وتحاول كسب لقمة العيش من خلال الفنّ أو المخدرات أو القمار.



مذكرياتي العزيزة

الخميس 1 يناير

هذه هي قراراتي للعام الجديد:

1. سأساعد المكفوفين على عبور الطريق.
2. سأعطي بنطالي.
3. سأعيد أسطواناتي إلى حافظاتها.
4. لن أبدأ بالتدخين.
5. سأتوقف عن الضغط على بثوري لعصرها.
6. سأكون لطيفاً مع الكلب.
7. سأساعد الفقراء والجهلاء.
8. بعد سماع الأصوات المُقزّزة من الطابق السفلي الليلة الماضية، أقسمت بالّا أشرب أبداً.

”المُذْكَرَات السِّرِّيَّة“ لأدريان مول بعمر، ”13“ عامًا وتسعة شهور.. بقلم: سو تاونسند

التقيت لأول مرّة بأدريان مول في رحلة تسوّق إلى يورك مع صديقتي إيسلا قبل عيد الميلاد مباشرة. كانت والدة إيسلا، لين، معلّمة للغة الإنجليزية. كانت مشجعة جدًّا وأحبت ثرثرتي، على عكس بعض آباء أصدقائي، الذين كانوا يعلقون بأن لديّ الكثير لأقوله لنفسي بطريقة تظهر أنهم يُعدّون ذلك أمرًا غير جيد. الأمر الذي أعجبني هو أن عائلة إيسلا قالت ”العشاء، بدلًا من الشاي“، وأحببت أن أكون في منزلهم، الذي كان مليئًا بالكتب، وكان له رائحة لم أستطع تحديدها أبدًا، ولكنني كنت أعلم أنها رائحة راقية. كانت إيسلا عضوًا في نادي ”بوفن“، وكان لديها دفتر (سجل) قصاصات تُحسّد عليه، مليئًا بقصاصات الأميرة ديانا.

انفصل والدا إيسلا عندما كنا في السابعة من العمر، فقالت لي أمّي إنه ينبغي أن أكون أكثر لطفًا معها. ثم انفصل والدا صديقة أخرى. مما جعلني أسأل أمّي: ”أنت وأبي لن تنفصلا، أليس كذلك؟“، فطمأنتني ”لا تقلقي“.

لقد كُنت، إلى حدٍّ ما، مبهورةً بسلوك الكبار وحريصةً على مراقبته. عندما أقام والداي حفلة، دعوا لين. سألت والدي إذا كان هناك رجال للرقص معهم.

قال أبي: ”إنهم رجال أيرلنديون ضخام وأجلاف يا لين، قد يدوسون على أصابع قدميك“.

ضحكت لين على ذلك. كانت تحب والدي، أخبرني أنه قطعة من الماس خام.

قالت مرة إنها تشعر بالأسف تجاه أمي لأنها تدرس في الجامعة المفتوحة، لأن ذلك يعني أنها تقوم بأعباء الدراسة الجامعية دون الاستمتاع بالجانب المرح من هذه المرحلة. عندما أعدت هذا على أسمع أمي، قالت إنها كانت سعيدة جدًا بكتابة مقالاتها في أثناء تربيتنا، لكنني قد أرغب في الذهاب إلى الجامعة مثلما فعلت لين.

كنت متحمسة جدًا لرحلتنا إلى يورك. استمعنا إلى مغني الكورال وأكلنا البطاطس المحشوة بالجبن من كشك يبيعها. دخلنا إلى مكتبة ضخمة - كانت أكبر ما رأيت على الإطلاق، واشترت لين نسخة من "اليوميات السرية لأدريان مول" لتقدّمها لابنتها الثانية في عيد الميلاد. إيسلا، التي كانت تنافسية للغاية ودائمًا ما تبحث عن فرص لتتفوّق على أختها، اشترت نسخة لنفسها من نقودها، حتى تتمكّن من الاستمتاع بقراءة الكتاب بصوت عالٍ قبل أن تتمكّن أختها من فتح هديتها في يوم عيد الميلاد. كان بإمكانني رؤية هذه المناورة تزعج لين، لكنني لم أكن أعلم ماذا عليّ أن أفعل حيال ذلك.

في وقتٍ لاحق من ذلك اليوم، تناوبنا على قراءة الكتاب بصوت عالٍ في غرفة إيسلا، كانت هي مستلقية على السرير وأنا جالسة على الكرسي المحشو الخاص بها. وسرعان ما أخذت بالاستمتاع بالأمر، لكنني كنت حذرة في عدم إظهار ذلك. لم تكن نزعة إيسلا التنافسية موجّهة لإغاظه

أختها فقط، وكنت أعلم أنه إذا رأت مدى استمتاعه، فهناك خطر أن تغلق الكتاب فجأة. وهكذا، قرأنا الكتاب بأكمله في ذلك الأسبوع، ونحن نضحك على هوس أدريان بقياس طوله كل يوم.

أنا متأكدة من أنه قد فاتنا الكثير من التفاصيل الدقيقة. واحدة من نجاحات "أدريان مول" هو أنه يمكن تقييم تجربته عاليًا على العديد من المستويات. إنه يجسّد معاناة المُراهقين، بدءًا من الاضطرار إلى الذهاب إلى المدرسة مع ظهور بثرة جديدة - وكان هذا مرعبًا في تلك المرحلة! - وكانت آماله تعكس رغبة الأبناء في أن يكون آباؤهم تقليديين ومهتمين بهم ويعاملونهم بحنان. كان "أدريان" يتوق أن تبقى والدته، الناشطة في مجال حقوق المرأة، في المنزل، وأن تعطيه فيتامين "سي" الذي يمنع البثور، وأن ترتدي مريلة "لوركس" التي اشتراها لها في عيد الميلاد.

كان أدريان مثال الراوي الساذج عندما كان يحكي أنه لا يفهم السبب الذي يجعل والدته والسيد لوكاس يغلقان على نفسيهما الباب في المطبخ ولا يفتحانه، لكن القارئ الراشد يفهم تمامًا ما يحدث.

كان أدريان مدرّجًا تمامًا لما يعطيه وجود الأب في البيت. في أثناء فترة طلاق والديه كتب: "لا أعتقد أنّ أيّ شخص في العالم يمكن أن يكون تعيسًا مثلي. لو لم أكن أكتب الشعر لكنت الآن مجنونًا هائجًا".

لقد جاء هذا الكتاب معبّرًا عن زمانه تمامًا، تكاد -لواقعيته- تحس بطعم سمك القد المطهو، وسماع أزيز لعبة سباق السيارات - وكان صامدًا أمام اختبار الزمن.

انتهت الآن إلى الحزن، الذي لم ألاحظه عندما كنت أصغر سنًا، في الجهد الذي بذله والدا أدريان للبقاء معًا، وإيجاد طريقة للتعامل مع الحاجة إلى إدارة التحديات التي تطرحها تلبية الاحتياجات المختلفة ومعالجة تأثير تداعيات فقدان الوظيفة (مثل التداعيات التي حدثت لجورج مول عندما فقد وظيفته). هناك أيضًا شيء مؤثر في براءة نسخ "بيغ أند باونسي" التي يخفيها أدريان تحت فراشه، مقارنة بما ينشره الانترنت في هذا العصر، الذي يرى فيه الكثير من الأطفال أشياء لأول مرة في حياتهم على شاشة هاتف طفل أكبر منهم في ساحة المدرسة. أنا الآن لست أكبر من أدريان فحسب، بل وأكبر من والديه. أمل أن يطول عمري حتى أصل إلى سن جدتي. أتخيل ماذا سأفكر في الجزء الذي تذهب فيه إلى المتنمر المحلي، باري كينت، وتستعيد المال الذي ابتزه من أدريان بالتهديد.

قبل كل شيء، إنه عمل مضحك جدًا، ويعطي إحساسًا بالبهجة، ويخرج الضحك من أعماق القلب. تقرير أدريان عن الرحلة المدرسية الكارثية إلى المتحف البريطاني، حيث فقدت السيدة "فوسينغتون جور" السيطرة على النظام، وهرب باري كينت إلى سوهو وتم القبض عليه بتهمة سرقة كريم خاص وأداتين "للدغدة"، لابد وأن هذه الصفحات هي من بين الصفحات الأكثر إثارة للضحك في الأدب كله.

أثار أدريان مول اهتمامي طوال عمري، بالمذكرات الحقيقية والخيالية. لقد قمت بمحاولات عديدة للاحتفاظ بها بنفسني، لفترة قصيرة عادةً.

كانت العديد من مذكّراتي الأولى تحتوي على قفل ومفتاح حقيقيين، وكنت أؤلّف قصصًا وأكتب محادثات خيالية حيث الأولاد، الذين لا أتحدّث معهم مطلقًا في الحياة الواقعية، يطلبون مني الخروج أو يقبلوني معهم أو يرافقوني إلى المنزل من المدرسة؛ كنت أشعر بالحرّج الشديد، بين الحين والآخر، من التفاهات التي كتبتها عندما كنت شابة -أحيانًا قبل أسابيع قليلة فقط- لدرجة أنّني كنت أعطي المذكّرات في طبقات من أكياس النقل وأرميها في حاوية القمامة الخارجية، وأتأكد من دفنها عميقًا في القمامة حتى لا تستخرج من الدفن ثانيةً.

توقّفت عن اختلاق مداخلات في يومياتي، بمجرد أن بدأت في علاقات حقيقية مع رفيقات الصف في المدرسة، لكنني ظللت أشذب كلماتي بنفسي. أعتقد أنني لن أوفر أي شيء مقابل إلقاء نظرة خاطفة على تلك المذكّرات القديمة الآن، على الرغم من أنها مدفونة بأمان في مكب النفايات الشمالي، ربما كان هذا ليس بسوء .

هناك العديد من الأجزاء التي تلت الجزء الأول لـ "المذكّرات السريّة لأدريان مول". تستحق الاطلاع عليها، لكنها لا تسحرنني ولا تشدني مثل الجزء الأول، حتى وأنا أكرّره عامًا بعد عام. النسخة التي أملكها الآن تمّ إصدارها للاحتفال بالذكرى الثلاثين للنشر الأول وتتضمّن مقدّمة من ديفيد ويليامز الذي يلخّص بشكلٍ جميل الجاذبية الدائمة لأدريان مول: "الحياة أُم، ونحن جميعًا بحاجة للضحك".

مذكّراتُ إبداعيّة خياليّة

هناك شيءٌ بديعٌ حميميٌّ في الرواية التي على شكل مذكّرات. يجعل من الأسهل بكثير تجاهل الشك بها، ونسيان أننا نقرأ شيئاً مختلفاً، والانغماس في التفاصيل الدقيقة لحياة شخصٍ آخر. كُتّاب المذكّرات هم أحد أكثر الشخصيات الخياليّة حيويّة التي تعطيني شعوراً بأنها حقيقة.

”مذكّرات لا أحد“ لجورج وويدون جروسمث

في هذا الكتاب تشارلز بوتر هو موظف يعيش مع زوجته، كاري، في منزل في هولواي يُسمّى ”ذا لوريالز“. يظل قلقاً بشأن ابنه لوبين، الذي يخطّب الفتاة المبتدلة دايسي موتلار، وينضم إلى جمعية هواة الدراما المحليّة، ويفقد وظيفته. يفتقر بوتر إلى الوعي الذاتي، يأتي الكثير من الفكاهة، من تقديره المُبالغ فيه لنفسه وعجزه عن فهم العالم من حوله.

بدأت المذكّرات كسلسلة في مجلة بنش في عام 1888، وما زالت تعطي انطباعاً اليوم، مثلما كانت دائماً، بأنها مازالت على القدر نفسه من الإدراك بشأن الغرور والحمق البشري.

”مذكّرات بريدجيت جونز“ لهيلين فيلدينج

هي مذكّرات خياليّة مضحكة أخرى تبدأ بقائمة من قرارات العام الجديد (التي لا يتم الالتزام إلّا بواحدةٍ منها في النهاية). بريدجيت هي واحدةٌ من أعظم الإبداعات الكوميديّة على مرّ العصور، وهذه الانعطافة

الهزلية على "كبرياء وتحيز" تسلط الضوء بحب على العمليات الفكرية الداخلية التي قد تكون وراء رغبتنا في تحسين أنفسنا.

كثيرًا ما أعيد قراءتها في تلك الأيام الغريبة بين عيد الميلاد ورأس السنة، وتنجح دائمًا في إبهاجي.

"أي قلب بشري" بقلم: ويليام بويد

يختبر "لوغان ماونتستورات" أحداث القرن العشرين بالكامل، محتفظًا بسجل لعلاقاته الغرامية، ونضالاته الكتابية، واجتماعاته مع فيرجينيا وولف، وإيفلين وو، وجيمس جويس، وبيكاسو.

خلال الحرب، يعرف الحب والخسارة معًا، ويصبح متورطًا مع دوق ودوقة وندسور. يمكنني إعادة قراءة هذا الكتاب مرارًا وتكرارًا. أحب الطريقة التي يمتزج بها العالم الخيالي مع الواقع بحيث لا يستطيع القارئ معرفة بداية هذا من نهاية ذاك.

"البتلة القرمزية والبيضاء" لمايكل فابر

نحن مدعوون للسير في أظلم وأقذر شوارع العصر الفيكتوري، متابعين حظوظ ويليام راكمهام. هو مغرم بشوغار، ابنة مدير البنسيون، الذي عملت فيه منذ بلوغها سن المراهقة المبكرة. المذكرات تُكتب بواسطة زوجة ويليام، "أغنيس"، البريئة جدًا بحيث إنها لا تفهم شؤون النساء. من الصعب دائمًا مواجهة الأشياء الفظيعة التي يمكن للبشر أن يفعلوها، لكن

انتصار الرواية يكمن في أنَّ شوغار ترفض أن تسمح باستمرار الصدمة التي عانت منها، ويترك القارئ ببعض الأمل.

”حكاية في الوقت الحاضر“ بقلم: روث أوزيكي

تدور حول كاتبة تُدعى روث تعيش في ديزوليشن ساوند، حيث تجد صندوق طعام ”هالو كيتي“ جرفته الأمواج إلى الشاطئ. داخل الصندوق، تكتشف مذكرات ومجموعة من الرسائل التي تأخذنا إلى عالم طالبة يابانية تُدعى ”ناو“، التي تكافح للتكيف مع حياتها، مما يجعل القراءة مؤثرة ومؤلمة. تغطي هذه الرواية الاستثنائية والمُجزية مجموعة واسعة من المواضيع المُزعجة بإنسانية عالية، وتطرح باستمرار معضلة كيفية العيش في الأوقات الصعبة.

”الفتاة المفقودة“ بقلم: جيليان فلين

عندما نبدأ بقراءة هذه الرواية، كل ما نعرفه عن إيمي دن هو أنها اختفت. يشعر زوجها نيك بالصدمة، ولكن إلى جانب روايته التفصيلية لما يحدث بعد اختفاء إيمي، ووالديها البائسين، والشرطة المشبوهة – يمكننا قراءة مذكرات إيمي، التي ترسم صورة مختلفة تمامًا عن علاقتها. لا أريد أن أكتشف الكثير، لكن هذا أحد الكتب التي أردت قراءتها مرة أخرى بمجرد انتهائها لأرى كيف حدث هذا.



قسم الراشدين في المكتبة

عندما كنت طفلة، كانت عائلتي وأصدقائي -غالبًا- ما يشعرون بالإحباط لأنني بمجرد أن أبدأ في كتاب، لم أكن أرغب في التوقف عن القراءة. جاءت إيلا لتقضي عطلة نهاية الأسبوع معي مرة، وكانت غاضبة لأنني كنت منغمسة في قراءة "جواهر المرأة" لباربرا تايلور برادفورد، ولم أكن أستطيع التوقف عن القراءة لتسليتها. ببساطة، لم أستطع! كنت بمجرد أن أبدأ قراءة قصّة، من الصعب عليّ جدًا أن أتوقّف. كان الأمر غير مريح، كما لو أنّ الأشخاص كانوا يتجادلون في رأسي وأني كنت أتخلّى عنهم في وقت أزمة. كنت قد انتقلت نهائيًا إلى قسم البالغين في المكتبة وكنت ألتهم كتب أجاثا كريستي.

لقد عشقت العالم الذي وصفته - كل تلك القطارات والرحلات البحرية والمنازل الريفية التي قد يموت فيها شخص ما فجأة، ولن تتم استعادة النظام والأمن إلا عندما يقوم هيركيول بوارو أو الآنسة ماربل بحلّ المشكلة. لا أعتقد أنه خطر ببالي مطلقًا أنني لو كنت في أحد تلك الكتب، لكنت خادمة رثة تكنس القضبان وتقذّم المشروبات بدلاً من أن أكون ابنة المنزل. ومع ذلك، فقد جعلتني كريستي أبدأ في علاقة تدوم مدى الحياة مع الجريمة الكلاسيكية التي لا تزال تبعث في نفسي العزاء والبهجة.

من دواعي حزني الشديد أننا لم نتعلّم التاريخ في المدرسة، بل درسنا شيئاً يُسمّى العلوم الإنسانية والذي يتضمّن رسم رسومات لا حصر لها للتكوينات الصخرية.

لقد ثَقَّفْتُ نفسي عن الملوك والملكات من خلال قراءة جان بليدي،
التي أَلَفْتُ الكثير من الكتب لدرجة أن لكتبتها رَفًّا كاملاً في المكتبة. فتتني
هنري الثامن وسعيه اليائس للحصول على ابن حي، وكاثرين دي ميديتشي،
التي سَمَّمت أعداءها وكانت تتجسس على زوجها.

ثمَّ اكتشفت نورا لوفتس في بيت إحدى معلّماتي عندما كنت أعمل
كمربية. كانت لوفتس تكتب عن الملوك، ولكنها كتبت أيضًا عن الناس
العاديين. الثلاثية التي بدأت بـ "منزل البلدة" تروي قصّة الناس الذين عاشوا
على قطعة من الأرض على مدى قرون. قرأتها مرارًا، وأنا أشعر بالدهشة من
كيفية تنقل السرد بين الشخصيات، وكيف أنّ القصّة -غالبًا- ما تكتسب
عُمقًا جديدًا عندما تُروى من منظور آخر.

أحببت الكتب الضخمة المليئة بالحكايات والمشاعر. كانت كاثرين
كوكسون واحدة من المُفضلات لديّ. قرأت "الفتاة"، "شعرة مالين"
و"الرجل الذي بكى". كان والدي يبكي كثيرًا، كلما سمع بشيء حزين. كان
يضحك بسهولة ويبكي ويجري دمعته بسهولة كذلك، ويختلف عن أمي
في هذا إلى حدٍّ كبير. كنا نقول -دائمًا- في عائلتنا إن ماتي كان يشبه
أمي منطقي، هادئ، جيد في الرياضيات، وأنا كنت أشبه والدي - عاطفية،
ثرثارة، محبة للغناء والقصص.

عندما ذهبنا إلى جنازة في أيرلندا، رأيت أنّ الرجال كانوا يبكون بطريقة
لم أستطع تخيل أي من آباء أصدقائي الإنجليز يفعلونها. كان هناك الكثير
من الغناء وسرد القصص، وكان والدي فخورًا بأنه سيكون لي دوري دائمًا.

عندما تمَّ عرض "ديانا" على التلفاز في أمسيات الأحد وقعت في حب أر. أف. ديلدرفيلد. ولم أستطع الانتظار لحين عرض الجزء التالي، لذا استعرت الكتاب من المكتبة وقرأت كل القصة، ثم انتقلت إلى رواية "من أجلهم جميعًا طوال عمري"، الذي يتحدث عن ديفي باوليت جونز، جندي يعاني من صدمة القذائف من وديان ويلز، يُعاد إلى الوطن في عام 1917 فيجد قسطنطين من الراحة كمدرس في مدرسة، رغم اعتراضه على سياسة معظم زملائه. مع اقتراب الحرب العالمية الثانية، يشعر كل من ديفي والقارئ بقدر كبير من الإرهاق بسبب موت المزيد والمزيد من الشباب.

آه، كم من الدموع ذرفت على هذه الكتب! إنها مليئة بالتاريخ الاجتماعي الذي أحبه -تحكي عن نوع التعليم المُتاح، كيفية إدارة الصحف المحليّة، طريقة حديث النساء عن شؤونهن الخاصة والحمل والولادة، وعن المهن- وهي كُتب مشوّقة مليئة بتحوّلات الحبكة التي تجعلك بالكاد تلتقط أنفاسك من الدهشة.

كان هناك الكثير من العلاقات في "طيور الشوك" بقلم كولين مكولوه، الذي يروي قصّة ميجي كليري، أصغر أفراد عائلة كبيرة، التي تعيش في مزرعة لتربية الأغنام في أستراليا مع عمته الغنية والمتأمرة ماري. تقع في حب كاهن، الأب "رالف دي بريكاسارت". ربما كانت "طيور الشوك" هي التي أثارت غضب عمتي كيتي كثيرًا. جاءت من أيرلندا لتقيم معنا في أحد فصول الصيف، ووبخت والدي لسماحه لي بقراءة كتب كذاك الكتاب. قالت "ستدمر عينيها وأخلاقها!".

كانت عمّتي كيتي تحاول دائماً أن تجعلني أتوقف عن القراءة وأقضي المزيد من الوقت في أداء الأعمال المنزلية. كانت تقول لوادي إنني لا أعرف ما هو "بذل الجهد"، وكانت تذكر باستمرار كم أذكرها بإحدى أخواته التي هربت إلى إنجلترا وساءت حالها. لم تكن الزيارة ناجحة. كنت أرى أن الوادي يريد أن يظهر لها مدى تطوُّره عن ذاك الطفل القذر الذي كان عليه، الذي كان يحتاج إلى التنظيف من القمل عندما كان يأتي ليقيم معها، لكنها ظلت لا تعجبها حياته الإنجليزية وأطفاله الإنجليز على الإطلاق.

كان هناك الكثير من المشاهد غير الأخلاقية في الروايات التاريخية التي قرأتها - غالباً ما كانت الحبكة بأكملها تعتمد على حدث لا أخلاقي -، لكنني الآن بدأت أقرأ عمّا يفعله الناس فعلياً... كانت هذه الكتب الجديدة ضخمة، بأغلفة لامعة وعناوين مكتوبة بخطٍ منحني. جاكى كولينز، جوديث كرانتز، دانييل ستيل - قرأتهم بسرعة، وأستوعب المعلومات الجديدة وأتساءل عن ماذا يمكن أن تكون عليه كلمة "خسيس غبي".

ثم اكتشفت متعة قراءة جيللي كوبر عندما وقع في يدي من الرف كتاب "إيموجن". إيموجن هي أمينة مكتبة وابنة كاهن من يوركشاير تذهب في عطلة مع خطيبها لاعب التنس إلى جنوب فرنسا. شعرت ببعض الإحراج عندما أعدت "إيموجن" إلى مكتبتني المحليّة والمرأة خلف المكتب - التي بدت لي كبيرة في السنّ جدّاً لكنها ربما كانت في العُمر الذي أنا فيه الآن - قالت: "آه، هذه تحتوي على أمينة مكتبة، أليس كذلك. هل هي قصةٌ جيدة؟" احمرّ وجهي. لم أكن أعرف كيف أجيب وفكّرت فوراً بأنها عجوز ولا يسمح سنّها بالاهتمام بالشرح .

قرأت كل روايات جيللي كوبر - ومجموعاتها من المقالات عن الحياة في بوتني. كانت شخصياتها - غالبًا - قراءً، كُتّابًا أو صحافيين، وكنت أتشوّق إلى هذا السحر. ما زلت أحبهم وأفكر فيهم دائمًا عند فتح جرّة جديدة من القهوة، كما يقول أحد رجال جيللي.

أذهلني كتاب "الركاب". في المدرسة الابتدائية أخذونا إلى "كارلتون تاورز" لرؤية الصيد. كان الجو باردًا جدًّا، وكانت الخيول ضخمة، والرجال في معاطفهم المُلوّنة يتناولون المشروبات والعصائر من صوان فضيَّة. ساعدتني تلك الذكرى في تخيُّل العالم الذي كُنت أقرأ عنه، المليء بالأشخاص الأنيقين، والخيول والحب والعلاقات.

روبرت كامبل بلاك هو فارس عروض غني وسلوكه سيئ جدًّا، لكنه موهوب وساحر. هيلين ماكولاي هي أمريكية في لندن تحاول شفاء قلبها المكسور بعد علاقة حب فاشلة، بانهيار عصبي وبالرسوب في الكلية. إنجلترا باردة، بنسيونها رائحته مثل رائحة القطط، وأخلاق الرجال الإنجليز يخيبون أملها، حيث لا يشبهون دارسي، روتشستر أو هينكليف، ولا هم ينظفون أنفسهم بغسل شعرهم كما يجب. هيلين تعمل في دار نشر، لكن "النعمة السابقة في الحصول على أجر مقابل القراءة طوال اليوم سرعان ما تلاشت بسبب رداءة المخطوطات عالميًّا إلى حدٍّ ما".

أحد زملاء هيلين نباتي يُدعى نايجل ذو رقبة نحيفة مثل الإوزة. يمطرها بوابل من الأدب اليساري ويأخذها لقضاء يوم مع أصدقائه المُناهضين لصيد الثعالب. عندما يرى روبرت هيلين، يقول لها إنها جميلة جدًّا بحيث

لا ينبغي لها أن تكون مع المُنَاهِضِينَ، وبعد أن يقبض على نايجل متلبسًا وهو يقوم بنفريغ الهواء من إطارات سيارة حمل الخيول خاصته، يضربه، ويسرق دفتر عناوينه، يجد رقم هيلين ويتصل بها ليطلب منها الخروج. يشعر القارئ بالفضول، مثلما شعرت هيلين تمامًا، مع استمرار قراءة صفحات الرواية، ينجذب كل من هيلين والقارئ، مأخوذين، ومشمئزين، لكن في النهاية غير قادرين على المقاومة. ما كان عليّ أن أحب روبرت كثيرًا، لكنني أحببته.

في المدرسة كنا نقرأ "جين أير" ونتعلّم عن الأخوات برونتي الموهوبات اللاتي كن يعشن في منطقة المُستَنقعات، ويمتن واحدة تلو الأخرى. كان والدهن، باتريك، أيرلنديًا ووالدتهن، ماريا، من كورنوال، مما جعلني أفكر أنني ربما أصبح كاتبة مثلهن يومًا ما. كانت قراءة شكسبير عذابًا، لأنه لم يكن أحد منّا يفهمه. كان الوقت يمرُّ ببطء علينا جميعًا -بمَن في ذلك معلمنا المسكين، بلا شك- ونحن ندرس "تاجر البندقية".

لا أعتقد أنني كنت مدركة أنه يفترض ببعض الكتب أن تكون أفضل من غيرها، ولم تكن لديّ أي فكرة عن ماذا تعني "الكتب رفيعة المستوى" مقابل "الكتب منخفضة المستوى". كان والدي يعدُّ القراءة قوةً سحريةً، ولم يخطر بباله (ولا يزال لا يخطر بباله) اعتبار بعض الكتب أدنى من غيرها. لا بد أنني أدركت أنني كنت أكتب مقالات عن جين أوستن وليس عن جيللي كوبر، لكنني لا أذكر أي إحساس بأن الكتب التي كنت ألتمها التهامًا كانت تافهة أو أنها كانت متعة ممنوعة أو أي شيء من هذا القبيل. ربما كنت أعتقد أنّ الكتب القديمة هي كتب كلاسيكية وجديرة بالدراسة

-شكسبير، ديكنز، أوستن، برونتي- أما الكتب الجديدة فهي للمتعة والتسلية فقط.

عندما درسنا جين أوستن، أعطاني عمي ريتشارد نسخته الخاصة من رواية "كبرياء وتحامل"، والتي كانت ملاحظاته مدوّنة فيها على الهوامش، بخط يده الأنيق -أتمنى لو كانت ما تزال في حوزتي- وأطلعني على مقالة كتبها عنها عندما كان في كلية تدريب المعلمين. وكان في كل المقالة يشير إليها باسم "الآنسة أوستن" فحذوت حذوه. منحتني معلمتي درجة A+ لمقالتي، لكنها شطبت كلمة "الآنسة" بالقلم الأحمر، وقالت إنه غير ضروري.

قرأت رواية "كبرياء وتحامل" ربما خمسين مرّة منذ ذلك الحين ولم تخيبيني قط. هل هي قصّة حب؟ أعتقد ذلك، ولكنني أستمتع بالشخصيّات المُتعجرفة والأنانية: السيد والسيدة بينيت، هو متعالٍ وهي سخيّة وفظة، السيد كولينز المُخيف.

تسأل ليزي والدها عندما تقرأ رسالته التي اتّسمت بالمبالغة الطنّانة: "هل يمكن أن يكون رجلاً عاقلًا؟".

كنت شخصيّاً، كثيرًا ما أستخدم هذا التوجّه عندما أتحدّث عن بعض السياسيين الذكور أو أي شخص يتصرّف وكأنه شخص ذو أهمية كبيرة.

أحب كارولين بينجلي الفضيعة والغيورة وأتعاطف مع ليديا الأصغر سنًا المُفعمة بالحيوية، والأكثر جرأة، التي تهرب مع السيد ويكهام وتتزوجوه وهي ما تزال في الخامسة عشرة.

ليس من المفترض أن نوافق على سلوكها، لكنني كلما تقدّمت في العمر، زاد اعتقادي أنه من المهم أن نتبنّى ليدنا التي في دواخلنا بدلاً من محاولتنا أن نكون طيبين مثل جين أو محبوبتين مثل ليزي.

لم أدرك في ذلك الوقت، أنه قد تكون شخصيات جيللي كوبر النسائية هي أحد الأسباب التي جعلت كتابتها تبهجني كثيراً. الأدب بشكل عام، أو كل ما قرأته حتى ذلك الحين، كان يعاقب النساء اللاتي لديهن ميول يعتبرها متحررة زيادة عن اللزوم. في كتبي "آن"، التي أحبها، كان لدى روبي جيليس الكثير من المعجيين وانتهى بها الأمر بالموت بسبب السل كأجمل جثة رأتها السيدة ليند على الإطلاق. من الصعب ألا نرى ذلك كعقاب على كل ذلك الانفلات^(١). الاستسلام لهوى النفس لم ينته بشكل جيد بالنسبة لآنا كارينينا أو إيما دو بوفاري أيضًا.

سنكون مرتاحًا يا عزيزي القارئ، عندما تعلم أنني لا أنوي الخوض في التفاصيل - ولكن يكفي أن أقول إنّ الأدب لم يفعل شيئاً في هذا الصدد، في سبيل إعدادي للحياة الواقعية. لم ألتقي أبداً بأي شخص يشبه جيلبرت بليث أو روبرت كامبل - بلاك أو مارك دارسي، أو حتى السيد ويكهام. كان الجميع يقولون إن دي. إتش. لورانس جذّاب، لكنني اعتقد أنني اضطررت لإعادة قراءة فصول وأقسام من رواياته لمحاولة فك غموضها أحياناً..

بعد بضع سنوات من قراءة رواية "رايدرز"، كان لديّ صديق ينتمي إلى حزب العمّال الاشتراكي، وكان دائماً يتحدث عن المسيرات التي شارك فيها،

(١) الروايات تقدم دروساً أخلاقية غير مباشرة.

على الرغم من أنه لم يشارك في أي منها في الأشهر التي عرفتة فيها. كان نشاطه يقتصر على انتقاد الجميع والصراخ على الشرطة عندما يكون غير متمالك لوعيه. ليتني أدركت في ذلك الوقت كم كان يشبه نايجل، وكم كنت أشبه هيلين، المُتلهفة لحياةٍ أكثر نبضًا.





العزاء الدائم في الجريمة

ربما يتمُّ تكوين ذائقة كَلِّ القُرَّاء الصغار على حبِّ روايات الجريمة من خلال قراءة قصص إينيد بليتون. لم أفهم مطلقًا سبب استمتاعي بالألغاز كثيرًا - ربما يعود الأمر لأنَّ النظام يستعاد في آخر اللُّغز.

إعادة قراءة رواية لأجاثا كريستي تشبه حل الكلمات المُتقاطعة المُعقدة، ولكن دون بذل أي جهد. إليكم المُغامرات الأولى لبعض المُحققين الذين أستمع بهم كثيرًا. لا يوجد فيها ما هو مقلق أو بشع، وليست حديثة جدًا.

”قضية ستايلز الغامضة“ بقلم: أجاثا كريستي

كُتِبَتْ عام 1916 ونُشِرَتْ عام 1921، إليكم أول نظرة لنا على هيركيول بوارو الأسطوري من خلال عيون صديقه، الراوي، الكابتن هاستينغز: كان بوارو رجلًا صغيرًا ذا مظهر غير عادي. لم يكن طوله يزيد عن خمس أقدام وأربع بوصات، لكنه كان يتصرَّف برزانة وكرامة قوية ويجتهد اللطف. كان رأسه على شكل البيضة تمامًا، وكان دائمًا يميله قليلًا إلى جانبٍ واحد..

شاربه كان صلبًا جدًا وعسكري الطراز. تكاد دقة ترتيب ملابسه لا تصدِّق؛ أعتقد أنَّ ذرة من الغبار كانت ستسبب له ألمًا أكثر من جرح رصاصة. ومع ذلك، هذا الرجل الصغير الأنيق ذو الطابع الغريب، والذي، للأسف، يعرج بشكلٍ واضح الآن، كان في زمانه واحدًا من أشهر أعضاء الشرطة البلجيكية.

”جريمة قتل في مقر الكاهن“ بقلم: أجانا كريستي

عندما يعاتب كاهن سانت ماري ميد الآنسة ماربل المُستَنة على النسيمة والقييل والقال، تقول: ”أنت غير متمرس في شؤون الحياة“. أخشى أنه بملاحظة الطبيعة البشرية لفترة طويلة كما فعلت، يصبح المرء غير قادر على توقع الكثير منها.

أجرو على القول إن الثروة التافهة قاسية، وخطأ فادح، ولكنها غالباً ما تكون صحيحة، أليس كذلك؟ عندما يُقتل العقيد بروثيرو بالرصاص في مكتب القس، فإن الآنسة ماربل هي التي ستكشف النقاب عن المجرمين. طوال حياتها المهنية الطويلة، تنسب حكمتها إلى حقيقة أن ”المرء يرى الكثير من الشر في القرى“.

”الخصم السري“ لأجانا كريستي

يظهر تومي وتوبنس في هذه المغامرة المثيرة التي تتعلّق بوثنائق مسروقة ومؤامرات عالميّة، حيث تدور أحداث القصة مباشرة بعد الحرب العظمى، وكان كلاهما في حالة سيئة. على عكس بوارو وماربل، يتقدّم تومي وتوبنس في العمر بمرور الزمن، مما يضيف بُعداً ممتعاً. يستمران في العمل كمُحقّقين خاصّين في رواية ”شركاء في الجريمة“، ويصبحان جاسوسين في منتصف العمر في ”N أو M؟“، ويستمران يحلّان الألغاز في شيخوختهما في ”بواسطة وخز الإبهام“ و”بوابة المصير“، الرواية الأخيرة التي كتبها كريستي، والتي نُشرَتْ في عام 1973، سنة ولادتي.

”القناع الرمادي“ لباتريشيا وينتورث

أنا من المُعجبين الكبيرين بالسيدة سيلفر، التي تقتبس من تينيسون أمام عملائها -”ثق بي في كل شيء أو لا شيء“-، والتي -غالبًا- ما تروج لعلاقة حب في الوقت نفسه الذي تحلُّ فيه جريمة. هذه هي الألغاز اللطيفة المليئة بالتفاصيل المثيرة حول النقيضين، والانقطاعات، وكيفية عمل خطوط الهاتف. ”القناع الرمادي“ ليس الأفضل، لكنه قراءة ممتعة، وإذا كنت سابدأ في أي سلسلة، أعتقد أنني سابدأ من أولها.

”جَسَدُ مَنْ؟“ لدوروثي سايرز

عندما يُعثر على جثة في حوض استحمام، يتورّط اللورد ”بيتر ويمسي“ ويكتشف قصة من الغيرة والانتقام. كانت أناقة اللورد بيتز تزعجني، لكن بعد قراءة مقابلة مع سايرز ذكرت فيها أنها كانت فقيرة جدًا عندما ابتكرته واستمتعت بإعطاء شخصية روايتها القدرة على الإنفاق لحضور مزادات الفنون والتجول في سيارات فاخرة. (جَسَدُ مَنْ؟) هو أول رواية، لكنني مازلت أفضلها عن ”السم القوي“ وما جاء بعدها، حتى ظهرت ”هارييت فين“، الكاتبة المُتهمة بالقتل. روايتي المُفضّلة هي ”الليلة الكبيرة“، التي نُشرَتْ في عام 1935، وهي مثيرة جدًا، وتدور حول ما إذا كان يجب على النساء الاختيار بين الحياة الأسرية والحياة الفكرية.

”غطي وجهها“ بقلم: بي. دي. جيمس

آدم دالغليش شاعر وشرطي. لقد قرأت كل ما كتبته بي. دي. جيمس، وأحب كيف أن شخصياتها دائماً ما تقتبس من شكسبير في أثناء التحقيق في الجرائم. عندما قرأت رواياتها لأول مرة، اعتقدت أن مثل هؤلاء الأشخاص لا بد وأنهم موجودون في العالم الحقيقي وأردت العثور عليهم. لقد استنتجت، مُكرَهَةً، أن اقتباسات رجال الشرطة والشعراء من شكسبير ليست منتشرة بشكل كبير في الحياة الحقيقية.

”طعم مريّر للعظام“ بقلم: إليس بيترز

رأى الأخ كادفيل العالم، بعيني جندي في الحروب الصليبية، وعرف حب النساء قبل أن يصبح راهباً في دير شروزبري. في هذا اللُّغز، يعتزم بعض إخوة كادفيل، الأقل نزاهة، المطالبة بعظام قديس ويلزي، وكأنها ملكٌ لهم. تظهر هذه السلسلة الرائعة الإنسان بخيره وشره. إنَّ الطمأنينة التي في حضور كادفيل وهو يعتني بحديقته ومزروعاتها من الأعشاب، وهو يلقي النكات اللطيفة، وينجح في تخفيف ظلم الحياة في الكثير من الأحيان، هو مدعاة للسكينة إلى حدٍّ كبير.

مرحبًا أيها الحزن⁽¹⁾

في عام 1989، عندما كنت في السادسة عشرة من عمري، انتقلنا إلى نزل "بيل آند كراون" في بلدة سنايث -مقابل المكتبة تمامًا- واستبدل والدي العمل الشاق تحت الأرض بالعمل بالمقهى الخاص به. شعرت وكأنني شخصية في رواية لنورا لوفتس، وكنت أنزل إلى القبو -الجزء الأقدم من المبنى، الذي يعود تاريخه إلى عام 1633- وأتخيّل ما قد حدث هناك في الأزمنة الماضية.

تأقلمت مع العمل في المقهى وكأنني وُلدت من أجله. أحببت الأحاديث والنكات ومقابلة الكثير من الأشخاص الجدد. كانت ليالي الجمعة والسبت مزدحمة للغاية وتركزت بشكلٍ رئيسي على تقديم المشروبات بكفاءة، ولكن في ليالي الأسبوع، كانت لدينا فرقٌ تلعب الألعاب.

انضمت ولعبت رمي السهام يومي الاثنين والأربعاء، وغالبًا ما كنت أذهب مع فريق الرجال يوم الخميس. تعلّمت أيضًا لعب الدومينو؛ لعبة تُسمّى "فايبس آند ثريز" كانت في الأساس نسخة للبالغين من "فيز بز"، لكن الآن كنت أتمكّن من إجراء الحسابات. أكثر ما أحببته كان الأحاديث التي تدور حول المباريات. غالبًا ما كان والدي يقول إنه يشعر وكأنه كاهن في صندوق الاعتراف، حيث يروي الناس له أسرارهم، لكن معظم ما

(1) العنوان مُترجم عن الفرنسية "Bonjour Tristesse": هو عنوان رواية فرنسية شهيرة للكاتبة فرانسواز ساجان، نُشرت لأول مرة عام 1954. تعني العبارة "مرحبًا أيها الحزن" باللغة الفرنسية. الرواية تدور حول فتاة مراهقة تُدعى سيسيل وعلاقتها المضطربة مع والدها وعشيقته الجديدة، حيث تتناول مواضيع مثل الحزينة الشخصية، الأخلاق، والتمرد.

تعلّمته كان من خلال التنصت. احتفظت به لنفسي. لم أكن مهتمة بكشف سلوك أي شخص، بل شعرت بأنني محظوظة لتعلّم الأشياء عن الناس من الحياة، وكذلك من الكتب.

في روايات أجاثا كريستي، غالبًا ما يتم تهميش الطبقات الدنيا بسبب مستوى وظائفهم أو زهيم الرسمي لدرجة أنه يمكنك ارتكاب جريمة بارتداء زي خادم، خادمة، شرطي أو مضيف دون أن يلاحظك أحد أو أن يراك كإنسان. العمل كنادلة في المقهى يمنحك صفة اللامرئية. غالبًا ما ينسى الناس أن لديك أذنين وعقلًا، بالإضافة إلى الأيدي التي تصبّ المشروبات، لذا يتحدّثون بحريّة أمامك بطريقة لم يكونوا ليقوموا بها لو لم تجعلك وظيفتك غير مرئي. لذلك كانت أذناي وعينا في حالة تأهب؛ كنت أعلم بالفعل أنه يمكن لقرية صغيرة واحدة أن تعلّمك كل ما تحتاج إلى معرفته عن الحياة، لأنّ هذه هي الطريقة التي كانت بها الآنسة ماربل حكيمة للغاية.

كانت مراقبة سلوك البالغين من خلف طاولة القهوة، أمرًا رائعًا، إذ لم يكن لديهم أي فكرة عما يكشفونه عن أنفسهم، خاصة بعد تناول القليل من القهوة.

في بعض الأحيان، كنت أعلم أن هناك علاقة ستحدث قبل أن يعيشها أبطالها. وفي تلك المرحلة علمت أن كبار السيّ ما زالوا بالتأكيد مهتمّين بالحياة، ومن المرجح -تقريبًا-، أنهم كانوا مثل أفراني.

قليلون جدًّا من الناس في هذا العالم الجديد من يقرأ الكتب. قال لي زبون ذات يوم عندما أخبرته أنني أرغب في الذهاب إلى الجامعة: "التعلُّم من الكتب لن يجعلك تحصيلين على زوج، عليك أن تكوني حذرة حتى لا تظلي على الرف".

لكنهم أحبوا رغبتني في الكتابة: "ضعي لي مكانًا في كتابك، يا حبيبتي، لقد حدث لي الكثير. رغم أن لا أحد سيصدِّق ذلك".

كنت أَسْتَقِل الحافلة إلى سكونثورب كل يوم، حيث درست مستويات "A" في الإنجليزية والفرنسية ودراسات المسرح. هناك، توسَّع عالمي بطريقة مختلفة. شعرت في البداية ببعض الغباء، كالْفأر الريفي مقارنةً بهؤلاء الأطفال من المدارس الكبيرة. معظم آبائهم كانوا معلمين، وكان ذلك يمثل أعلى درجات الرقي بالنسبة لي في ذلك الوقت، وتخيلت أنهم يناقشون الشعر في أثناء الإفطار. في مقالٍ مبكِّر، كتبت عن شخصٍ يقوم بـ "صورة ذهنية"، وصحَّحها المعلم باللون الأحمر: "هل تقصدين صورة؟" نعم! كنت أقصد ذلك.

تعلَّمت الكثير من المفردات الجديدة، بما في ذلك أن كتابة الملاحظات على الصفحة تعني التعليق عليها. في المرَّة الأولى التي جربت فيها ذلك -بفخرٍ كبير، في إشارةٍ إلى "السيد بليني" لفيليب لاركن- أخطأت وقلت "شريحة" بدلًا من ذلك. ما زلت أتذكَّر ذلك الشعور بالخجل الشديد عندما ضحك الجميع.

كان كل شيء يسير على ما يُرام. حصلت على تقدير "A" في مقالي عن "الناقوس الزجاجي" لسيلفيا بلاث، وعلمت نفسي أن أحب الزيتون بعد قراءة مسرحية لألان بينيت، لأن إحدى الشخصيات فيها تحب الزيتون. لم أستطع تصديق حجم المكتبة - كانت بحجم قاعة مدرستنا - واندفعت لقراءة قوائم الكتب. توسّعت رؤيتي للعالم وأنا أقرأ "مكتبة حوض السباحة" و"البرتقال ليس الفاكهة الوحيدة" و"أعرف لماذا يغني الطائر الحبيس" و"اللون الأرجواني" و"إذا كان هذا رجلاً". كان عالمًا جديدًا وشجاعًا. وبعد ذلك كان هناك الشعراء: فيليب لاركن، سيلفيا بلاث، تيد هيوز وتوني هاريسون. جاءت ليز لوكهد لزيارتنا - أول مرّة أرى كاتبًا بشخصه - وتحدّثت عن إيجاد القصائد في الحياة اليومية. قرأت لنا واحدة كانت محادثة سمعتها في غرفة تبديل الملابس.

بعد ذلك بدأت أكتب الأشياء التي يقولها الناس في المقهى، وأتساءل كيف يمكنني أن أصنع قصّة منها؛ على الرغم من أنني كنت أعتقد أن حياتي لم تكن مليئة بالأحداث بما فيه الكفاية. كنت أنوق إلى الإثارة والمغامرة، ليس فقط لأنني أردت أن أعيش، بل لأنني أردت أن يكون لديّ ما أكتبه.

أول كتاب قرأته لجوليان بارنز كان "ميترو لاند". يبدأ في عام 1963، مع الراوي البالغ من العمر ستة عشر عامًا كريستوفر، الذي يحاول تجاوز رتابة المدرسة والضواحي والارتفاع فوقها.

لاحقًا في الرواية، يذهب بطل القصة على باريس ويتعرف على أصدقاء
ويحب ويتزوج، حيث يقوم بالأبحاث، ويعيش في شقة صغيرة بأرضية
متهالكة تصدر صوت صرير، ويكوّن بعض الأصدقاء، ويلتقي بزوجه،
حب حياته .

كنت أتساءل، هل يمكنني أن أفعل ذلك أيضًا؟ أن أعيش في باريس
وأزور المعارض الفنية وأكوّن صداقات وأعيش حبًا حقيقيًا مع أشخاص
فرنسيين؟

قرأت نسخة المكتبة من **”ميترولاند“** لكنني اشتريت نسختي الخاصة
بعد ذلك. كانت مكتبة غرقتي فوق المقهى تخضع لتحوّل، حيث أخذت
الكتب الرقيقة ذات الأغلفة البيضاء مكان الكتب السمكية ذات الأغلفة
اللامعة. قرأت **”تاريخ العالم في 10 فصول ونصف“** وأحبته أكثر، خاصة
النصف فصل فيه عن الحب، وكنت أعلن بثقة كبيرة، لأي شخص يستمع
إليّ، أن بارنز **”بارع في تناوله الحب“**.. أميل إلى النظر بازدراء إلى غرور
نفسي الصغيرة، لكن ربما لا ينبغي لي، لأنها كانت محقة. بارنز جيد في
الحب. خذ هذا، على سبيل المثال: **”يجب أن نكون دقيقين بشأن الحب.**
آه، ربما تريدون أوصافاً ملموسة، مثل لون شعرها مثلاً. (حسنًا، عذرًا) لا،
ما يعنيه أن نكون دقيقين بشأن الحب هو الانتباه إلى القلب، نبضاته،
يقيناته، حقيقته، قوته - وعيوبه“. أليس هذا جيدًا؟

لا عجب أنني وقعت في حب الكتب، ففي حياتي الحقيقية كان
الناس الذين أخدمهم في المقهى - غالبًا- ميسألوني عن لون شعر رأسي

الحقيقي.. آن شيرلي ضربت زوجها المُستقبلي جيلبرت بليث على رأسه بلوح عندما دعاها بـ "جزرة". لم يكن لديّ خيار سوى أن أرمقهم بنظراتي الهازئة وأتمنى أن أشارك، يومًا ما، بمُحادثة أكثر تنويرًا وأرفع مستوى. قراءة "ببغاء فلوبيير" حدّدت مصيري فيما يتعلّق بما يجب القيام به بعد ذلك. قرّرت أن أدرس الفرنسية في الجامعة حتى أتمكّن من قضاء عام في كلية في باريس وأقرأ "مدام بوفاري" باللغة التي كُتبت بها، بينما كنت أُنسكع، أشرب القهوة، وأتحوّل إلى مثقفة.

"بونجور تريستيس" أو "مرحبًا أيها الحزن" كانت أول رواية بالفرنسية أقرأها واستمتع بها. اضطررت، كان عليّ الخوض في رواية "فوا" لهنري ترويا أولًا، لكنني لم أرغب في قراءة قصص مُملة عن الأطفال. أردت الحب والمتعة والندم، ووجدتها في "مرحبًا أيها الحزن". أتذكّر رؤية صورتي منعكسة على نافذة الحافلة بينما كنت أقلب الصفحات الأخيرة. إنها أنا! وأقرأ رواية بالفرنسية. عندما نُشرَت الرواية كان عُمرِي سبعة عشر عامًا، نفس عُمر الراوية، سيسيل، وأصغر بعام واحد فقط من مؤلّفها، فرانسواز ساجان.

حقّقت "مرحبًا أيها الحزن" نجاحًا كبيرًا بسبب طبيعتها الفضائية في فرنسا عندما صدرت في عام 1954 وعُبرت القناة خارج فرنسا في العام التالي.

العنوان يُترجم حرفيًا إلى "مرحبًا أيها الحزن"، وهو ما يبدو غريبًا بالإنجليزية. إنّ عنوانًا مثل "إذن، هذا هو الحزن" سيكون أفضل تعبيرًا.

هناك قوة ونشاط كبيران في سيسيل. ماتت والدتها عندما كانت في الثانية من عُمرها، وهو ما نعرفه لأنها تخبرنا أنَّ والدها، ريموند، كان أرملاً منذ خمسة عشر عامًا. هو لطيف وكريم ومسلٍ. تتقبل سيسيل ذلك الأمر ببساطة، ولكن عندما يعلن ريموند أنه يخطط للزواج من امرأة عاقلة وأكبر سنًا، تخشى سيسيل أن حرَّيتها ستُفقَد.

تبدأ في تخريب العلاقة بينهما فتنجح نجاحًا أكبر مما تخيلته.

لا تزيد "بونجور تريستيس" أو "مرحبًا أيُّها الحزن" عن 30,000 كلمة، ولكنها ترسم صورة خطيرة الشباب، وتلك اللحظة التي تُدمر فيها البراءة، ويكشف فيها العالم عن قسوته وتعقيدته بشكلٍ أكبر مما كنا نتخيَّله.

أودُّ أن أترك الأمور هنا وأبقى على ذكرياتي وأنا في عمر السابعة عشرة -فضولية، ذات آراء، منفتحة، نشيطة، ليست ذكية كما تعتقد، شديدة الشغف بالمغامرة، تريد أن تجرِّب الحياة- كما لو أنَّ الزمن لا يتحرَّك. ومع ذلك، يجب أن أخبركم بما حدث بعد ذلك. في الصيف بعد سنتي الأولى في سكُنثورب، بعد بضعة أشهر من فوزي كأصغر بطلة، على الإطلاق، في مباراة السهام للسيدات لمنطقة سنيث، وقبل أسبوعين من إعلان نتائج امتحانات أخي (ماتي) كأفضل طالب في مدرسته، تعرَّض أخي للدهس بواسطة سيارة في طريق مظلَم قرب المقهى. لم يتعافَ أبدًا من إصاباته، ولم أتعافَ أنا -أيضًا- إلى حدٍّ كبير. بالفعل، مرحبًا أيُّها الحزن.



كُتُب المقاهي

لا يحصل أصحاب العقارات على صحافة جيدة في الأدب. غالبًا ما يكونون جشعين، أو عنيفين أو متحالفين مع العالم السفلي. روايات الجريمة تصلح للقراءة في المقاهي. يقضي المُحقق إيان رانكين ريبوس الكثير من الوقت في الشرب في المقهى. تعجبني روايات كورموران سترايك التي كتبها روبرت غالبريث، خاصة وأن رواية المُحقق المحلية "النصر في سانت ماويس" قريبة من المكان الذي أعيش فيه الآن في كورنوال، كنت أشرب العصير أو القهوة في المقاهي التي يتردد عليها سترايك بالقرب من مكتبه في لندن.

تتميّز روايات جورجيت هبير بوجود الكثير من النُزل وبيوت التدريب، وغالبًا ما يكون مدير المقهى من المعدن الجيد من الرجال الذين بإمكانهم التعامل مع الأوضاع المختلفة. تحصل المقاهي على دور البطولة في المسلسلات التليفزيونية التي تظهرها في قلب المُجتمع، كما كان حالنا بالفعل، وعندما حاولت كتابة رواية تدور أحداثها في قلب المقهى أدركت أنني كنت أكتب فعليًا رواية مقهى إيست إيندرز.

مقهى الأزرق هو المقهى الموجود في سانت ماري ميد، لكن الآنسة ماربل، بالطبع، لا تذهب إليه أبدًا.

"متجر على جانب الطريق" بقلم: نورا لوفتس

تتخيل لوفتس سكان نُزل من العصر الروماني حتى عام 1975، وهو الوقت الذي انتهت فيه من كتابة الرواية.

بدأ متجر (الثور الواحد)، كمتجر بأرضية مرصوفة بالفسيفساء، ثم أصبح منزلًا للتدريب، ثم مقهى، قبل أن يتحوّل إلى مطعم. تواجه الأسرة، على مِرّ السنين، تحديات مختلفة، بدءًا من الغزو العنيف وحتى افتتاح مؤسسات منافسة، أو حتى تغيير المسار الذي تسلكه حافلة البريد. هناك أيضًا الكثير عن المقاهي في ثلاثية "سوفولك لوفت" تكتب بشكل جميل عن دوافع ورغبات الناس العاديين عبر العصور.

"نزل جامايكا" بقلم: دافني دو مورييه

بعد وفاة والدتها، غادرت ماري يلان هيلفورد لتعيش مع عمّتها بيشنس وزوجها جوس ميرلين، مالك نزل جامايكا. حتى في أثناء سفرها إلى هناك، يحذرها كل من تقابله بأنّ تباعد. النزل مكان غريب وصاحبه رجل جلف وقاسٍ. استلهمت هذه الرواية الغريبة والمُقلقة عندما كانت دافني دو مورييه تركب مع صديق لها في بودمين مور في ثلاثينيات القرن الماضي وصادفت نزل جامايكا على أرض الواقع.

"المتوحش الجميل" بقلم: فيليب بولمان

في الرواية الأولى من ثلاثية الغبار لبولمان، نلتقي بطلتنا ليرا وهي طفلة. مالكولم، الصبي الذي يساعدها، هو ابن مالك العقار. يقع مقهى والديه على ضفاف النهر وتسمّى التروت (سمك السلمون المرقط). أتعرف على مالكولم باعتباره ابن زميل مدير المقهى؛ عليك أن تكون دائمًا على استعداد لتقديم المساعدة، وستتمكن من رؤية وسماع أشياء لا يراها معظم الأطفال، وهو أمر ممتع في كثيرٍ من الأحيان ومثيرٌ للقلق في بعض الأحيان.

رواية "البؤساء" لفكتور هوجو

ربما تصف الكثير عن نوع المراهق الذي كنت عليه، فعندما ذهبت في إجازتي الأولى مع الأصدقاء -إلى مايوركا عندما كنت في السادسة عشرة من عمري- بدلاً من أن يكون والدي معي، أخذت معي نسخة من رواية "البؤساء"، وأخذت أقرأها بين الرقص وشرب العصائر والتعرُّض لحروق الشمس على الشاطئ. السيد ثيناردييه هو السيد المخادع الذي تمَّ إحياءه لجمهور أوسع في المسرحية الموسيقية. ينجح هو وزوجته دائماً في الاستفادة من أي موقف، ويقومان بعملٍ شرير مزدوج معتبر. كنت أنا وأبي نغني أغنيتهما "سيد البيت" في المقهى كجزء من ليلة الأحد الغنائية.

«الكعك والشراب» للكاتب ديليو سومرست موغام

تدور معظم أحداث هذه الرواية في القسم الأدبي من لندن وليس في المقاهي، لكنني أدرجتها في صورة روزي دريفيلد التي سيصبح زوجها، تيد، مشهوراً ككاتب في وقتٍ لاحق من حياته. عندما التقى الراوي بعائلة دريفيلد لأول مرّة، كان لا يزال في المدرسة الثانوية ويكتشف شائعات حول روزي، التي عملت نادلةً في مقهى "سلاح السكة الحديد وريش أمير ويلز"؛ لكن يبدو أنه لا يدرك كم أنّ هذا مخزٍ. تقول روزي: "لقد عشت وقتاً نادراً عندما كنت نادلة، لكن بالطبع لا يمكنك الاستمرار إلى الأبد". "عليك أن تفكّر في مستقبلك".

”القمر الذي تحت الماء“ بقلم: جورج أورويل

هذه مقالة تبحث عن المفهـى المـثالي. يريد أورويل حصر لعبة السهام في المنصة الأساسية، بحيث تقلُّ احتمالات إصابة شخص عن طريق الخطأ، مما يجعلني أتساءل عن نوع المقاهي التي كان يرتادها، لأنه ليس هناك لاعب جيد يعرّض أي شخص للخطر، على الرغم من أنَّ السهام يمكن أن ترتد أحيانًا بزاوية غريبة.. وهو دقيق من ناحية نوع النادلات اللاتي ينبغي أنهن يعرفن أسماء عملائهن ويهتمن بحياتهن. لقد كنت دائماً من هذا النوع.

ما بعد

من الصعب الاستمرار في الحياة اليومية مع العواقب عندما يحدث شيء بهذا الحجم - أفكر الآن في الحادث باعتباره قنبلة يدوية انفجرت في عائلتي الصغيرة الجميلة.

لم يمت (ماتي) في الليلة التي صدم فيها، لكنه لم يستعد وعيه أبدًا. في الأيام الأولى، كنت أستيقظ في كثير من الأحيان وأنا أظن أن الأمر برمته مجرد حلم، وأنني سوف أشعر بالارتياح قبل أن يعود الواقع البارد ليفرض نفسه من جديد. كانت هناك امرأة على جدار غرفة نومي، وكنت أسحب نفسي وأجلس على حافة السرير وأنظر إلى عينيّ الجامحتين الحزينتين بينما أواجه حقيقة ما حدث مرة أخرى. في كثير من الأحيان، أستيقظ بوجود علامة على وجهي، طرف حاد ترك أثره بطبعة على جلدي، من الكتاب الذي غفوت عليه. وهذا من شأنه أن يبهجنني بما يكفي لأنهض وأمضي قُدماً في يومي، وكأنه شعاع صغير من ضوء الشمس يشق طريقه عبر السحب الداكنة.

في السنوات التي تلت ذلك، كنت أتأرجح دون أن أعرف ماذا أفعل بنفسي، لكنني وجدت في القراءة وسيلة فعّالة للتأقلم العاطفي والجمالي. لم أعد أستطيع كتابة أي شيء. جمعت مذكراتي وألقيتها في القمامة في الجزء الخلفي من المقهى. لقد ساعدتني الكتب، لأنني لم أكن أحب أن أشرب حتى لا تصبح الكلمات تسبح في ذهني. لم أستطع تحمّل البقاء وحدي مع أفكاري، لذلك كنت بحاجة إلى الاستمرار في القراءة حتى أغط

في النوم، والغرفة مضاءة. وبعد بضع ساعات كنت أستيقظ، وأجد نفسي ما زلت ممسكةً بالكتاب.

لم يكن هناك كتابٌ محدّد ساعدني على النجاة في ذلك الوقت؛ بل كانت عملية القراءة بحدّ ذاتها بمثابة طوق نجاة، سمح لي بالبقاء واقفةً على قدمي، ورأسي فوق سطح الماء وأنجو من الغرق.

غالبًا ما يشعر الناس بالازدراء عندما يتعلّق الأمر بالكتب كوسيلةٍ للهروب، لكنني أعتقد أن هذه واحدة من القوى العظيمة للأدب: أن يواسي، أن يعزي، أن يسمح بواحة صغيرة من، ليس بالضرورة متعة، ولكن ربما يمكننا أن نفكر فيها كوقفّة استراحة، عندما نشعر بأننا قد نغرق، خلاف ذلك، في بحرٍ من الألم.

كنت أقرأ لأتلّهي بدلًا من أنها دروس في الحياة، وكنت أشقّ طريقي في متجري الخيري عبر مجموعات لأجاثا كريستي، وجورجيت هيبير، اللتين اخترتهما للرومانسية - كانت الأغلفة مختلفةً إلى حدٍّ ما- لكنني كنت أقدر هذه المجموعات لذكائها وسحرها. كانت ألغاز "شقيق إليس بيترز كادفيل" مريحة جدًا أيضًا. لقد قرأتها، ثم أعدت قراءتها مرّةً أخرى من البداية.

الكاتبة التي أنذّر اكتشافها أكثر في ذاك الوقت العصيب هي ماري ويسلي. تبدأ رواية "ليس ذلك النوع من الفتيات" في أعقاب وفاة نيد بيل، حيث تسترجع أرملته روز حياتها التي قضتها في حب شخصٍ آخر. تدور أحداث معظم الكتاب في زمن الحرب، مع قوارب محمّلة بالتفاصيل

الرائعة - بدءًا من الأيام الحارة الطويلة في سبتمبر 1939 عندما "غلقت وايت هول نفسها بأكياس الرمل وبدأ سكان لندن في ارتداء الملابس الكاكي والأزرق" حتى دونكيرك، حيث نيد يجمع غنث الثعلب في قبعته المصنوعة من الصفيح، واللحظة القريبة من نهاية الحرب عندما كانت روز وزوجها ميلو في شقة مستعارة في تشيلسي ويسمعان صوت الضجيج الشيطاني الجديد لصاروخ "V1" ينز بصخبه عبر لندن. لتنفجر في هارو. لقد كان الطريق بعيدًا عن سنيث وسكونثورب، وقد أحببت التفاصيل المُتعلِّقة بكيفية عيش الأشخاص الأثرياء في الريف وفي لندن. يرافق نيد روز إلى كارتبييه لتختار خاتم خطوبتها ويشتري لها الملابس من البيت الأبيض. اشترى زيت شعره من ترامبرز أو بنهاليغونز.

بالنسبة للكتب، يذهبون إلى متجر الكتب هاتشاردز. يأكل الرجال مع بعضهم البعض الجمبري المحفوظ وشرائح اللحم وبودنغ الكلى في أُنديتهم.

يأخذ نيد خطيبته لتناول طعام الغداء في مطعم كواجلينو، وبينما كان بعيدًا عن الطاولة تتناول هي بعضًا من نقوده وتضعها في جيوبها.

عندما يجلس ميلو في إيكو دو فرانس - محاولاً تخفيف الانطباع السيئ الذي تخلفه فيه لندن المُحطّمة، والاشمئزاز الذي يشعر به عندما يُطلب منه التجسّس على عملاء فرنسا الحُرّة الذين يرافقهم عبر القناة - يذهب إلى هيبيلز، وهو كيميائي في بيكاديللي، من أجل توصيلة لأمريكي.

في أثناء وجوده في معسكر اعتقال في إسبانيا، أرسل رسالة إلى

روز، معظمها خاضع للرقابة. ما تبقى هو: "عالقَة هنا وهي تلعب لعبة (الجسر توقف) لن أنسى أبدًا الليل والورود". هل ساعدني أن أقرأ عن الناس الذين يعيشون تحت ظل الحرب؟ أعتقد أنها ساعدتني. إحدى مشكلاتي في الحياة الواقعية هي أنه ليس هناك أحد في عمري يمكن له أن يعرف الكثير عن المُعانة.

شعرت بالعزلة عن زملائي من خلال أحاديثهم حول الامتحانات وفرق العمر وأصدقائي الذين يسيئون التصرف بينما كنت أنا أجلس مع أخي في المستشفى وقلبي يتقطع لأنني أدرك أنه لن يتحسن أبدًا. لكن في روايات ماري ويسلي وجدت بولي، التي غرق شقيقها والتر في غواصته، وفيكتوريا، التي تلقت الأخبار في اليوم نفسه الذي قُتل فيه شقيقها وخطيبها. لقد كانوا في عمري -تقريبًا-، وقد ساعدتني قصصهم على تقليل الشعور بالوحدة، حتى وإن كان رفاقي أعضاء مجموعة الدعم الخاصة بي هم إبداع قصصي. إنَّ الطريقة التي يعمل بها الخيال -أي عملية الصراع والحل في قلب كل قصة- تعني أن الروايات مليئة بالأشخاص الذين يواجهون مواقف صعبة، وعادةً ما ينجون منها. الكتب هي دروس تعليمية وتدريب بشأن كيفية الاستمرار. تكمن جاذبية الروايات التي تدور أحداثها في زمن الحرب بالنسبة لي في وطأتها الشديدة.. شعرت بحيوية عالية عندما ركعت بجانب ماتي في الطريق وجلست بجانب سريريه في وحدة العناية المركزة.

إنَّ الاقتراب من الموت يمكن أن يشحذ الحواس، وأفضل روايات الحرب -أو تلك التي أستمتع بها أكثر- هي تلك التي يُضاف فيها إلى الحياة نسيج،

تمامًا لأنها هشة للغاية. كقارئ، أستمع بالطريقة التي تحرّر بها الحرب الشخصيات من القواعد المُتعارَف عليها. تخرج الأخلاق من النافذة عندما يحاول الناس اقتناص كل ما تقدّمه لهم الحياة طالما أنهم لا يزالون قادرين على ذلك. قد نموت غدًا، فلماذا لا نذهب للهو معًا اليوم؟

روايات ويسلي مليئة بالأشخاص الذين يأكلون المحار ويشربون الشراب. أمام كل من نيد وروز اثنتا عشرة قطعة محار عندما كانا يتناولان الغداء في ويلتونز بعد إجازة نيد. كانت روز تشعر بالمرض، لذا تشاهد نيد وهو يشرب أكوابًا من شراب التوت (الكرز، التفاح.....) ويأكل خبزها الأسمر والزبدة الخاصة بها، بالإضافة إلى خبزه وزبدته، قبل أن تذهب معه إلى المحطة وتودعه على الرصيف الذي تصفر فيه الرياح، بينما يطلق الحارس صافرته. يذهب نيد إلى الحرب وتعود روز إلى المنزل لتصاب بالتهاب رئوي، وستعتمد فترة نقاهتها على المحار أيضًا.

قُلْتُ لوالدي ونحن نتشارك طبقًا من المحار في كرونينز في كروسهافن على الساحل الجنوبي لأيرلندا: "نحن مثل شخصيات في كتاب لماري ويسلي".

كنا نزور عائلة أبي بعد مرور عامين على حادث ماتي، في طريق العودة إلى العبّارة، أمضينا ليلة في دبلن، وذهبنا لمشاهدة عرض (فتى بورستال) للمخرج بريندان بيهان. لقد كان أداءً مبهجًا ومفعّمًا بالحيويّة، وضحكنا. كنا نحن الجرحى الذين نسير، وقد تعرّضنا لأضرار بالغة من شظايا الانفجار الذي أودى بحياة ماتي، لكننا كنا نحاول أن نتابع خطواتنا

في الحياة ونقدّر الحبّ والنكات أينما وجدناهما. لقد قاومت الاستمرار في حياتي بشكلٍ طبيعي. كنت أرغب في الاعتناء بماتي المدة التي يحتاجها للاعتناء به، ثم أصبح ممرضة -وهي فكرة سخيّة، لأنني سأصبح ممرضة سيئة- لكن والديّ كنا حريصين على التحاقني بالجامعة، لذلك قرّرت الالتحاق بليدز، لأنه كان المكان الذي قضى فيه أخي (ماتي) تسعة أشهر في المستشفى، وهذا جعلني أشعر أنني أقيم بالقرب منه.

كانت ليدز على بعد نصف ساعة فقط بالسيارة من سنيث، لكن تجربة الذهاب إلى الجامعة كانت بمثابة "نارنيا" بالنسبة لي، مدخل إلى عالم آخر، ربما كان ناسه، مثل صديقتي المفضّلة الجديدة صوفي، قد كانوا بالفعل في مدرسة داخلية ولعبوا رياضة اللاكروس.

إلى ذلك الحين، كان أكثر الأشخاص الذين عرفتهم ثقافة هم المعلمون وأطفالهم. بعد أن كبرت وأنا أتعرّض للمضايقات بسبب صوتي القوي المؤثر واستخدامي للكلمات الطويلة، وبما أن رأسي حشي بكلام مثل أنني كنت ذكيّة جدًا من أجل مصلحتي، وممتلئة جدًا بنفسي، وحريصة جدًا على صوتي، وحادة جدًا لدرجة أنني جرحت نفسي، لقد كان الأمر كذلك. لقد شعرت بالصدمة بعض الشيء في ليدز عندما وجدت أنني لست مميّزة، ومقارنةً بالأشخاص الجدد الذين كنت أقابلهم، لم أكن عاديةً فحسب، بل ومثلي مثل الكثيرين أيضًا. تعلّمت أن سؤال "في أي مدرسة درست؟" لم يكن سؤالاً يتعلّق بالجغرافيا، واعتدت على التهنية لأنني تحدّثت بشكلٍ جيد بالنسبة لشخصٍ التحق بدراسة شاملة. لقد شاهدت أشخاصًا عاديين آخرين يعيدون تشكيل أنفسهم -كان هناك آلان الذي بدأ

باستخدام اسمه الأوسط الأقل شيوعًا، وهو دانيال، وجولي التي أصبحت جوليا-، لكنني عمومًا بقيت على حالي. لقد علّمتني كتب مثل "برايدشد ريفيتايزد" للكاتبة (إيفلين وو) و"جيل" للكاتبة (فيليب لاركين) على الاعتقاد بأن أسوأ ما يمكن فعله هو التظاهر بأنك غير ما أنت عليه حقيقةً. وحافظت آن شيرلي على ثباتها وهدوئها رغم المشاعر التي غمرتها عندما ذهبت إلى كلية ريدموند في (آن الجزيرة).

لقد تحولت من تدخين سيجارة ريجال كينج سايز إلى مالبورو لايتس، وصرت أقول الغداء الباكر بدلًا من الغداء، والعشاء بدلًا من الشاي. عندما كنت أعود إلى المنزل في عيد الميلاد، كان العملاء في المقهى يقولون لي كم أصبحت لهجتي فاخرة؛ عندما عدت إلى ليدز، لاحظ زملائي الطلاب أنني حصلت خلال الإجازات على "لكنة يوركشايرية رهيبة". لم يكن ذلك متعمدًا. لقد تغيّر لفظي ليتناسب مع محيطي وما زال كذلك، على الرغم من أنني احتفظت دائمًا بأصوات حروف العلة -وعلى عكس آلان وجولي- كنت أستمّر في لفظ قافية الكلمات بشكلٍ معيّن (غلاس، غراس، باس).

لقد تعلّمت المزيد من الكلمات الجديدة وقرأت المزيد من الكتب وكوّنت بعض الأصدقاء، على الرغم من أنني ما زلت أجد صعوبة كبيرة في إدراك العلاقات في الحياة الواقعية، أكثر بكثير من تلك الموجودة في الكتب.

كانت الكتب متسامحة جدًّا وبقيت على صحتي دون المطالبة بشيء. في بعض الأحيان، غيّرت الكتب نظرتي إلى العالم، مثل رواية "ألست

امرأة“ لبيل هوكس، والتي فتحت مساحاتٍ جديدة من ذهني. على الرغم من ذلك، كان عليّ أن أكون حذرةً بعض الشيء. لقد شعرت بالجنون التام في أثناء محاولتي كتابة مقال عن (المختل النفسي الأمريكي)، ولم أتمكن من التعامل معه بسبب ملامستي للقسوة والعنف الحادين.

أمضيت عامي في فرنسا، ولم أتقدّم في تعليمي وقتها، ولم أقع في حب أي فرنسي، ولم أكتب في العلية أيضًا، على الرغم من أنني عشت في شقة استوديو صغير في بلدة ساحلية صغيرة كانت بمثابة شاطئ إنزال في الحرب.

كانت هناك مكتبة لبيع الكتب المُستعملة في كاين، والتي كانت مقهى في الوقت نفسه -وهو مفهوم متطوّر في ذلك الوقت-، وكان بإمكانك تناول كتاب للقراءة من على رفوفها في أثناء احتساء القهوة، لذا كنت أذهب إلى هناك طوال اليوم، وأقرأ بعض الكتب، وبعد ذلك أشتري كتابًا آخر لأخذه معي إلى المنزل. قرأت “الدراجة الزرقاء”، وأجزاءه الثلاثة من تأليف ريجين ديفورج. لقد كانت صفحاته تدفعك لتستمر في قراءته بسرعة دون توقف، وتدور أحداثه حول تأثير الحرب العالمية الثانية على عائلة من الصناعيين. لقد كانوا أشبه بـ “ذهب مع الريح”. كانت شخصية سكارليت أوهارا تُدعى ليا ديلماس، وكانت متعطشة للتجارب والطعام واللهو. واستمرّت في الحصول على الكثير من كل شيء، على الرغم من الحرمان في زمن الحرب ووقوعها في حب جارها المُتعجرف بدلًا من الولد الشرير الشديد الجاذبية فرانسوا تافيرنييه.

حاليًا، الكتاب الذي أربطه بشدة بالفترة التي أمضيتها في فرنسا هو "الخوف من الطيران" بقلم إيريك جونغ. اشتريته من قسم اللغة الإنجليزية في مكتبة الكتب المستعملة وقرأت عن إيزادورا وينج وهي تأكل الخوخ في أثناء قيادتها للسيارة في جميع أنحاء أوروبا كجزء من سعيها إلى معرفة كيف تعيش. لقد أحببت الطريقة الجريئة التي كتب بها جونغ عن طبيعة الجسم البشري. أحببت أيضًا الطريقة التي كتبت بها عن الخوف، وعن أنه تم تخويفها من كل شيء، وعن أن الحياة، على عكس الكتب، ليست لها حبكة.

لقد مرّت سنتي الأخيرة في ليدز بشكل جيد. عشت مع صوفي في منزل صغير في ديلف لين، وقد قدّمتني إلى صديقها جون الذي كانت قد أمضت معه عامًا في موسكو قبل تعريفي عليه. كانت لديه قصص كثيرة عن السفر في جميع أنحاء روسيا مع النائب الذي كان يعمل لديه، وكيف أصبح صديقًا لرجل على قطار ترانس سيبيريا السريع الذي أخبره، في نهاية الرحلة التي استغرقت ستة أيام، إنه كان مرتزقًا وأنه عرض عليه أن يقتل من أجله أي شخص يختاره جون مجانًا.

ذهل جون من الطريقة التي أقرأ بها، وقال إنه لم ير من قبل أي شخص يقرأ كثيرًا، أو بهذه السرعة، أو على هذا النطاق الواسع. لقد أربعه مدى سوء معاملتي لكتبي وكيف كانت رثة متهاكة بسبب سقوطها في الحمام. وقال لابد أنني أقضي الكثير من الوقت في القراءة في الحمام أيضًا، ويجب أن أخرج قليلًا وأحاول ممارسة الحياة. وهكذا فعلت، وكانت مفاجأة كبيرة لي أنني بدأت أجد الأمر، نوعًا ما، ممتعًا في صحبته.

بعد التخرُّج، عملت في المقهى لبعض الوقت، ثم انتقلت إلى لندن لأكون مع جون، الذي حصل على وظيفة في شركة توظيف متخصصة في روسيا والأسواق الناشئة، وقضى أيامه في محاولة إقناع الناس بالذهاب إلى كازاخستان أو أوزبكستان، والعمل في شركات المشروبات الغازية أو التبغ فيها. كنا نعيش في شقة في الطابق العلوي في شارع ليتل راسل مقابل المتحف البريطاني. كانوا يقومون بأعمال بناء كبيرة هناك، وكنت أستلقي على السرير وأستمع إلى ضجيج عمّال البناء. لقد تدرّبت صوفي لتصبح صحافية، وأحيانًا كنت أذهب للعمل معها وأجلس بجانبها في قاعة المحكمة وأشاهدها وهي تكتب بلغة الاختزال.

لقد أحببت الذهاب إلى المقهى والالتقاء بالصحافيين والمُصورين الآخرين. كانوا يشيرون إلى بعضهم بـ (النصل وسمك النهاش). لقد كان مضحكًا جدًّا في كثير من الأحيان وشعرت أنها تستخدم في الروايات. في بعض الأحيان كنت أعتقد أنني أيضًا أودُّ أن أصبح صحافيًا، لكن بدا لي أن التطلع إلى ذلك أمرٌ أكبر من أن أطمح إليه.

وباستثناء جون وصوفي، كانت مكتبات كامدن هي نعمة الخلاص بالنسبة لي. كان هناك فرعٌ بالقرب من كينغز كروس وآخر على طريق ثيوبالدز. كنت أقضي ساعات هناك ثم أحمل معي كومة ضخمة من الكتب إلى المنزل. في بعض الأحيان كنت أقرأ بجنون بعض الشيء. أدركت أن الحدَّ الأقصى لعدد الكتب الجديدة التي يمكنني التعامل معها في اليوم هو ثلاثة. إذا دفعت الأمر إلى أبعد من ذلك، سأصبح في حيرة من أمري بشأن ما هو حقيقي وما هو مختلق وأبدأ في تخيُّل نفسي في

الحبكة. كنت أحلم أن ما حدث للأشخاص الموجودين في الكتب قد حدث لي، وسوف أستيقظ مرعوبًا ومغمومًا.

لقد انغمست في ثلاثية "التجدّد" بقلم بات باركر، بأكملها، في عطلة نهاية الأسبوع. القراءة عن الأشخاص الذين يعيشون في ظروفٍ صعبة تعطي شعورًا خاصًا بالارتياح. لقد شبهتُ ماتي بجنود الحرب الكبرى، الذين أصيبوا بصدمة نفسية، منذ أن قرأت كتاب "العبث" بقلم ويلفريد أوين.

أوين هو شخصية في فيلم "التجدّد"، إلى جانب سيغفريد ساسون، الذي يصحح قصيدة أوينز "نشيد للشباب المحكومين بالموت". لم أستطع التوقف عن القراءة، لكن في النهاية، صرت ألهوس تقريبًا، ثم راودتني أحلام غريبة لعدة أيام.

لقد أحببت الكتب الصوتية واستخدمتها طريقة مغرية لإنهاضي من السرير، أو للقيام بالأعمال المنزلية في الشقة، أو للقيام بالمهام التي تتعلق بالعالم الخارجي. في أحد الأيام، أخرجت كتابًا صوتيًا مختصرًا بعنوان "التلبّس" من تأليف إيه إس بايات. وبعد بضع دقائق من الاستماع، أدركت أنني لا أستطيع تحمّل أن تفوتني كلمة واحدة، فانطلقت إلى ووترستونز في شارع جاور لشراء الكتاب. يحتوي "التلبّس" أو "الاستحواذ" على الأنواع الأدبية التي أفضّلها: رسائل ومذكرات تشكّل جزءًا من القصة، وكتّاب روائيين وشعراء، وأطر زمنية مختلفة.

رولاند هو باحث متواضع في شؤون الشاعر الشهير راندولف هنري آش، يكتشف بعض مسودات لرسالة كتبها آش إلى شاعرة. من هي هذه الشاعرة، وهل أنهى آش رسالته لها؟ وهل أرسلها؟ إنَّ سعي رولاند إلى الكشف عن هُويَّتها يقوده إلى مود بيلي، ويخوضان معًا في لغز أدبيٍّ مُمتع للغاية. قرأته وأنا في القطار لزيارة والدي في يوركشاير. كنت أقلب الصفحات بينما كنا نسير عبر بيتربورو، ثم جرانثام، وتوقفنا في دونكاستر.

لقد مرَّت ثمان سنوات رهيبة منذ حادث ماتني إلى أن تُوفي. ما زلت أشعر بالدهشة بعض الشيء لأنَّني نجوت من أُلَمها، وأنا ممتنة جدًا للكتب، لأنَّني لم أكنُ أملك أي فكرة عن كيفية التعامل مع ذاك الألم، لو لم أتمكَّن من الهروب إلى عوالم أخرى.

آه يا أخي، أين أنت؟

نظرًا لعدم قدرتي على تحمُّل فكرة وجود مجموعة دعم حقيقية في حياتي الواقعية، وجدت مجموعتي الخاصة على الرفوف. كثيرًا ما رأيت نفسي في هذه القصص عن فقدان الأشقاء، وكان الكثير منها عبارة عن سير ذاتية. وكان لمعرفة أن هناك الكثيرين مَنْ ساروا عبر النار، وخرجوا من الجانب الآخر من دون أن يتضرروا، أثرٌ إيجابيٌّ عليّ.

”عازف البوق المُتنقل“ بقلم: باربرا ترابيدو

”في وقتٍ مبكّر من صباح مقابلي، استيقظت ورأيت أختي المُتوفاة“. يطلق والد إلين وليديا عليهما اسم ”جيجلر الأول والثاني“، ويميل إلى معاملتهما وكأنّهما نصفًا حصان التمثيل الإيمائي.. عندما تنفذ ليديا أمام السيارة دون أن تنظر إلى اليسار أو اليمين، تُقتل وتُفقد إيلين. في الماضي، كان الناس يخلطون بينهما بسبب تشابههما، ولكن اليوم، لا أحد يفعل ذلك الآن لأن ”ليديا التي كانت حيّة ذات يوم، ماتت في كلتينا“. قرأت هذا الكتاب في السنة التي مات فيها ماتي، وكنت أرى كلتينا منعكستين في سلوك الفتيات الفوضوي قبل الحادث، وأرى نفسي في واقع إلين المُذهل عندما تُترك وحدها بعد وفاة توأمها.

”كل أحزاني التافهة“ بقلم: ميريام تويوز

”العدو العام الأول لهؤلاء الرجال كان فتاة تحمل كتابًا“. نشأت الأختان

يولي وإلف في مجتمع مينونايت "تَمَّت تربيتهما وإعدادهما من أجل الطاعة وسلاسة القيادة". الآن في الأربعينات من عُمرها، إلف، عازفة البيانو الشهيرة، موجودة في المستشفى بعد دخولها بحالة اكتئاب شديد. هل تستطيع يولي أن تجعلها ترغب في الحياة؟ أو أنه سيتم إقناع يولي بمُساعدة إلف على الموت؟ إنّ الشيء المُذهل في هذا الكتاب الدقيق والجميل هو أنه ممتع مضحك، ويظهر أن ألم الحياة وفرحها يندمجان معًا بشكل متقن تمامًا.

"الحياة العائلية" بقلم: أخيل شارما

"لم أكن أفهم تمامًا أن الذهاب إلى أمريكا يعني مغادرة الهند".

تتغيّر حياة أجاي وعائلته عندما يغادرون دلهي إلى نيويورك، ولكنهم كانوا مازالوا يحاولون التأقلم مع السجاد والمصاعد والأبواب الزجاجية التي تنفتح عندما تقف أمامها، عندما تعرّض بيرجو شقيق أجاي إلى حادث أدى إلى إصابته بأضرارٍ لا شفاء منها.

وبينما يناضل والدا أجاي للتعامل مع الحالة التي تحوّلت إليها حياة ابنهما الذكي، يُترك أجاي تائهًا وغير واثق من كيفية العيش في هذا العالم الجديد الغريب.

"26 أ" بقلم: ديانا إيفانز

نشأ التوأم جورجيا وبيسي هانتر في نيسدن، في عليّة منزل العائلة

مع أمهم النيجيرية التي تكون غارقة في شعور الحنين إلى الوطن، وأب إنجليزي غاضب على الدوام، وشقيقتين أُخريين، وهامستر يُدعى هام. يشاهدان حفل زفاف تشارلز وديانا ويستمتعان بـ "ثنائيهما المتوحدة"، لكن النمو الفيزيولوجي الطبيعي بحد ذاته يجلب صعوبات للتوأمين اللذين كانا يشعران بالآلام بعضهما. بحلول الوقت الذي كانت فيه الأمة في حالة حداد على أميرة الشعب، كانت عائلة هانتر غارقة في مأساتها.

"الحياة المستحيلة لغريتا ويلز" بقلم: أندرو

شون جرير "يكاد يكون من المستحيل تصوير الحزن الحقيقي؛ إنه مخلوق يعيش في أعماق البحار ولا يمكن رؤيته أبدًا".

نيويورك، 1985: لا تستطيع غريتا التغلب على فقدان شقيقها التوأم الغالي فيليكس بسبب الإيدز بعد عيد ميلادهما الحادي والثلاثين مباشرةً. عندما تجد نفسها قد قُذِّت إلى حقب أخرى من الزمن عن طريق العلاج بالصدمات الكهربائية، تلتقي غريتا بنسخ أخرى منها ومن فيليكس، وترى أنها ستقوم بأي شيء لتعيش في عالم يمكنها فيه رؤية توأمها متجسِّدًا في الواقع وليس فقط في أحلامها.

"الفتاة شيء نصف متشكل" من تأليف إيمير ماكبرايد

من أجلك. قريبًا. سوف تعطيهما اسمًا. في غرزات جلدها سترتدي كلماتك. لا نعرف أبدًا اسم راويتنا، لكن "أنت" الذي تخاطبه هو شقيقها، الذي أصيب دماغه بأضرار بعد إزالة ورم فيه.

عندما قرأت هذا، أصبحت متأكدة أكثر فأكثر، أن سبب استخدام هذه اللغة التجريبية هو، أنه كان على الراوية أن تجد طريقة لإخبارنا بأن شقيقها (مات)، وأن لغتنا الحالية ليست جيدة بما يكفي، أو أنها مهذبة جدًا لدرجة أنها لا يمكن أن تؤدي الوظيفة.

قوةُ السحر

كنت أتوقع أن أشعر بالتحسن بعد وفاة ماتي، وأن أشعر بالارتياح، لأنه أصبح حرًا أخيرًا، لكنني لم أشعر بالراحة. لقد أخطأت وتخبطت وتعثرت بينما كنت أبحث عن طرق لمحاولة العيش. لقد فكرت في الخروج من الحياة تمامًا (بالموت)، لكن بدا لي أن هذا سيكون أمرًا سيئًا لوالدي.

تزوجت جون لأن الجميع أرادوا ذلك -تقدّم لخطبتي بعد حادثة وقعت في كازينو في ألماتي، حيث ظن أنه سيتم إطلاق النار عليه- لكن ذهني كان في مكان آخر وكنت أبكي على أخي المفقود حتى وأنا أسير في الممر.

كنت أحاول الكتابة ولم يكن لديّ وظيفة مناسبة، على الرغم من أنني كنت أقوم ببعض المناوبات في مقهى بلاو في شارع المُتحف، كنت أعلم، في أعماقي، أنه ليس من الجيد بالنسبة لي أن لا أعمل، ولديّ محاولات متفرقة للحصول على وظيفة، ولكنها كانت دائمًا ما تفشل. ذات مرة، أحببت على إعلان عن وظيفة تسويق في الصحيفة، ولكن عندما وصلت إلى هناك، اتضح أن الأمر كان عبارة عن الذهاب من باب إلى باب، لمحاولة حثّ الناس على تغيير مزود الكهرباء المنزلي الخاص بهم.

لقد استمتعت بالتسكع مع جون وزملائه في المقهى، وفكّرت في أن أصبح مستشار توظيف، لكن إجرائي لمُقابلة مرّوعة مع امرأة، أقنعني بوضوح أنني عديمة الفائدة، الأمر الذي زاد من شعوري بالقلق. أخبرتني المرأة أنني لم أترك انطباعًا جيدًا -ولم أتواصل معها بصريًا- ولم أكن

أُتَحَمَّلُ المُحاوَلَة مَرَّةً أُخْرَى. كان العمل المؤقت مرعبًا لأنني لم أتمكن من الكتابة أو استخدام أجهزة الحاسوب، وكان ضعف إحساسي بالاتجاهات يعني أنني سأضيق في طريقي إلى الوظيفة، ومن ثمَّ لن أتمكن من التنقل حول مباني المكاتب الضخمة. كنت أعلم أن الثقة والسحر، كامنان في مكانٍ ما بداخلي - فقد كنت نادلَة جيدة - ولكنني شعرت بنفسِي أذبل تحت وطأة العيون الصغيرة اللامعة لمديري المكاتب من النوع المُعَدَّ بعناية، والذين بدوا قادرين على تقييم حذائي المسطح وأظافري المقضومة وقلة مهاراتي في لمحة واحدة مديرة.

وفي هذه الأثناء، كانت مسيرة جون المهنية تسير على ما يُرام، وقضى معظم عام 1999 في إرسال متخصصين في مجال تكنولوجيا المعلومات إلى جميع أنحاء العالم. لقد أمضينا عشيّة الألفية في فندق (بيل آند كراون) واستيقظنا لنجد أنه لم يتغيَّر شيء.

عندما عدنا إلى لندن، احتفلنا بعيد ميلادي السابع والعشرين بالذهاب لمشاهدة أغنية (غني طويلًا صوت الموسيقى) مع صوفي وصديقنا روب. كل فرد من الجمهور كان يغني، وكانوا يطلقون صيحات الاستهجان كلما ظهرت البارونة. أعطاني روب حزمة من الورق الأسمر مربوطة بخيط، وفتحتها لأجد أول كتابين من سلسلة هاري بوتر.

في صباح اليوم التالي، كنت مصابة بالصداع، فتحت كتاب "هاري بوتر وحجر الفيلسوف". الجميع يعرف قصّة الصبي اليتيم غير المحبوب

الذي يعيش في خزانة تحت الدرج، ويكتشف في عيد ميلاده الحادي عشر أنه ليس ساحرًا فحسب، بل مشهورًا في عالم السحرة.

لقد تسارعت قراءتي له، منبهرةً بتفاصيل هذا الكون السحري الموازي، حيث يذهب هاري إلى هوجورتس ليتعلم من مدير المدرسة ألبوس دمبلدور. يلتقي برون وهيرميون في القطار، ويتم وضعه في منزل جريفندور بواسطة قبعة التنسيق، وعليه أن يتعامل مع عداوة البروفيسور سناپ ودراكو مالفوي.

عندما وصلت إلى مرآة إريس بللت الكتاب بدموعي الغزيرة.

كما كان دمبلدور يشرح لهاري؛ عندما تنظر في مرآة إريس فإنك لا ترى إلا رغبات قلبك العميقة.

رون، الذي دائمًا ما يكون في ظل إخوته الأكبر وصديقه الشهير، يرى نفسه رئيسًا وقائدًا لفريق كويدتش. أما اليتيم هاري فيرى نفسه مع والديه. يطلق دمبلدور تحذيراته من أن الناس يمكن أن يصابوا بالجنون، فيشتاقون إلى ما لا يمكن أن يكون. عندما انتهيت من قراءته، أخذت "هاري بوتر وغرفة الأسرار" على الفور، ثم توجهت إلى ووترستونز لشراء كتاب "سجين أزكابان".

خطر في بالي أن هذا الكاتب يفهم الموت والاكتئاب بعمق، عندما قرأت عن الديمنورات، وهم مخلوقات غريبة تمتص الفرحة من البشر وتجعلهم يشعرون أنهم لن يكونوا سعداء أبدًا مرةً أخرى. تابعت القراءة

وشاهدت هاري يحاول اختيار شخصيّة باترونوس - من أجل التركيز بشدّة على ذكرى واحدة سعيدة حتى يتمكن من تفريغ الـ ديمنتور من الطاقة بالضوء الأبيض. عندما يُغمى على هاري أمام زملائه في الفصل، يطمئنّه البروفيسور لوبين بأنّه ليس مجنونًا، ولكن عندما يأتي الـ ديمنتورات (حراس أзкаبان)، يطير عقله إلى أسوأ ذكرياته، وهي وفاة والديه. بدأت أستشعر بصيصًا من كيفية عمل الاكنتاب عندي، لذا فعندما يتدهور مزاجي، كنت أعيد ذكرياتي المؤلمة عن ماتي مرارًا وتكرارًا وألوم نفسي على أخطائي. لم أكن أعرف كيف أُلقي تعويذة الباتر ونوس لإبعاد الكآبة، على الرغم من أنّ القراءة والقهوة ما زالا يشكّلان وسائل فعّالة لتشتيت الانتباه.

وبعد بضعة أشهر، طُلب من جون تسلّم وظيفة في نيويورك وقّررنا القيام بذلك. وصلنا في 4 يوليو/ تموز 2000، واستقررنا في شقة -تعلمنا أنّ نقول شقة- في تشيلسي. لقد أحببت سكان نيويورك، فكم كان من السهل إجراء محادثات مع الغرباء منهم.

كنت سعيدة جدًا عندما أوقفتني امرأة في الشارع ذات مرّة لتخبرني أنّها أعجبت بحذائي. لم يخطر لي من قبل أنّ ملامحي تعلن بوضوح أنّني أيرلندية -على الرغم من أنّني كنت أعلم أنّني أشبه العديد من أبناء عمومتي-، لكن الأميركيين الأيرلنديين في المقاهي، كانوا يعتبرونني واحدة منهم، وقد كسبت العديد من الأصدقاء الجُدد بهذه الطريقة. وكانت هناك آداب جديدة (إتيكيت) عليّ تعلمها وقد استمتعت بتدريب الأصدقاء الزائرين على كيفية طلب الشراب -بأن يكون الطلب محددًا- وعلى أهمية منح البقشيش.

في نهاية شارعنا كان هناك متجرٌ ضخم (بارنز آند نوبل)، وقد وقفت في الطابور لشراء "هاري بوتر وكأس النار" عندما صدرت وبقيت مستيقظة طوال الليل أقرأها.

أصبحت كائنًا شبه ليلي، أنام في أثناء النهار وأحاول أن أكتب روايتي الخاصة في الليل، لكنني ظلت أتعثر. اعتقدت أن حقيقة كوني واجهت صعوبة في الكتابة تعني أنني لست موهوبةً. بالتأكيد، إن كان من المهم لي أن أفعل ذلك، أو إن كنت جيدة بشكلٍ كافٍ، فسوف أجد أنه من الأسهل تدوين الكلمات بدلًا من أن أضلل بسهولة في كتب الآخرين. وبحلول الوقت الذي غادرنا فيه نيويورك بعد مرور عام، كانت أرفف الكتب مليئة بالكتب الورقية - معظمها من كتب الأدب التاريخي أو الجرائم الدافئة التي اشتريتها من الكتب التي في السلة في متجر (بارنز آند نوبل).

دخلت إلى متجر الكتب برنارد كورنويل وقرأت كتب شارب، ثم قرأت ثلاثية آثرية ممتازة، والتي بدأت بـ "ملك الشتاء". لقد تركتهم جميعًا ورائي. الكتاب الوحيد الذي لا يزال لدي من ذلك الوقت هو مجلد عظيم يُسمّى "كتاب الكتب العظيمة: دليل إلى 100 كتاب كلاسيكي عالمي".

لا أتذكر أنني قمت بذلك، لكن علامات قلم الرصاص الصغيرة تحدّد ما قرأته.

كان جون مستعدًا لإنجاب الأطفال، لكنني لم أستطع أن أرى أنني أصلح لأصبح أمًا على الإطلاق. كان الדיمنتورز قريبين جدًا مني، ولم أشعر بالثقة في أنني سأتمكن من الاستمرار في قتالهم. لقد كنت محصورة في مرآة

إريسيد الخاصة بي، فيها أراني وأخي نضحك ونمزح معًا. لم أستطع الالتزام بالحياة، أو القيام بأي شيء آخر غير الحزن، أو محاولة طمس الألم بالطعام وبالشراب. وبعد عامين، انتهى الزواج، للأسف، ولكن بشكلٍ وديٍّ. لم نتوقف كلانا، أنا وجون، أبدًا عن حب بعضنا البعض، إنما بطريقة مختلفة. عندما عدت إلى لندن، كنت أعرف أنني بحاجة إلى الحصول على وظيفة، وكنت أخشى العودة إلى الأعمال المؤقتة المهينة التي قد أفسد فيها لوحة المفاتيح، أو لن أتمكن فيها من تشغيل جهاز الفاكس. الشيء الوحيد الذي كنت أتقن القيام به هو قراءة الكتب. فكّرت في النشر أو الصحافة، لكن الجميع قالوا إنه من المستحيل الدخول فيهما. لم أكن أتحيل أن أكون نادلة في مطعم أو مقهى، ولكنني كنت أعرف كيف أخدم الناس وكنت ناجحة مع العملاء.

لذلك قرّرت أن أحاول الحصول على وظيفة في مكتبة. تقدّمت بطلبات عبر الإنترنت إلى كل مكان يمكن أن أفكر به، ولكنني لم أتلّق ردًّا واحدًا. وفي إحدى الليالي كنت في منزل والدة صوفي، عندما قالت إن لدى هارودز قسمًا للكتب. لماذا لم أدخل وأسأل؟ لقد بدا من الجنون بالنسبة لي أن أذهب إلى مكان فخم مثل متجر هارودز، لكنه كان المكان الوحيد الذي كنت أفكر فيه ولم أجربّه. لذلك أعارتني صوفي طقمًا ووجدت طريقني إلى الطابق الثاني من متجر هارودز، وهناك انفتح لي عالمٌ جديد تمامًا.

سلاسلُ الكتب

عندما بدأت رحلتي مع هاري بوتر، لم يكن قد تمَّ نشر سوى ثلاثة كتب، لذا كان عليَّ الانتظار حتى يتم نشر الجزء التالي لمُواصلة القراءة ربما بسبب بدايتي مع نارنيا، ثم الانغماس في قصص المدارس، أنا حقًا أحبُّ القصص التي تستمر وتستمر. إليك الكتب الأولى في بعضٍ من سلاسلي المُفضَّلة.

ما الذي يمكن أن يكون أفضل من كتاب؟ الجواب، مجموعة كاملة من الكتب!

”اكتشاف ساحرات“ للكاتبة ديبورا هاركنيس

تخيل هاري بوتر للكبار مع مكملات إضافية من التاريخ والعلم. أنا أحبُّ هذه الثلاثية عن ساحرة ومصاص دماء يبحثان عن مخطوطة مفقودة. ديانا هي ساحرة قوية لدرجة أن والديها يخضعان لها بالسحر قبل مقتلهما لحمايتها.

الطريقة التي يتدقَّق بها السحر منها تجعلني أفكِّر في كيفية انفجار العواطف المكبوتة دون إرادتنا، والآن أعتقد أن الأمر كله مجازي عن الطريقة التي نخفي بها أجزاء من أنفسنا للتكيُّف بشكلٍ أفضل مع المُجتمع.

”مسيرة البنفسج“ لفيليب كير

برلين في عام 1936، يتعرّض الشرطي الذكي الذي تحوّل إلى محقق خاص (بيرني غونتر) لخطر دائم في أثناء بحثه عن العديد من الأشخاص الذين فقدوا في الأيام الأولى للرايخ. كانت في الأصل ثلاثية امتدت بين الأعوام 1936-1947 وروت صعود هتلر وسقوطه، وهي الآن أربعة عشر كتابًا ممتعة. تمتدُّ الأحداث إلى المُستقبل، ولكنه غالبًا ما يتضمّن ذكريات الماضي عن الحرب ونضال بيرني للبقاء على قيد الحياة في ظل نظام يكرهه. اللغة صاخبة ملتهبة، والكتب مليئة بعبارات لا يمكن تفويتها مثل: ”لم أعد شابًا، ولا بصحة جيدة تسمح بمشاركة أحد آخر بيتي، لم يعد لي غير فنجان القهوة والسيجارة“.

”عزيزي أردت أن أخبرك“ بقلم: لويزا يونغ

عنوان هذه الرواية مأخوذ من صورة الرسالة التي أرسلها الجنود الجرحى إلى الوطن خلال الحرب العالمية. رايلي بوريفوي تشوّه خلال القتال في الخنادق بشكلٍ فظيع، وتضرّر قائده بيتر لوك أيضًا، ولكن بشكلٍ أقل. تستكشف السلسلة آثار ما بعد الحرب على المُقاتلين وعائلاتهم، والرواية الثالثة، ”التفاني“، تأخذنا إلى إيطاليا في الثلاثينيات، حيث كان من السهل جدًّا على نينا وعائلتها تجاهل التهديد الذي يشكله موسوليني.

”لا تهتم“ بقلم: إدوارد سانت أوبين

نلتقي لأول مرة باتريك ميلروز عندما كان صبيًا يعيش مع أمه الأمريكية الغنية وأبيه الأرستقراطي القاسي في جنوب فرنسا. في الأصل هناك روايتان أخريان في الثلاثية، ثم واصل سانت أوبين الكتابة ليؤلف روايتي ”حليب الأم“ و”أخيرًا“، ليختم القصة بنهاية رائعة. تحدث أمور رهيبة في هذه الروايات، لكن الكتابة دقيقة وأنيقة لدرجة أن تجربة القراءة معها تكون مهدئة كما هي مزعجة. والأهم من ذلك، خاصة في رواية ”أخيرًا“، أنها مضحكة للغاية.

”صديقي المتألق“ من تأليف إيلينا فيرانتى

تبدأ الرواية في الوقت الحاضر عندما تكتشف الراوية إيلينا أن صديقتها ليلي قد اختفت. كان عند إيلينا علم بأن ليلي كانت ترغب في الاختفاء منذ سنوات: ”بما أنني أعرفها جيدًا، أو على الأقل أعتقد أنني أعرفها، فأنا أعتبر أنها وجدت طريقة للاختفاء، من دون ترك شعرة واحدة في أي مكان في هذا العالم“. تقرّر إيلينا أن تكتب عن صداقتهما الحميمة والمتشابكة، التي نشأت على خلفية حي نابولي الفاسد والعنيف دائمًا.



الفتاة التي تقرأ

كنت في متجر الكتب بلاكبيرد على طريق إيرلز كورت، مع صوفي، عندما اتصل بي مدير متجر ووترستونز في متجر هارودز ليعرض عليّ وظيفة مع بدء العمل فيها فوراً. قال: "سوف تكون أول عمل مؤقت نقوم به في عيد الميلاد".

قلت لصوفي بعد أن أنهيت المُكالمة: "أمل أن أكون متحمّسة وآلاً أكون غاضبةً". كنا قد تناولنا بضعة فناجين بالفعل.. سألتني صوفي: "كم سيدفع لك كأجر؟". أخبرتها كم، فقالت: "هذا قليل".

قلت: "أجل، ولكنه يمكنني أن أدفع الإيجار وأتناول الطعام. وأنا أحتاج المال فقط لشراء الكتب، والكتب يمكن استعارتها من المتجر أيضاً، طالما أننا نأخذ كتاباً واحداً فقط في كل مرة".

خفق قلبي عندما قدّمت نفسي إلى هارودز للتدريب التعريفي. كانت هناك قواعد صارمة بشأن اللباس وسلوكيات المتاجر، مما جعلني أفكر في إشعارات حمام السباحة تلك، عن منع الجري أو القفز أو إصدار الضوضاء. كان علينا الدخول والخروج من خلال مدخل الموظفين عبر الشارع من المبنى الرئيسي، ووضع متعلقاتنا في الخزانة. الأشياء الوحيدة التي سُمح لنا بأخذها عبر النفق المؤدي إلى المتجر كان يجب حملها في كيس بلاستيكي شفاف. سُمح للنساء بحمل حقيبة صغيرة لمستحضرات التجميل، والأشياء الخاصة الأخرى. كان يمكن تفتيشنا في أي وقت. تمّ

منحنا بطاقة تعريف للموظفين في حافظة بلاستيكية صغيرة.

كان لون البطاقة يُظهر مكانتنا في التسلسل الهرمي الصارم في هارودز؛ كانت بطاقتي بيضاء، وهي الأقل أهمية. كما تعلّمنا عن نظام القرنفل، وتمّ تشجيعنا على الطموح للحصول على زهرة لتثبيتها على طية صدر السترة؛ كان الأحمر هو الأعلى. مرتدو القرنفل كانوا قادرين على القيام بمستويات مختلفة من المهام المسؤولة مثل معالجة المُرتجعات، وطلب التغيير، وإغلاق الصناديق.

مرّ يومي الأول في المتجر بسرعة. لم أكنّ على دراية بالكتب كما كنت أعتقد، ولم أدرك حجم مكتبة الكتب وعدد المواضيع المُختلفة التي يجب أن أكون على علم بها.

تورطت في مشكلة مع خرائط المسح الطبوغرافي وأخرجت نفسي بعدم معرفتي بأنّ الأدلة الخاصة بماديرا يجب أن توضع مع البرتغال. شعرت امرأة بالغضب مني لأنني لم أعرف أنّ من كتب الطهي المئة على الرفوف يحتوي على وصفة لبولنتا الزيتون (عصيدة).

وكم كانت قدمي تؤلماني! كنت أشكو من ذلك في المقهى تلك الليلة عندما قالت لي إحدى السيدات من الطاولة المُجاورة إنها تستطيع المساعدة. طلبت مني خلع حذائي وعلمتني كيفية تدليك قدمي - بالضغط بقوة على كرة القدم.

كان الأمر أشبه بالسحر. كنت أفعل ذلك في أوقات الاستراحة طوال

سنوات عملي في بيع الكتب، وما زلت أشعر بالامتنان لتلك المساعدة الغريبة.

كان اليوم الثاني أفضل، وبحلول اليوم الثالث، بدأت أشعر وكأنني أعرف ما كنت أفعله وأنني وجدت المكان المناسب لي. لقد عملت في مكتب الاستقبال، وهو ما يناسبني لأنني أحببت أن يكون لديّ الكثير لأقوم به وعدد جيد من الأشخاص للردّشة معهم.

”ستكون معمودية النار“، قالت أنجيلا، التي عملت هناك لسنوات عديدة، وبدأت هي وزميلها بائع الكتب ريتشارد في تعليمي كل ما يعرفانه بروح الدعابة الرائعة.

كان هناك جوّ كرنفالي في هارودز. لقد كانت وجهة سياحية، بالإضافة إلى كونها متجرًا للكتب متعدّد الأقسام، لذلك يمكنك توجيه شخص ما إلى نُصب ديانا التذكاري في لحظة ما، ثم التوصية بأفضل ما في الأدب الجديد في اللحظة التالية.

يبدو أننا نقضي وقتًا طويلًا في التحدّث مع العملاء حول دورات المياه. قبل بضعة أشهر، فرض متجر هارودز رسومًا قدرها جنيه إسترليني واحد لاستخدام الحمامات، وتلقت كميات هائلة من التغطية الإعلامية السلبية بسبب ذلك.

لقد ألغوا تلك السياسة، ولكن ما يزال لدينا الكثير من الاستفسارات على غرار ”أين دورة المياه؟“ وهل عليّ حقًا أن أدفع جنيهاً لاستخدامها؟

كُنَّا على مقربة من متجر الحيوانات الأليفة، وكثيرًا ما يأتي العملاء متوقعين أن يأخذوا معهم حيوانًا غريبًا إلى المنزل، كما كان من الممكن أن يفعلوا في الخمسينيات.

كُنَّا نعلم أن القانون قد تغيّر، لكن لم يكن من واجبنا الخوض في ذلك، لذلك عندما كان الناس يأتون إلى المكتب ويطلبون أسدًا، كنت أوجههم إلى متجر الحيوانات الأليفة وأتمنى أن أتمكن من التتصت على المُحادثة التي تتلو ذلك.

على الجانب الآخر من المكتبة كان هناك عالم أعياد الميلاد، متجر احتفالي يعمل على مدار السنة، لذا كان العمل في قسم السفر يتضمّن الاستماع إلى أغاني الكريسماس من الفجر حتى الغسق. كان الناس يأتون من مختلف الأماكن في أي وقتٍ من السنة لاختيار كرة هارودز لتزيين شجرة الميلاد في منازلهم.

لقد سمعت يومًا إحدى الفتيات اللاتي يعملن هناك، تشكو بأن الجنيات في كهف سائنتا كانت تحصل على أجور أعلى من باقي الموظفين.

في عالم مكتبات الكتب، كانت هناك مفردات جديدة تمامًا للتعلم. "النسخ التجريبية" هي نسخ متقدّمة من الروايات التي سنُنشر قريبًا، تقوم دور النشر بإرسالها إلى الكُتّاب والصحافيين لإثارة اهتمامهم.

الكتب كانت تُنشر أولاً بنسخ غلاف مقوّى مزوّد بغلاف مخصص واقٍ من الأتربة، والأغلفة الداخلية تُسمّى "أوراق الغلاف". كنت دائمًا أحبُّ

الكتب التي تأتي مع شريط مخيط في الظهر، وتعلّمت أنه يُسمّى "علامة الشريط".

الطبعة الورقية ستصدر بعد حوالي عام وستكون أصغر حجمًا وأرخص ثمنًا.

"الفك" هي عملية استلام صناديق الكتب من الناشرين؛ "وضعها على الرفوف" أو "عملية العربة" أي وضعها في عربات على واجهة العرض.

كان يتعيّن وضع الكتب في قسم (A-Z)، وأيضًا في كومات على الطاولات، اعتمادًا على عدد النسخ التي طلبناها. كانت الرفوف مقسّمة إلى أقسام، وكانت الوحدات الفرديّة المُستقلة تُسمّى "دب بينز"، وهو اسم غريب وغير مرضٍ على الإطلاق. وسرعان ما تعلّمت أنها طريقة مثالية لتجميع الكتب التي ترتبط ببعضها البعض.

عندما تضع كتابًا في عرض على الرف، كنت تكتب بطاقة توصية صغيرة لتثبيتها أسفل الكتاب، تشجع الناس على شرائه. كانت إحدى مهامى تحديث خانة "يُوصى بها من قبل المُوظفين".

بعض زملائي كانوا متردّدين قليلًا، لذا قلت إنني سأكتب البطاقة بالنيابة عنهم طالما اختاروا كتابًا. في البداية، تأملت طويلًا حول ما يجب كتابته، لكن بعد ذلك بدأت أتقن الأمر. لم تكن البطاقات بحاجة إلى أن تكون دقيقة الحرفية، كلمات قليلة معيّنة كانت تكفي إلى حدٍ بعيد.

كنت أحب كتابة البطاقات وكنت دائمًا سعيدة عندما يقول العملاء

إنهم سيشترون شيئاً نتيجة لذلك. في أحد الصباحات، وأنا في طريقي إلى العمل، كنت مشغولة جداً في قراءة رواية مبنيت والترز الجديدة حتى حاولت أن أستمّر في قراءتها وأنا أمشي في الشارع.

تعثرت وجرحت ركبتي، لكنني ما زلت أرغب في الاستمرار في القراءة. كتبت هذه القصة الصغيرة على بطاقة التوصية، فطارت النسخ من الرفوف.

كنت أقرأ في أثناء فترات الراحة، ثم أخذ كتاباً إلى المنزل كل ليلة، وعادةً ما أنهيه قبل الذهاب إلى السرير. إذا كان الكتاب قصيراً جداً، مثل "الجمرات" لساندور ماراي، كان بإمكانني إنهائه خلال الغداء ووقت الاستراحة. استمتعت بوجود هدف جديد في قراءتي. لقد أضفت بُعداً آخر: عندما كنت أستمع بشيء ما، كنت أبدأ في التفكير في أيّ من عملائي سيحبه. غالباً ما كنت أقرأ حتى وقت متأخر من الليل لأن الكتاب كان رائعاً للغاية. "البراعم القرمزية والبيضاء" لميشيل فابر، "قلب بشري أياً كان" لويليام بويد، و"فينجر سميث" لسارة ووترز، جميعها حرمتني من النوم، وكان بيعها ممتعاً جداً.

قالت سيدة أمريكية لطيفة، وهي تزن كتاب "البراعم القرمزية" بيديها: "يبدو جميلاً حقاً، لكنه ثقيل جداً على حقيبتي".

قلت لها: "تخلصي من بعض الملابس"، فاشتريته. فقلت لعميل آخر: "أعتقد حقاً أن الناس يجب أن يشتروا الكتب بدلاً من الطعام". ولكن ربما ليس بدلاً من طعام أطفالك، اتفقنا على ذلك. لم تكن الأمور كلها

مسلية. كان الشغل الشاغل لإدارة هارودز هو السرقات، وكانوا يتجولون في الطابق الأرضي بحثًا عن الانتهاكات والأخطاء.

السمة الرئيسية في مدخل الموظفين كانت لوحة "فضح الفاعلين" التي تحتوي على صور الموظفين الذين تمَّ ضبطهم وهم يسرقون وتفاصيل عقوباتهم. كان ذلك يشكّل استقبلاً كثيفاً عند القدوم إلى العمل.

في أحد الأيام، كان هناك إشعار في مكان لوحة العار: "تمَّ نقل لوحة الاسم والعار إلى مطعم الموظفين". لم أكن متأكدة أن ذلك كان حلًا جيدًا. كنت الفتاة الجديدة، لم يمر على وجودي بضعة أسابيع فقط عندما بدأ موظفو الأعياد المؤقتون الآخرون بالوصول. كنت مسرورة بتكيفي بمسؤولية تدريبهم. قال المدير: "أخبرهم بما تتمنين أنك لو كنت تعرفينه عندما بدأت".

جاءت ليزي من هيبندن بريدج وبدأنا نتقرب من بعضنا البعض فورًا. كانت حريصة جدًا على كتابة بطاقات التوصية من الموظف. كتبت واحدة تقول: "كنت أستمتع بهذا الكتاب لدرجة أنه جعلني أتأخر عن العمل"، لكن أحد كبار المسؤولين في هارودز أجبرنا على إزالتها.

أحببت التحدّث مع الغرباء عن الكتب بشكل خاص. وسرعان ما صار لديّ عملاء دائمون يأتون لرؤيتي ويسألون عن الجديد من الكتب. جاءت سيدة مسنة أنيقة وأوكت عصاها على المكتب الأمامي قائلة: "أين الفتاة التي تقرأ؟" أحببت ذلك، بصداه الذي يشبه "هاري بوتر؛ الفتى الذي نجا". لم يكن بعض بائعي الكتب يستمتعون كثيرًا بالتفاعل مع العملاء، وكانوا

يحاولون الهروب منهم بأن يشغلوا أنفسهم بتفريغ الصناديق أو العمل في غرفة الطلبات البريدية.

كنت على العكس من ذلك تمامًا، غالبًا ما كنت أقع في محادثات عميقة مع أشخاص التقيت بهم لتوي. كان ذلك يذكرني بوجودي في المقهى، والإثارة التي تأتي من عدم معرفة مَنْ سيمرُّ من الباب وما هي القصة التي قد يرويها. وجدت أنه من السهل والممتع أن أكون على علاقة ودية مع العملاء. فكنت أبدأ بالردشة معهم حول أي كتاب قد اختاروه أو ينظرون إليه في العرض.

في أحد الأيام، استدعاني رئيسي إلى مكتبه لتوبيخي: "يجب عليك عدم السماح لأصدقائك بالدخول وتشتيتك في أثناء عملك على أرض المتجر".

كنت أتحدّث مع شخص لم ألتقي به من قبل، لكن من الواضح أننا كنا نستمتع بوقتنا كثيرًا.

كان ذلك العيد الأول قاسيًا. كان العملاء يفرغون ضغوطاتهم وبؤسهم علينا، لقد بكيت ثلاث مرات في ليلة عيد الميلاد.

ولكن كان الأمر ما يزال أسهل من العمل في المقاهي. قلت لزملائي: "على الأقل نتمكّن من العودة إلى المنزل في السادسة مساءً. معظم عملائنا ليسوا سكارى ولا عنيفين. ولا توجد أي فرصة لأن أجد نفسي واقفة في الشارع الرئيسي عند منتصف الليل دون نوافذ أمامية ومغطاة بدماء شخص آخر".

تحدث مبيعات يناير التفاؤل والإيجابية اللذين كانا لدينا.

حدثت اضطرابات في هارودز في يوم بوكسينج دي، حيث حاول المُتسوقون اليائسون الحصول على أحد أجهزة التلفاز المحدودة التي يتم بيعها بسعرٍ مخفّض. كان علينا ارتداء أشرطة وردية برّاقة وشارات تحمل كلمة "تخفيض" بحروف كبيرة، وكان العملاء مهتمّين بالصفقات وأقل أدبًا من المعتاد، مما جعل الأيام طويلة وشاقة.

بحلول عيد ميلادي الثلاثين في الثامن من يناير، كنت أشعر بالتعاسة الحقيقية بالفعل. كنت أسير في شارع فينبورو، أنظر إلى أشجار عيد الميلاد المهملة التي تمّ وضعها لجمعها من قبل البلدية. بعضها كان لا يزال به بعض الشرائط المُتناثرة العالقة بأغصانها.

كانت الأمطارُ تتسرّب من الثقوب في حذائي الذي أرّتيه للعمل ولم أستطع شراء زوج جديد حتى يوم قبض الراتب في العشرين من الشهر. شعرت كأنني عالقة في الفصل الأول من رواية رومانسية خفيفة؛ الجزء الذي تسوء فيه كل الأمور وتكون البطلة في أدنى حالاتها. متى ستتحسن الأمور؟

متى سأصل إلى الفصل الثاني وأبدأ طريقي نحو نهاية مشجّعة؟

لأنني كنت قد تمّ توظيفي كعاملة مؤقتة خلال فترة عيد الميلاد، لم يكن لديّ أي فكرة عما إذا كنت سأستمر في العمل أم لا؛ وكنت خائفة من أن هذه الزاوية الصغيرة التي وجدت نفسي فيها قد تُؤخّذ مني.

لحسن الحظ، تمّ تثبيتتي كموظفة دائمة؛ انتهت فترة التخفيضات، وكانت هناك إثارة الكتب الجديدة التي تصل. بدأت أتوقع لحظة دخولي إلى غرفة الاستلام ورؤية شيء جديد على العربة.

بعد فترة، بدأت أشعر بوخز في أصابعي عندما ألمس شيئاً سيكون رائعاً حقاً. أول مرّة حدث فيها ذلك كان مع كتاب "الحادث الغريب للكلب في الليل" لمارك هادون. لم أكن قد سمعت عن الكتاب من قبل، ولكن عندما التقطته - كان له غلاف يشبه الورق البني - شعرت بإحساسٍ مميّز في أطراف أصابعي. حدث الشيء نفسه مع كتابي "ملاحظات على فضيحة" لزوي هيلر، و"ما أحببته" لسيري هوسفت.

شعرت بشيء من الغرابة وكأنني أحمل سرّاً بشأن ذلك، لكنني أخبرت ريتشارد ذات يوم عندما كنا نتحدّث في المكتب الأمامي في فترة هدوء بين العملاء. لم ننظر إلى بعضنا البعض في تلك اللحظات المسروقة، بل وقفنا جنباً إلى جنب نراقب الأرضية بحثاً عن العملاء وتبادل الأسرار بأصواتٍ منخفضة. قلت له: "أشعر بوخز في أصابعي". سألته: "هل تعتقد أنني مجنونة؟"

قال: ليس أكثر من أي شخصٍ آخر. أعتقد أنكِ نوعٌ من "المهووس بالكتب". كانت وظيفتي المفضّلة هي أن أكون مسؤولة عن طاولة "المراجعات الحديثة". كان عليّ مراجعة صحف نهاية الأسبوع لمعرفة الكتب التي أحدثت ضجة، والتأكد من أنها متاحة بسهولة.

قليلون جدّاً من العملاء كانوا يدخلون ويسألون بالضبط عمّا يريدونه بذكر العنوان والمؤلّف. غالباً ما كانوا يقولون: "أريد ذلك الكتاب عن

الصبي والنمر"، أو "تعرفين، ذلك الكتاب الذي يكون فيه المعلم على علاقة جيدة بطلابه". كنت أستمع بهذا الأمر، حيث كان يشبه إلى حدٍ ما أن أكون متسابقة في برنامج مسابقات، وعادةً ما كُنت مطلعةً على كل شيء. ولكن في أحد صباحات الإثنين حوالي الساعة 11 صباحًا، دخلت امرأة وكانت منزعجة.

لم أعرف مباشرةً عن أيّ كتاب كانت تتحدّث. "لا أصدق أنك لم تسمعي به"، قالت. كان على برنامج "بداية الأسبوع" هذا الصباح. قلت، لكنني لم أكن أستمع إلى برنامج "بداية الأسبوع" هذا الصباح، لقد كنت هنا. واحدة من المشكلات كانت هي أنّ العملاء كانوا يعتقدون دائمًا -ومن يستطيع إلقاء اللوم عليهم- أنه إذا تَمَّت مراجعة كتابٍ ما في الصحيفة أو مناقشته على راديو 4، فسيكون بالتأكيد متاحًا للشراء.

يأتون ومعهم جريدتهم مفتوحة على قسم الكتب، وقد تَمَّ وضع علامة النجمة على العناوين ولا يتمكنون من فهم سبب عدم صدور البعض من هذه الكتب بعد. لا بد أنني أوضحت مئات، بل آلاف المرّات، أنّ الكتب غالبًا ما تتَمَّ مراجعتها قبل تاريخ نشرها.

ولكن الناس يقولون: "حسنًا، هذا نظام غبي". كنت أبتسم وأقول "أعلم ذلك"، محاولةً الإشارة إلى افتقاري الكامل إلى القوة في هذا الموقف، "لماذا لا تكتب إلى صحيفة صندي تايمز حول هذا الموضوع؟".

في صباح يوم الثلاثاء قبل افتتاح المتجر، كنا نجتمع حول طاولتي، وكنت أتصفّح الكتب التي تَمَّت مراجعتها مؤخرًا، وأطلع الجميع على ما

قيل عنها. كُنت في منتصف صباح أحد الأيام عندما بدأ نظام الصوت العام يشوش، وفجأةً تمّ بث صوت صاحب هارودز محمد الفايد نفسه في كل المتجر، حيث اعترض على العديد من الأشياء التي قيلت عنه في الصحافة. كان علينا أن نقف ساكنين ونستمع، لأنه كانت هناك شائعات عن استخدام الكاميرات الأمنية للتأكد من أنّ الموظفين يحضرون هذا البث. كان من الصعب ألاّ تضحك.

كانت الوظيفة تخرج عن مألوفها بشكلٍ مدهش في بعض الأحيان. لقد طُلب مني أن أوصي بشيء ما لصديق أحد العملاء الذي يخضع للعلاج الكيميائي، P. G. وود هاوس صوتيًا، وقد بكينا معًا قليلًا. كان هذا قبل ظهور (جوجل)، لذلك كان من يريد العثور على القصيدة المناسبة لقراءتها في الجنازة، كان يأتي ويسأل ببساطة. في كثيرٍ من الأحيان كانوا يخبروني عمّن مات في حياتهم، وألاحظ الطبيعة الهشة والمُتقلبة للنساء المكومات الجدد وأشعر بالسعادة لأنني أستطيع مساعدتهن، حتى لو بطريقةٍ بسيطة.

غالبًا ما كان الناس يتحدثون إليّ عن حياتهم، ولن أنسى أبدًا المرأة التي أخبرتني عن مغادرتها لبرلين في عام 1938 بينما كنت أبحث لها عن نسخة من كتاب "تحدّي هتلر" لسيباستيان هافنر. كانت بريطانية، وكانت قد ذهبت للعمل كمعلمة للأطفال، ثم التقت وتزوجت من ألماني. وقاما بإخفاء فرحتهما بالعودة إلى إنجلترا، عندما تمّ اعتقاله وقضى معظم الحرب في جزيرة آيل أوف مان.

قضاء الوقت مع الزبائن كان يبعث في قلبي البهجة. كنت أفصّل أن أكون في العمل، أتجسّد في شخصيتي كمحبّ متحمّس للكتب، بدلاً من أن أكون في حياتي الخاصة، حاولت أن أكون نفسي - أيّا كان معنى ذلك. في أيام عطلتي، كنت أستلقي في السرير أقرأ وأدخن. عندما أخذت عطلة، شعرت بالحنين إلى الوحدة المطمئنة لأنني محاطة بالكتب. كنت حزينّة ووحيدة، وبعد عدّة أيام كان عليّ أن أقاوم الرغبة في بدء محادثات مع الغرباء على المترو والحافلات حول ما كانوا يقرؤونه.

شعرت في العمل، بأنني مفيدة ومعينة للناس، وكان هناك هدفٌ بالنسبة لي. لقد اعتدت على ارتداء مئزر هارودز الأخضر بدلاً من سترة بدلتني، وأعجبني الطريقة التي شعرت بها بالهدف الذي يكمن في عملي، عندما كنت أحمل البضائع وأرتبها، وأبحث دائماً عن العملاء الذين يمكنني مساعدتهم. ذات مرّة، أخبرتني امرأة أنني أعدت لها إيمانها بالطبيعة البشرية.

لا أستطيع أن أتذكّر ما الذي فعلته من أجلها، لكن كلماتها الطيبة ساعدتني في اجتياز وقتٍ عصيب.

في بعض الأحيان كان الأثرياء يأتون ليؤثثوا مكتبة ويتركوا لي اختيار الكتب.

أشعربي ذلك بنوع من القوة. عادةً ما يطلبون كتباً فوتوغرافية بشكلٍ أساسي، لكنني أفنّعهم بلطف أن بعض الرفوف في مكتبتهم من الكتب الخيالية ستضيف لمسة لطيفة، وكنت قادرةً على إعادة وضع بعض

الكتب المُفضَّلة لديّ على أمل أن تستقبل المكتبة يومًا ما زائرًا سوف يستمتع بها.

بالطبع، لم يكن جميع العملاء لطفاء ودودين. العديد من الأشخاص الذين تسوقوا في متجر هارودز كانوا أثرياء بشكلٍ مذهل وبعضهم أرادوا أن تعرف ذلك. باعتباري نادرة، لم أكن أبدًا مهتمةً بهؤلاء الرجال الذين كانوا يهزون ورقة نقدية بقيمة 20 جنيهًا إسترلينيًا بين أصابعهم كما لو أنّ قدرتك على رؤية المال قد تجعلك تخدمهم بسرعة أكبر. لقد انتابني الشعور نفسه تجاه الأشخاص الذين كانوا يأخذون بطاقات Amex البلاطينية أو السوداء من محافظهم ويضربونها على المكتب عندما يريدون الاهتمام.

ذات مرّة، غضب مني رجل، له شعر أنف كثيف، عندما لم أتمكن من رد أمواله مقابل بعض روايات جيفري آر تشر القديمة والمتهالكة، لدرجة أنه بدأ في تمزيقها ورميها عليّ. بدأت امرأة بالغضب لأننا لم نسمع عن الكتاب الجديد لجيرالد دوريل الذي كان منتشرًا في جميع الصحف. لقد شقت طريقها بين اثنين من زملائي، وصرخت فيهما أنهما غبيان. اتضح أنها كانت تقصد كتاب بول بوريل عن الأميرة ديانا. عندما اقترحت ذلك "نعم، هذا كل شيء"، "لا أستطيع أن أصدق أن الأمر استغرق منك وقتًا طويلاً".

في بعض الأحيان كان هناك سوء فهم. ذات يوم طلبت مني امرأة روسية أن أقترح أفضل ما في الأدب المعاصر. كانت جميلة بشعر أشقر ولا أروع. قالت: أريد شيئًا حديثًا جدًا. فأعطيتها نسخةً من كتاب "ملاحظات حول

فضيحة“ لزوي هيلر . لقد تمَّ إدراجها للتو في القائمة المُختصرة لجائزة البوكر وكنت أشجع (الرواية) على الفوز . أحببت الطريقة التي أصبحت بها القصة مظلمة عندما أصبحت الراوية باربرا شريرة بشكلٍ متزايد في سردها لعلاقة تشوه سمعة زميلتها .

عادت الشقراء الرائعة في اليوم التالي غاضبةً تبكي . قالت : “كيف يمكنك أن تعطيني مثل هذا الكتاب الرهيب ؟ . لدي ابن “ . كانت تصرخ في وجهي ، وكان العملاء الآخرون يحدقون بي . اعتذرت وعرضت عليها أن أعطيها شيئاً آخر بدلاً من ذلك ، لكنها ، أرادت استعادة أموالها فقط .

في وقتٍ لاحق ، كنت أدخن سيجارة في فترة استراحتي وما زلت أشعر أنني مهزوزة ومتألّمة بسبب اتهامي بالتزويج للمواد غير الأخلاقية ، اعتقدت أنّ كلتيّنا قد فهمنا أشياء مختلفة عن كلمة “معاصر “ . لقد علمتني الكثير عن أنّ ما يقول الناس إنهم يريدونه ليس دائماً ما يريدونه ، وهو الدرس الذي ظل يتردّد صداه داخل وخارج المتجر .

لم أكن دائماً حكيمةً جداً ، فقد أمضيت وقتاً طويلاً مع رجل أراد مني أن أراجع معه جميع إصداراتنا من الكارما سوترا ، وأقارن بين الرسومات .

لقد اندفعت من تلقاء نفسي في هذه المهمة ، من رغبتني المعتادة في إرضاء العملاء ، ولكنني لم أدرك أنه لم يكن يتحدّث عن التصوير الفوتوغرافي مقابل الرسومات ، إلّا عندما سألني أيّ واحد أعجبنى أكثر ، ورأيت أنّ وجهه كان أحمر إلى حدٍّ ما .

لقد كان هارودز مُعلِّمًا رائعًا في تعليم كيفية التعامل مع الأشخاص ذوي الطباع الصعبة، وعَلَّمَنِي ريتشارد كيفية المُحافظة على هدوئي وعدم الردّ على الوقاحة.

كان أحد زملائي يتأجج دمه من رقبته إلى الأعلى عندما يكون غاضبًا، وكان هناك بريق خطير في عينه. أطلقنا عليه لقب الضباب الأحمر. كان يبدأ بقول "سيدتي" كثيرًا، ويغمر الكلمة بازدياء شديد.

في الأيام التي كنت أسمح فيها لشيءٍ ما أن يجتاحني، كنت عادةً أبكي بدلًا من أن أغضب، دموع حارة بسبب شعوري بالإهانة. كان جزءًا من وظيفتي أن أسمح للآخرين بأن يكونوا مزعجين بالنسبة لي. ذات مرّة، فقدت أعصابي عندما رفض رجل تصديق أنّ كتب جيمي أوليفر قد نُشرت بالترتيب الذي قلته له. ليس لديّ أي فكرة عن سبب إثارة هذا الرجل لغضبي على وجه الخصوص، لكنني انفجرت في وجهه وخرجت. كان عملائي الذين لا أفصّلهم هم المؤلّفون، الذين عادةً ما ينشرون أعمالهم ذاتيًا.

الذين يسألون عن كتابهم كما لو أنهم يريدون شراءه، وبعد ذلك، عندما تقول إنه غير متوقّر، يحاولون إقناعك بطلب نسخة منه. وعندما ترفض بأدب، غالبًا ما يصبحون عدوانيين ويطلبون مقابلة المدير، محاولين تحويل مكالمة المبيعات غير المرغوب فيها إلى شكوى من العميل. كان الأمر مزعجًا بشكلٍ خاص إذا كان لديك طابور من العملاء الحقيقيين ينتظرون خلفهم.

كان الكُتَّاب غالبًا ما يأتون لتوقيع كتبهم الموجودة في المتجر، وأصبح هذا جزءًا من عملي أيضًا. كان عليّ تنظيف طاولة صغيرة، وجمع الكتب، وفتحها عند صفحة العنوان. بعد ذلك، بمجرد أن يكتب الكاتب اسمه في كل كتاب، كنت أقوم بوضع شريط كرتوني يُسمَّى "حزام البطن" حول كل كتاب، حتى يعرف الزبائن أنهم يحصلون على نسخة موقَّعة.

كانت تجربة ممتعة للغاية، على الرغم من أنها كانت أحيانًا مجهدة قليلًا، حيث كانت الكتب أحيانًا لا تصل أو تختفي، وكانت تجربة سيئة أن أخبر كاتبًا زائرًا بأنه لا يوجد شيء في المخزن. كنت أحب الحديث معهم، وكنت أحاول قراءة كتب كل شخص يأتي. وكان يدهشني كم كان معظمهم عاديين.

في أثناء نشأتي، كنت أفكّر في المؤلّفين باعتبارهم مخلوقات إلهية، لكنني الآن رأيت أنهم لم يكونوا مختلفين كثيرًا عن أي شخص آخر قابلته، مما جعلني أتساءل عمّا إن كان ذاك يعني أنني قد أكون قادرةً على أن أصبح كاتبة بنفسي. في كثير من الأحيان كانت زيارات المؤلّف تضيء يومي. عندما تعتاد على التواجد في المتجر، هناك متعة لا تصدق في معاملتك كإنسان. ما زلت أتذكّر بامتنان المحبة الداعمة التي قدّمتها أديل باركس، وكاثلين تيسارو، وفريا نورث، وشارلوت مندلسون. جاء جيفري آرثرش للتوقيع على مذكّراته في السجن، وكان مبتهجًا للغاية وغير منزعج عندما قالت امرأة كانت تمرُّ بجانبه بصوتٍ عالٍ لصديقتها: "انظري، هذا هو جيفري آرثرش".

كُنَّا نستضيف أحيانًا مناسباتٍ كبيرة للمُؤلِّفين، وكان أول عمل لي هو الاعتناء بطابور الأشخاص الذين جاءوا للقاء بيل وإيمان. كان عليّ أن أكتب أسماءهم على مذكرة إذا أرادوا توقيع كتابهم وإهداءه، وإبقاء الجميع برفقة الجميع بينما ننتظر. أحببت أن أسأل الناس من أين أتوا. كان أغلبهم من النساء، وكُنَّ مرحات ضاحكات، وقلن جميعًا إن بيل وإيمان أقصر مما توقَّعن.

في ذلك الصيف غادر مدير الفعاليات وتوليت أنا منصبه. في الأيام التي سارت فيها الأمور على ما يرام، شعرت وكأنني عبقرى رائع في غزل الألواح، وعندما سارت الأمور بشكلٍ خاطئ، كان الأمر كما لو كان الجميع يرشقونني بالحجارة من اتجاهاتٍ مختلفة. ويمكن أن يحدث الكثير من الأخطاء! لقد كان عملاً لا يمكن التنبؤ به. فإذا حضر عدد قليل جدًا من الأشخاص، كان من المروع أن يجلس المُؤلِّف هناك محاطًا بأكوام من الكتب التي لم يرغب أحد في شرائها. ولكن إذا حظي الحدث بحضور جيد، فقد يصبح الأمر مرهقًا بسرعة، حيث سيشعر العملاء بالقلق إذا لم يعرفوا كيف أو أين يقفون في الطابور، أو ما كان من المُفترض أن يفعلوه.

كانت تجربتي في المقهى لا تقدَّر بثمن. علمت أنه يتعيَّن عليك الاستعداد لفترة قصيرة من النشاط وتحشد معك عددًا كافيًا من الموظفين للمناسبات كما تفعل في ليلةٍ مزدحمة. لم يمانع معظم العملاء في الانتظار إذا شعروا بالثقة في أن كل شيء كان تحت السيطرة.

كنت مُبتلاةً بأحلام القلق، حيث إنني لم أنجز مراجعة النصوص

للملصقات بشكلٍ صحيح أو لم أقم بطلب الكتب في الوقت المناسب .
في الليلة قبل أن يأتي جون سيمبسون، حلمت أنني دخلت إلى غرفة فتح
الصناديق ووجدت كيت أدي جالسةً على كومة ضخمة من الصناديق،
تنظر إليّ من الأعلى.. قالت: "لقد حصلت على الكتب اللعينة الخطأ".
كانت إحدى مسؤولياتي المُفضَّلة في هارودز هي الإشراف على تسليم
هاري بوتر وجماعة العنقاء. كانت الكتب خاضعة لحظر صارم، لذلك
عندما تمّ تسليم منصّتين مملوءتين بالصناديق إلى إحدى المناطق الخلفية
للمنزل، كان عليّ التأكّد من عدم فتحها حتى نهاية اليوم.

كان من الغريب أن تكون لديك فترة قسرية من عدم النشاط. جلست
أحدّق بأكوام الكتب، وفكري سارح في رحلتي مع هاري بوتر، من قراءتي
الأولى له في الصباح التالي لعيد ميلادي السابع والعشرين، وحتى الوقوف
في طابور في نيويورك من أجل كأس النار، ثم أصبحت حارسًا لتجارة
الكتب.

لم يُسمح لنا حتى بتفريغهم عندما كان المتجر فارغًا، ولكن كان علينا
الحضور في وقتٍ مبكّر من صباح اليوم التالي. بعد أن حصلت على
نسختي أخيرًا، كنت أقرأها بنهمٍ في أثناء فترات الراحة، وفي ذلك المساء
أيضًا عندما عدت إلى المنزل. أنهيت الصفحة الأخيرة صباح يوم الأحد،
وأنا أبكي بحرقة في مطعم غريسي يسبون بالقرب من مترو أنفاق إيرلز
كورث، قبل أن أعود إلى العمل لأخبر زبائني كم كان رائعًا. فقلت لهم:
لن أخبركم بما حدث. "ولكن يمكنكم أن تعرفوا من عيوني كم بكيّت".

كانت إحدى المزايا الكبيرة في العمل هي أننا كنا نُدعى من قبل الناشرين لإطلاق حفلات فيها كميات كبيرة من العصائر المجانية، وأحيانًا حتى المُقَفِّلات. بسبب الأجور المُنخفضة، كثير منا كان ينفد منه المال بنهاية الشهر، لذا كان إطلاق كتاب جديد في وقتٍ مناسبٍ مكسبًا ضخمًا. غالبًا لم أكنُ أشرب كثيرًا لأنني كنت أختار شراء السجائر بدلًا من الطعام، بينما أحاول تمرير الوقت حتى يوم قبض الراتب.

يمكن أن يسكن هذا الرفاه رأسك بعد يومٍ من التواجد تحت أمر كل شخص على أرض المتجر. في حفل إطلاق كتاب جديد لكانديس بوشنيل، كان النوادل يقَدِّمون زجاجاتٍ صغيرة من شراب الورد لتُشْرَب بواسطة مصاصة. أخجل من القول أنني تناولت أكثر بكثير مما يحق لي، وأُني سقطت على الدرج في المكان الفاخر في نايتسبريدج.

في بعض الأحيان، كان الناشرون يدعون بائعي الكتب إلى وجبات عشاء، ويحثونهم على لقاء المؤلِّفين. كان عليّ أن أصقل أخلاقي. في إحدى الليالي، في أثناء تناول العشاء في مطعم "إيلينا ليتوال" في شارع شارلوت، كنت أتناول الطعام بشهية كبيرة عندما لاحظت أن جميع الأشخاص الآخرين قد أنهوا طعامهم بالفعل وكانوا ينتظرون تقديم بقية الأطباق على الطاولة. بعد ذلك، بغض النظر عن مدى شعوري بالتعب والجوع، فقد درّبت نفسي على التراجع والمراقبة. إذا كنت في حيرة من أمري بشأن أي زجاج أو طبق جانبي سأستخدمه، فكل ما كان عليّ فعله هو الانتظار لأن شخصًا آخر لابد وأن يرشدني. كان من الغريب القيام بمثل هذا العمل البسيط في أثناء النهار ومقابلة المؤلِّفين في أماكن راقية ليلاً. قال لي أحد المؤلِّفين: "أنت

تعمل لدى شركة ووترستونز؟“ فقلت: ”حسنًا، أنا أعمل في أحد فروع ووترستونز“. وسألني مؤلف آخر: ”هل أنت واحد من هؤلاء الأشخاص المهمّين للغاية الذين يقرّرون ما إذا كان كتابي سيحصل على ملصق ثلاثة مقابل اثنين؟“ فأجبت: ”لا، أنا واحد من هؤلاء الأشخاص غير المهمّين الذين يضعون الملصقات، ثم يضطرون إلى نقشيرها مرّةً أخرى عندما لا يتم بيع الكتب“. بدا هذا مهينًا بعض الشيء، وشعرت لاحقًا بأنني كنت خرقاء وعديمة اللباقة إلى حد أن أقترح أن كتابها قد لا يكون جيدًا. لكن للأسف، معظم الكتب لم تحقق النجاح المنشود. قد يكون من المحبط رؤية ما وراء الكواليس، ومعرفة أنه مقابل كل كتاب استحوز على خيال الجمهور وخرج من الرفوف، كان هناك الكثير من الكتب التي تمّ بيعها بأرقامٍ فردية، وبعد فترة قصيرة جدًّا في الشمس -في كومة صغيرة على طاولة تتسع لثلاثة أشخاص- يجب جمعها وإزالة الملصقات منها وإعادتها.

عندما أمضيت وقتًا أطول مع المؤلفين، رأيت أنهم كانوا، في كثيرٍ من الأحيان، قلقين ولا يشعرون بالأمان، عوضًا عن أن يكونوا مغمورين في فقاعة من الفرح كونهم مؤلفين وكتبهم منشورة. ذات مرّة، في حفل تدشين للكتب، طلبت من الرجل الذي كان بجواري ألا يستمر في وضع يده على تنورتني. قال: ”لكنني كاتب“، وكأن ذلك ينبغي أن يمنحه الإذن. لا أستطيع أن أتذكّر بماذا أجبته. بصفتي نادلة، كان الاهتمام غير المرغوب فيه يشكّل خطرًا مهنيًا، لكنني واجهت هذا النوع من الأشياء بشكلٍ أقل تكرارًا في الأوساط الأدبية. وكوني ابنة عصري، تعلّمت أن أتجاهل الأمر،

بل وأن أجده مضحكاً ما لم يكن الرجل عدوانياً. الآن يبدو لي غريباً إلى أي مدى كنت أقبل مثل هذا السلوك كضريبة لكوني أنثى.

لم أكن سعيدةً بالحب طوال الوقت الذي عملت فيه في هارودز. لفترة من الوقت، كنت في علاقة فوضوية، حيث لم نبذ أبداً مهتمين ببعضنا البعض في الوقت نفسه. في أحد الأيام كنت أقرأ "لون الجنة" لجيمس رونسي، أحد الشخصيات يسأل شخصاً آخر عن الصوت الذي يرغب في سماعه في أثناء الاحتضار. لقد صدمتني فكرة أنني بالتأكيد لا أريد سماع صوت الرجل الذي كنت معه حالياً، أو حتى لو أردت ذلك، فقد يكون في مكان آخر، غير متاح لتهدئتي في لحظاتي الأخيرة لأنه مشغول جداً بمحاولة الدردشة مع أحد أصدقائي. لذلك انتهيت منه.

أودُّ أن أخبرك أنه كان انفصلاً رقيقاً، وأنني ابتعدت، ثم وجدت شخصاً لطيفاً أرغب في سماع صوته في أثناء احتضاري، ولكن للأسف لم يكن الأمر كما ظننت واستمررت فوضى الوصل والقطع، الصعود والهبوط، في حياتي. بعد بضع سنوات، ذهبت لمشاهدة مسرحية "الحياة الخاصة" لنويل كوارد. لا يستطيع البطلان، إليوت وأماندا، العيش مع بعضهما البعض، ولا دون بعضهما البعض، وتذكّرت كيف يمكن لتسوية انفعالية أن تتحوّل إلى علاقة سامة في غمضة عين، عندما يذكّر تعليقٌ عابر أحدكما بأحد الأخطاء السابقة.

أحببت قراءة الروايات التي تتحدّث عن فظاعة الحب الرومانسي. (الحميمية) من تأليف حنيف قريشي، هو كتاب كئيب للغاية عن العلاقات

طويلة الأمد لدرجة أنه جعلني أشعر بالسعادة لكوني عزباء.

في رواية "الحميمية"، يُوصف تدريس اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية بأنه "الملاذ الأخير لمن لا يملكون هدفًا". كان عددٌ من باعة الكتب الذين أعرفهم يطمحون للعمل في تدريس اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية، وأحد زملائنا الأكثر حزمًا، كان قد غادر للقيام بذلك تمامًا. فكّرت في التحوّل إلى ذلك العمل بنفسه بعد يوم من التعامل مع زبائن أكثر صعوبة من المعتاد، لكنني لم أقدم الطلب. كنت غير واثقة من مستواي في قواعد اللغة.

حاولت كتابة رواية مع بطلة هي بائعة كتب دخلت في علاقة مأساوية مع مؤلّف، بعد مقابلته في حفل توقيع -سأترك الأمر لك، عزيزي القارئ، لتفكر فيما إن كنت من الممكن أن تكون مستوحاة من أحداث حقيقية- لكنني عادةً ما كنت منهكة جدًا من بيع الكتب لدرجة أنني لم أتمكن من الكتابة عنها. لا يزال لديّ الكثير من دفاتر الملاحظات تحت سريري، وكنت أحملها معي لسنوات، وفي أحد الأيام، في إحدى نوبات كراهية الذات، رميتها في حاوية النفايات. لا مزيد من محاولات الكتابة؛ سأركز على الاستمتاع بكتب الآخرين. كنت أتطلع إلى وصول مجلة (بائع الكتب) في أيام الجمعة، كنت أقرأها في أثناء فترات الراحة حتى أتمكن من الاطلاع على أحدث ما يصدر. حتى سعادتي بهذا تضاءلت عندما اشتكى أحد زملائي من أنّ رائحة السجائر تفوح منها دائمًا لأنني أقرأها في غرفة التدخين الخاصة بالموظفين، ومنذ ذلك الحين مُنعت من إخراجها من المتجر.

عملت في هارودز لمدة عامين تقريبًا. لو تُرك الأمر لي، أشك في أنني كنت سأغادر على الإطلاق. وربما في عالم موازٍ آخر، ما زلت هناك في مكتب الاستقبال، أوصي بالروايات الجديدة، وأجيب عن الأسئلة حول دورات المياه والأميرة ديانا، وأوجه الناس نحو عالم الكريسماس أو متجر الحيوانات الأليفة.

كانت ثقتي في نفسي لا تزال ضعيفة، وكانت فكرة الاضطرار إلى ملء نماذج التقديم لوظائف أخرى تملؤني باليأس المُنهك، ولكن في أحد الأيام، جاء مديرنا الإقليمي، وأعجب بعروضي، وأخبرني أنه سيتم افتتاح شركة ووترستونز الرائدة الجديدة في شارع أكسفورد. وقال: "عليك التقديم فيها". وقد فعلت.

“كتب عن المكتبات وبائع الكتب”

كنت أحب الكتب التي تتحدث عن المكتبات قبل أن أحصل على وظيفة في إحداها بزمان طويل، ثم أحببتها أكثر بعد ذلك، رغم أنها -عادةً- لا تكون واقعية حول مدى صعوبة العمل في المكتبة، وغالبًا ما يكون لدى الشخصيات وقت أكبر للتسكع وعيش حياة داخلية خيالية أكثر مما يملك بائع الكتب الحقيقي.

“المكتبة” بقلم: بينيلوبي فيتزجيرالد

عندما يموت زوج فلورنس جرين، تقرّر استخدام إرثها لفتح مكتبة، وتشتري مبنى يُسمّى البيت القديم، في بلدة ساحلية صغيرة في سوفولك، لم يكن بها مكتبة منذ مئة عام. تفتح “فلورنس” أبوابها بحماس، لكنها تقف عن غير قصد في الجانب الخطأ من أحد كبار الشخصيات المحليّة، وتصبح الحياة أكثر صعوبة. فيتزجيرالد يتمتع ببصيرة عالية تجاه تفاهة البشر.

“الحكاية الثالثة عشرة” بقلم: ديان سترفيلد

“إنّ مشكلتي ليست مع محبي الحقيقة، بل مع الحقيقة نفسها”. أيّ عون وأيّ عزاء في الحقيقة مقارنةً بالقصة؟ “مارغريت ليا” كاتبة سيرة تعيش فوق مكتبة والدها الأثرية. تعود إلى المنزل ذات يوم لتجد رسالة من الكاتبة الشهيرة والمُنْعزلة فيدا وينتر، التي كانت تكتب رواية كل عام

على مدار الستة والخمسين عامًا الماضية، ولكنها دائمًا ما تنفر من كتاب السيرة الذاتية. بينما كانت مارغريت تدرس الدعوة، تتساءل مستغربة، لماذا تريد فيدا وينتر أخيرًا قول الحقيقة، ولماذا كان عليها أن تختار مارغريت لتخبرها بذلك؟

والسؤال هنا أكثر فضولًا.

”العمل كالمعتاد“ بقلم: جين أوليفر وآن ستافورد

تمَّ نشرُ هذه القصة لأول مرة في عام 1933، وهي قصة محاولات هيلاري فاين لدعم نفسها في لندن، ويتمُّ سردها من خلال الرسائل إلى المنزل والمُذكَرات الإدارية التي يتمُّ إرسالها عنها عندما تتمكّن من الحصول على وظيفة في متجر كبير متعدّد الأقسام. تتمتع هيلاري بالمرونة في تحمُّل استهجان خطيبها، وجمود زملائها الجدد، وصعوبات محاولة العيش على جنبيين وعشرة شلنات في الأسبوع. ساحرة تمامًا ومليئة بالتاريخ الاجتماعي الرائع حول مكنتات التسوّق والإعارة.

”ظل الريح“ لكارلوس روي زافون

يمتلك والد دانيال مكتبة في برشلونة. بعد فترة وجيزة من نهاية الحرب الأهلية الإسبانية، يأخذ دانيال إلى مكتبة ضخمة تُسمّى ”مقبرة الكتب المنسية“ ويطلب منه اختيار كتاب واحد والتعهد بالعناية به طوال حياته. يختار دانيال رواية ”ظل الريح“ لجوليان كاراكس، وهذا ما يدفعه إلى مغامرة لاكتشاف كل شيء عن المؤلّف الغامض. مَنْ هو، ولماذا اختفى، ولماذا هناك رجل آخر ينوي تدمير عمله؟

”مكتبة السيد بينومبرا، تعمل على مدار (24) ساعة“ بقلم: روبن سلون

عندما اجتمعت الصدفـة مع الركود الاقتصادي لوضع مصمم الويب كلاي جانـون خلف الطاولة في مكتبة السيد بينومبرا التي تعمل على مدار 24 ساعة، سرعان ما أدرك أن هناك شيئاً غريباً يحدث .

إنه يعمل في المناوبة الليلية الطويلة المُنـعزلة، حيث لا يوجد الكثير من العملاء، والذين يأتون منهم لا يشترون أي شيء. ماذا يمكن أن يحدث؟ في أثناء قيامه بالتحقيق، يواجه أكبر الأسئلة حول المعرفة الإنسانية.

”أنت“ بقلم: كارولين كينيس

في الساعة 10:06 صباحًا من أحد أيام الثلاثاء، دخلت غوينيفير بيك إلى مكتبة في إيست فيليدج وتوجَّهت إلى قسم الروايات من F إلى K. كانت جدّابة وتشتري النوع الصحيح من الكتب، والبائع، جو، وقع في حبها. بينما يستخدم جو وسائل التواصل الاجتماعي لمعرفة المزيد عنها ويتسلل إلى حياتها، سرعان ما يصبح واضحًا أنَّ هذه ليست قصّة حب لطيفة.

لم يسبق لي أن التقيت بشخصٍ أدبيٍّ مختل عقليًا أكثر لطفاً، ربما أجد أنه من الصعب حقًا أن أكره بائعي الكتب!



دخول بطل غير متوقع

كانت مكتبة ووترستونز في شارع أكسفورد متجرًا ضخمًا يمتدُّ على ثلاثة طوابق، وأحببت وجود الكثير لأتعلَّمه، والعديد من الزملاء الجدد المُثِيرين للاهتمام للتعلُّم منهم. كان العملاء مختلفين عن أولئك في هارودز، أقلُّ ثراءً، وكانت الوظيفة تركز أكثر على بيع نسخ بكميات كبيرة من الكتب الورقية الشائعة في الوقت الحالي بدلًا من تكديس الأغلفة الجديدة من الكرتون الصلب.. كانت أقفاص معدنية كبيرة مليئة بالبضائع المغلفة تأتي عبر المصعد، وتحتاج إلى التفريغ، ووضع المُلصقات، وترتيبها على أرضية المتجر. تعلَّمت مهارة جديدة لم تكن مسموحة في هارودز: بناء أكوام عملاقة من الكتب على الأرض لتكون جاهزة لتجديد الأرفف. وجدت أنها وظيفة مهدئة للغاية، وقضيت لحظات سعيدة كثيرة في بناء أبراج ضخمة من كتابي "جزيرة صغيرة" لأندريا ليفي، و"تاريخ موجز للجرارات" بالأوكرانية لمارينا ليويكا.

متعة المكتبة الكبيرة هي وجود مساحة واسعة للعروض بناء على الموضوع. أوجدت أحد أفضل العروض التي قمت بها على الإطلاق في شارع أكسفورد، بناءً على كتاب "1001 كتاب يجب أن تقرأها قبل أن تموت"، حيث عرضت الكتب على الرفوف العليا. اخترت كتيبي المُفضَّلة الموجودة في الكتاب، وكل ما وضعته على بطاقات التوصية هو رقم الصفحة التي كُتبت عنها، حتى يتمكن الناس من اكتشاف كل منها بأنفسهم.

نظرًا لأنَّ المتجر كان ضخمًا للغاية، كُنَّا غالبًا لا نستطيع العثور على شيء لابد أنه موجود في المخزن. كنا نجرب طريقة الأكشاك.. يمكن للعملاء البحث فيه عن كتاب والحصول على إيصال مطبوع يخبرهم بمكان العثور عليه. نادرًا ما سار هذا الأمر بسلاسة، وكان الناس مرتبكين يتجولون وكأنهم زومبي وهم يحملون إيصالهم بيدهم الممدودة.

حتى لو تمكّنوا من العثور على الكتب، مثلًا، "الجرائم الحقيقية" أو "حيوات مؤلمة"، وفهموا كيفية ترتيب الكتب -من الألف إلى الياء حسب الموضوع، وليس حسب المؤلّف- لم يكن هناك ضمان بأن الكتاب سيكون موجودًا.

وكان أحدهم يقول وهو يكاد يبكي:

"لكنني لا أفهم، يقول الكمبيوتر إنّه متوفّر في المخزن. أين يمكن أن يكون؟".

وأنا أبحث عن الكتاب، كنت أشرح، "أنا آسفة جدًا. المشكلة مع الكتب هي أنه من الصعب جدًا معرفة ما إذا كانت في غير مكانها. قد يكون أحدهم سرقه أو نقله إلى رفٍّ آخر. بينما في السوبر ماركت، إذا انتهت تفاحة لتصير مع البرتقال، فمن السهل اكتشافها، لكن مع الكتب يكون الأمر أشبه بوجود إبرة في كومة قش".

بعض العناوين كانت تُوضع بانتظام في الأرفف الخطأ، وكان عليك أن تحاول تخمين المكان الذي قد تجدها فيه. إذا لم يكن كتاب "الزقاق

القرميدي“ لمونيكا علي في قسم الروايات، فستجده في قسم لندن. وإذا لم يكن كتاب “فينجرسمث“ لسارة ووترز في قسم الروايات، فسيكون إما في قسم لندن أو في قسم آخر يحمل اسمًا غريبًا.

كان كتاب “الخيميائي“ لباولو كويلو يُحتفظ به أحيانًا في قسم الروايات، وأحيانًا أخرى في قسم العقل والجسد والروح. كتاب “باريس ترانس” لجيف داير كان يظهر أحيانًا في قسم السفر، ولم يكن أحد يعرف كيفية ترتيب مجموعته من المقالات بعنوان “اليوغا للناس الذين لا يزعجهم القيام بها”، إلا أنه بالتأكيد لم يكن ينتمي إلى قسم الصحة مع الكتب الأخرى التي تحتوي على كلمة يوغا في العنوان. يمكن العثور على كتاب “الخوف من الطيران“ لإريكا جونغ في قسم الأدب الإيروتيكي (الإشارة).

الجانب السليبي للعمل في متجر شارع أكسفورد كان في ساعات العمل الطويلة. كانت نوبة العمل المُبَكِّرة تبدأ في الساعة 8 صباحًا -كُنت دائمًا أدخِّن ثلاث سحائر بحلول ذلك الوقت- وتنتهي نوبة العمل المُتأخرة في الساعة 9 مساءً، أو 10 مساءً أيام الخميس. كانت مهمّة مدير المُناوبة المُتأخرة مرهقة للغاية؛ حيث تضمّنت التعامل مع الشكاوى حول دورات المياه -التي كانت تُنظف فقط في الصباح وتكون في حالة مزرية بنهاية اليوم- وتتضمّن أحيانًا حث ودفع مدمني المُخدّرات على الخروج من دورات المياه تلك عند وقت الإغلاق. في إحدى المَرَّات، تمَّ اكتشاف بقعة براز كبيرة على أرضية المتجر، واضطرت إلى ارتداء زوج من القفازات للتعامل معه. بدا الأمر بشريًّا بشكلٍ مريب، لكنني ما زلت آمل أنه كان براز كلب.

لم أكن أمانع العمل في عطلات نهاية الأسبوع لأنني كنت أفصّل أن يكون المتجر مشغولاً، وكان شعورٌ بالترف أن أحصل على يوم عطلة خلال الأسبوع، لكنني كنت آخذ دائماً ما يكفي من الزحام بحلول عيد الميلاد. في يوم عيد الميلاد، بينما كنت ذاهبةً إلى العمل مبكراً للتأكد من تنفيذ عروض التخفيضات، لاحظت وجود جليد على نافذة المترو من الداخل. قضيت الصباح في أمور حملات إعلانية غير مجدية بينما كان الأشخاص الأكثر أهمية مني يجبروني على تحريك طاولة الفكاكة -التي كانت تتألف أساساً من أكوام ضخمة من كتاب "هل هو مجرد لأنني أنا أم أن كل شيء سيئ؟"- من مقدمة المتجر إلى مؤخرته، ثم إلى المقدمة مرةً أخرى.

ثم فتحنا الأبواب، وكان أول زبون يطلب استرداد المبلغ. وعندما نظرت إلى إيصالها، لاحظت رقم المحاسب (الكاشير) وأدركت أنني كنت من قدّمت لها الخدمة قبل دقائق فقط من إغلاق المتجر في عشية عيد الميلاد. لم يكن أيُّ منا قد حصل على وقتٍ احتفالي بعيداً عن النزعة الاستهلاكية.

في ذلك الوقت -تقريباً- قرأت كتاب "ما فقدته" لكاترين أوفلاين، وهي رواية مضحكة وحزينة بآنٍ معاً، تدور أحداثها في مركز تجاري في ميدلاندز، وتعرض بشكلٍ رائع الجانب المظلم للعمل في مجال البيع بالتجزئة. ليزا هي مديرة مساعد في متجر "موسيقاك". رئيسها، "ديف كروفورد" النحيل والشاحب، أعاد تعيينها كمديرة المناوبات، مما يعني أنها تتوقع أن تتولى أسوأ المناوبات.

تعمل ليذا في أوقات الصباح الباكر، وفي وقت متأخر من الليل، وأيام الأحد، والعطلات الرسمية، وهي الأوقات التي يكون فيها الزبائن في أسوأ سلوكياتهم، ويكون فيها الموظفون في أقصى درجات الاستياء من اضطرابهم للعمل.

كنت أجلس في غرفة الموظفين وأقرأ لزملائي مقاطع عن كيف أن كروفورد كان يصبح متوترًا ومصابًا بالبارانويا (جنون الارتياب) في أثناء زيارات الإدارة العليا التي كانت تتمنى لو تعثر على "فرص مبيعات ضائعة، عرض غير منظم للبضائع، جهل فظيع بالمنتجات، خدمة عملاء سيئة، علكة على السجادة، موظفون يزينون أجسامهم بثقوب بشكلٍ مبالغ فيه".

تلاحظ ليذا كيف أن لغته تصبح أكثر "عنفًا وذكورية" كلما كان الموضوع الذي يثير غضبه أقل أهمية: "من هو الأحق الذي خدش هذه اللقافة اللعينة؟" هذا جعلني أضحك في سري، عندما قاطعني أحد رؤسائي في أثناء وجودي مع عميل، وهمس بحدة، "اجعل أحدهم يضع سعرًا لورق الهدايا كأولوية ورتب عرض التقويم ذاك، إنه عار".

كل ستة أسابيع تقريبًا، أو نحو ذلك، كان يتعيّن علينا تغيير مواد الترويج في نقاط البيع، من جميع الملصقات وشرائط الأرفف، من "سنة جديدة، أنت جديد" إلى "عيد الحب"، ثم إلى "عيد الأم"، ثم "قراءات الصيف"، ثم "العودة إلى المدرسة"، ثم "الهدايا المبكرة"، ثم "عيد الميلاد"، ثم "التخفيضات". كانت عملية دقيقة وشاقة وتستغرق وقتًا طويلًا، وغالبًا ما كانت كميات التوصيل غير صحيحة.

كان أي شخص لديه أدنى قدر من المسؤولية يشعر بالتوتر - وهذا كان مبررًا، لأن العالم الخارجي لم يكن يهتم على الإطلاق بلون المُلصقات، لكن الأسباب الداخلية كانت تتمحور حول "ضمان نجاح الحملة بشكل جيد". وكان يتمُّ تناول هذا الموضوع بجدية ومناقشته بتفصيل من قبل جميع المعنيين.

في أحد الأيام، جاء مديرٌ إقليميٌّ جديدٌ إلى متجرنا لينتفد المكان، وسألني، "ماذا كنت ستفعلين لتحسين خدمة العملاء؟" شعرت بشيء من الإثارة، لأنَّ أحدًا لم يسألني رأيي في مثل هذه الأمور من قبل. فقلت، "لا أعتقد أنَّ مديري المتاجر يجب أن يصلوا إلى حالة انهيارٍ عصبي بسبب تأخر وصول لوحات الطاولات".

"هذا يؤثّر سلبيًا على معنويات الموظفين، ويجعلنا نتجاهل العملاء بينما نركّز كالدجاج المذبوح بلا رأس، بحثًا عن شرائط الأرفف المفقودة". نظر إليّ وكأنني مجنونة. "أعتقد أن من الخطير جدًّا الإيحاء بأن تنفيذ الحملة ليس أولوية"، قال ذلك ومشى بعيدًا.

ثمَّ جاء الأمرُ البشع المُتعلّق بزي الموظفين. قرَّر أحد المسؤولين أنَّ على بائعي الكتب ارتداء قميص أسود يحمل الشعار، ولم يكن أحد سعيدًا بذلك. لم نكن نريد أن نشعر وكأننا نعمل في ورشة سيارات أو سوبر ماركت. وكان من مهمامي جمع مقاسات القمصان من الآخرين، وكان الجميع -تقريبًا- غاضبين.

استمرَّت النقاشات جدلًا، وأتذكّر أنني وصلت إلى نقطة قُلت فيها،

”سأرتدي هذا الشيء اللعين في السرير إذا كان هذا يعني أنني لن أضطر إلى خوض نقاش آخر حوله“. لأول مرة شعرت بالخجل من الطبيعة المتواضعة لعملتي، وعندما دخل صديق سابق إلى المتجر، وقال بابتسامة ساخرة، ”قميص جميل“، شعرت وكأن عملي تقلص إلى مجرد موظف ترتيب الأرفف.

في ذلك الوقت -تقريبًا-، جاء مديرٌ جديد لم يسبق له العمل في مجال الكتب، وأراد إعادة تصنيفنا كـ ”مساعدتي مبيعات“ بدلًا من ”بائعي كتب“. لم يعجب ذلك أحدًا أيضًا.

اضطرت إلى إعداد عرض لعيد الحب في العمل، وكان من المحزن أن أجمع أكوامًا من الشعر ورسائل الحب ونسخًا من ”كبرياء وتحامل“ وأرتبها بشكل جميل بينما أشعر بالبؤس الشديد.

ثم أدركت أنني لست الوحيدة التي تشعر بالكآبة بسبب الحب، لذا قُمتُ بصنع ترياق - عرض لإسعاد العزاب من خلال تسليط الضوء على مدى تكرار وكيف يمكن للعلاقات أن تسوء بشكل رهيب. في كتاب ”تاريخ العالم في 10 فصول ونصف“ يكتب جوليان بارنز: ”يبدو أن الشعراء قادرين على تحويل الحب السيئ -الحب الأناني والسيئ- إلى شعر حب رائع“.

كُتِّبَ النثر يفتقرون إلى هذه القدرة على التحول الكاذب والمثير للإعجاب. نحن لا نستطيع سوى تحويل الحب السيئ إلى قطعة نثرية عن الحب السيئ. يمكن لبارنز بمفرده أن يملأ صندوق النفايات بهذا الموضوع،

لكنني ضمنت العديد من المؤلفين الآخرين وكنت سعيدةً بعرضي الذي أثار محادثاتٍ مضحكة مع العملاء الذين أخبروني بقصصهم الرومانسية المُرعبة.

كنت أغادر المتجر بعد العمل في يوم عيد الحب عندما صادفت إيروين، مدير المخزن، بالقرب من محطة بوند ستريت. قلت: "لا موعد لديك أيضًا؟ هل ترغب في تناول فنان من القهوة؟".

جلسنا على طاولة في مقهى "سبريد إيجل" وتحدثنا عن العمل. لم أكن أعرف إيروين جيدًا. كان شخصًا هادئًا ومتواضعًا، وكنت دائمًا معجبةً بمدى جديته في العمل ومعرفته الواسعة. كان إيروين هولنديًا، ودرس تسويق وبيع الكتب في الكلية وعمل في مكتبة "ووترستونز" في أمستردام. كان من مدينة إيدام.

سألت: "موطن الجبن؟" فقال إنَّ السياح يأتون من كل حدبٍ وصوب ليشاهدوا عملية توصيل الجبن إلى المدينة عبر القنوات على متن قوارب يرتدي فيها الناس ملابس تقليدية. وأضاف أنَّ الجبن في هولندا لا يكون مغلفًا بالشمع الأحمر؛ فهذا الشمع يُستخدم فقط للتصدير.

كانت فتاة على طاولة قريبة تبكي على باقة من الورود الحمراء. طلبت مني سيجارة، وعندما غادرت أعطتني واحدة من ورداتها. حاولت أن أشد انتباه إيروين إلى قصتها المُحتملة، لكنه لم يبدُ مهتمًا بذلك. شربنا بضعة أكواب من القهوة، ووافقنا على أننا سنبدو مشبوهين إذا جاء أيُّ شخصٍ من العمل ورأنا جالسين معًا في عيد الحب ووردة حمراء على الطاولة.

الآن، بعد معرفة نهاية القصة، من المغربي أن أظن أنني رأيت شيئاً ذا مغزى في تلك الأمسية، لكن في الحقيقة لم يكن هناك أيُّ إحساسٍ بالإثارة أو لمحة عن أي شيء مميّز. كنت أجد إيروين مثيراً للاهتمام من ناحية مظهره الخارجي. كان لديه أسنان غير متساوية وعين بلون مختلف عن الأخرى، ولكن منذ قراءتي لكثيرين كوكسان، أصبحت أحبُّ السمات الجسدية الغريبة، وكنت دائماً مفتونة بالندوب أو خصل الشعر البيضاء أو الأصابع المفقودة، ولم أكن أتأثر بالنواقص أو العيوب.

قضيت يوم عيد الفصح مع زملاء العمل الذين لم تكن لديهم أي خطط أخرى. أطلقنا على أنفسنا اسم "اليتامى والمُشرّدين". شربنا وأكلنا كثيراً، وانتهى بنا المطاف بأنني وإيروين بقينا معاً. وما زلنا معاً حتى اليوم. أُعجب دائماً بأخلاقيات عمله، وما زلت أسعى إلى إثارة اهتمامه عندما أريد اختراع قصص عن غرباء حزينين في المقاهي والمطاعم.

كنت أشتري الكثير من الكتب في أكسفورد ستريت. كنت أجلس مع مندوبي دور النشر، وهم يعرضون لي ما لديهم من جديد لأقرّر ما إذا كنت سأطلب نسخاً للمتجر أم لا. في أحد الأيام، جاء مندوب بينغوين ليعرض عليّ إصداراً جديداً من سلسلة الكلاسيكيات المعاصرة لكتاب "نمر القمر" لـ "بينيلوب ليفلي". كان غلاف الكتاب رائعاً. كان يظهر كلوديا، البطلة ذات الشعر الأحمر، ممدّدة على السرير بينما "نمر القمر" الأخضر، الذي يطرد البعوض، يحترق في الزاوية، ويمضي في عمله تدريجياً حتى يتحوّل إلى رماد. لم يكن من المفترض أن أطلب سوى نسخة واحدة من الكتب

المُعَاد إصدارها، لكنني كنت مفتونة جدًا بالتصميم، فاندفعت وطلبت ست عشرة نسخة.

إيروين كان يتولّى مسؤولية مراجعة الطلبات، وجاء إليّ ليسأل: "هل طلبت ست عشرة نسخة من إعادة إصدار كتاب (نمر القمر) Moon Tiger؟". زعقتُ: "نعم، إنه أحد كتبي المفضّلة على الإطلاق. الغلاف الجديد رائع".

قال: "حسنًا، يجب عليك التأكد من أنها تُباع".

عزيزي القارئ، فعلتُ ذلك.

كنت أيضًا مسؤولة عن تنظيم الفعاليات. كنا نقيم توقيعات كتب كبيرة بدلًا من اللقاءات الحميمة مع الكُتّاب، فكان أغلبها مع المشاهير، وأحيانًا مع كُتّاب أدب كبار بما يكفي لتنظيم النوع نفسه من الفعاليات. على مدى ثمانية عشر شهرًا، انبهرتُ بزادي سميث، وصرخ شيرون أوزبورن في وجهي، وتبسّم ديفيد بيكهام في وجهي، وتريسي إمين عانقني، ودخّنتُ مع إيوان مكريغور، وعرض عليّ ريك ميال أن نتواعد. أعتقد أنه كان يمزح.

لقد تعلّمت أن معظم المؤلّفين طبيعيون بشكلٍ مدهش، لكن الكثير من المشاهير غريبو الأطوار لدرجة أن الشهرة نفسها قد تكون سببًا في فسادهم. الرياضيون غالبًا ما يكونون سهلين في التعامل بسبب اجتهداهم وانضباطهم وتواضعهم. أما أقلُّ الفئات المفضّلة لديّ من المشاهير فكانت الكوميديين، لأنهم كانوا يتعمّدون أن يجعلوا الجميع يعانون من عدم

الاستمتاع بصحبتهم دون مقابل. الطهارة كانوا مجموعة متنوّعة؛ بعضهم كان مغرورًا ومتنافسًا ويسعى للتأكد من أنّ كتابه يُباع بشكل أفضل من كتب الآخرين. لكنهم لم يكونوا يشعرون بالإرهاق من التحدي البدني لتوقيع مئات الكتب.

اكتشفت أنّ معظم المشاهير أصغر حجمًا مما كنت أتخيّل، باستثناء ديفيد هاسلهوف الذي يبلغ طوله نحو ثمانين أقدام. كاتي برايس كانت لطيفة وودودة حتى عندما سقطت تنورتها واضطربنا للذهاب إلى جون لويس للحصول على دبابيس أمان لتستطيع مواصلة التوقيع. أسوأ يوم في مسيرتي كان عندما قرّر بيليه فجأة أن ينسحب، مما تركنا مع مئات الزبائن الغاضبين الذين كانوا ينتظرون لساعات طويلة. بسبب قانون التجارة في أيام الأحد، لم نتمكّن من ردّ ثمن الكتب غير المُوقعة. كانت تجربة كابوسية. لكن تلك الليلة، عندما وقّعت زادي سميث لي نسخة من كتابها عن الجمال وكتبت: "شكرًا لك على إظهار أسرار الكواليس" كانت لحظة جميلة جدًا.

وفي فترة ما بعد الظهر التي أرادت فيها لورين باكال -التي تشعر بالتعب والملل- البقاء لفترة أطول في منطقة الكواليس نفسها، وطلبت مني أن أشرح لها الأشياء بينما كنا نجلس على الكراسي المريحة، هو شيء سأبقى أتذكّره لبقية حياتي.

مع اقتراب موعد إطلاق هاري بوتر والأمير الهجين، تلقيتُ تدريبًا على كيفية التعامل مع وسائل الإعلام حتى أتمكّن من التحدّث مع الصحافة.

وجدتُ التدريب مثيّرًا للغاية، وكانت تجربة رائعة أن أكون على التلفاز والراديو تلك الليلة. لقد استقبلنا ما يقرب من ألفي زبون في أقل من ثلاث ساعات، وكانت التجربة مليئة بالحماسة، على الرغم من أنني أصبتُ في أسفل ظهري بعد أن رفعتُ حاجزًا للسلامة، وما زلتُ أعاني من ذلك حتى الآن.

كانت تجربة التعامل مع الصحافة تجربة جديدة بالنسبة لي وأحببتها كثيرًا. في الأشهر التالية، أُجريت معي مقابلات حول المتجر لصحيفتي الجارديان وبائع الكتب، وظهرتُ في فيلم وثائقي عن جورجيت هيبير، وطلب مني أن أوصي بكتاب لفقرة في برنامج فنون قصير الأمد.

تحدّثتُ عن "نمر القمر". قال لي المنتج: "أنت رائعة في هذا، يجب أن تفعلي المزيد من هذا النوع من العمل".

كيف؟ كنت أريد أن أصرخ: كيف؟ لكنني كنت خجولة جدًا وعاجزة عن أن أطلب ما أتمناه.

في عيد الميلاد ذلك العام، شغلْتُ منصبًا مؤقتًا لأعنتني بالفعاليات في كل من فرع أكسفورد ستريت والمتجر الرئيسي في بيكاديلي. كان المبنى كبيرًا للغاية، وغالبًا ما كانت المصاعد تتعطل، مما كان يسبب صعوبات في نقل المخزون -أو النبيذ والفطائر التي كانت مخصّصة لفعالية عيد الميلاد- عبر أرجاء المبنى. مع حلول بداية السنة الجديدة، كنتُ مرهقة جدًا. فقدت صوتي تمامًا، وكنت مضطرة لمغادرة الغرفة خلال فعاليتنا مع

إيان رانكين بسبب نوبة سعال شديد. كان متفهمًا جدًا وتعامل مع الوضع بلطف عندما اضطر لتقديم نفسه.

على الرغم من أنني كنت أستمع بالإثارة التي تجلبها فعاليات المشاهير، بدأت أشعر بالتعب من بعض الزبائن الذين يأتون لهذه الفعاليات. كان هؤلاء الزبائن في كثير من الأحيان يظنون أنهم سيكونون أصدقاء مع المشاهير إذا ما تخلصوا من الوساطة المُملة التي أقدمها. شعرت بالإحباط العميق عندما تمكنت امرأة وقحة من الحصول على نسخة موقعة مجانيًا عن طريق تقديم شكوى كاذبة عني إلى مديري. بكيْتُ حتى نمتُ تلك الليلة، مُحطمة القلب لأنني كنت في الثلاثينات من عمري، أعمل بجد للحصول على القليل من المال، وما زلتُ أستاذتُ لأي شخص يسعى إلى إزعاجي. حاولتُ البحث عن وظائف جديدة، لكنني تراجعت عن إكمال طلبات التوظيف مرارًا وتكرارًا.

ذات يوم بينما كنت في العمل، دخلت إلى قسم المساعدة الذاتية في الطابق السفلي. كنت غالبًا ما أستخدم بالنساء الحزنيات اللاتي يشتري كنًيا مثل قواعد الحب، لكنني كنت في تلك اللحظة مهتمة بمراجعة بعض الكتب المتعلقة بالوظائف. جذب انتباهي على غلاف أحد الكتب سطر يقول: "لماذا لا تفكر في مسيرة مهنية متعدّدة المهام؟" وقفت هناك وأنا أردي قميصي المطبوع، أقرأ بفضول قبل أن يزعجني زبون آخر بطلباته، وكنت أتساءل، كيف يمكن لشخص مثلي أن يبدأ مسيرة مهنية متعدّدة المهام؟ شعرت بالضيق والجمود. كان حزني على ماتي دائمًا على مقربة مني، يظهر دون إنذار ليهددني بالانغماس في مشاعر الحزن. لقد

دفنت حزني في أعماق نفسي بعد سنوات من البكاء والألم إلى أي شخص مستعد للاستماع، وأدركت أن لا أحد يريد فعلاً أن يعرف التفاصيل، لذا أبقيت حزني بعيداً عن الأنظار .

مرّت الحياة بهدوء . اصطحبني والداي وإيرون إلى باريس لقضاء عطلة نهاية أسبوع، حيث استمتعت بالأكشاك الصغيرة على ضفاف نهر السين التي يبيع فيها الناس فنونهم. تخيلت نفسي أملك كشكاً صغيراً للكتب، أختار فيه عشرة أو اثني عشر كتاباً مفضلاً في كل مرة وأوصي بها للمارة الذين يحتاجون إلى قراءة جيدة. اكتشفنا متجر كتب إنجليزيًا يدعى عربية اليد الحمراء، واشتريتُ لوالدي نسخة من (نمر القمر) تحدّثت مع صاحبة المتجر عن بيع الكتب، وقالت لي: "إذا كنتِ تبحثين عن عمل..." .

جزء ممّي كان شديد الاهتمام بهذا العرض . لماذا لم يحدث هذا قبل أن ألتقي بإيرون؟ شعرتُ بالشعور نفسه عندما عدت إلى العمل وبدأت في تصفح لوحة إعلانات الوظائف الداخلية. كورك! يمكنني أن أعيش في المدينة التي وُلد فيها والدي وأن أقضي وقتاً أطول مع عائلتي الأيرلندية.

ثمّ سمعت أن هتشاردز بحاجة إلى مساعد مدير . كان حبي لذلك المتجر قد بدأ منذ قراءتي عن تاريخه في روايات ماري ويسلي منذ سنوات. والأمر الرائع أنه لم يكن هناك زيّ موحّد للموظفين! استمتعت بمُقابلتي مع الرجل الذي أصبح مديري الجديد، وبعد بضعة أيام صادف إيرون وقال له: "إنها رائعة، ولكنها مجنونة بعض الشيء".

فأجابه إيريون: "ربما تكون غريبة الأطوار قليلاً".

كان آخر حدث لي في ووترستونز أكسفورد ستريت هو توقيع كتاب لكايلى مينوج -التي كانت صغيرة وجذابة- في عيد ميلاد إيريون الثلاثين. والآن، يوجد في الموقع نفسه متجر يونيكولو. أזור المكان من وقتٍ لآخر، وفي آخر زيارة، جلبتني رائحة بائع الهوت دوغ إلى ذكريات سهرات ما بعد العمل في ديوك أوف يورك وكوك تابيرن، وأيضًا إلى الليالي المتأخرة في المقهى الإسباني في هانوي ستريت. تذكّرت حين جاءت الدكتورة جيلين مكيث لعمل حدث ترويجي لكتابها "أنت ما تأكله"، وكنت أمزح في غرفة الموظفين بأنني إذا كانت محقة، فأنا أشبه بكوب من الشاي مع بقايا السجارة وشطيرة هوت دوغ، نصف مأكولة، بجانبه.

ما بقي معي هو روح الرفقة والنكات التي كُنّا نتبادلها. كان لدينا قسمٌ كبير للأدب الرومانسي وبطاقة توصية مكتوب عليها: "هذا الكتاب فعلاً أثارني" كُنّا نضعها تحت كتب عشوائية، وكلما مررت بها كُنْتُ أضحك، وما زالت تلك الذكرى تُثير ابتسامة على وجهي حتى الآن.

بينما كُنْتُ أبحث في بعض الصناديق استعدادًا للانتقال إلى منزلنا الجديد، عثرت على بطاقة وداعي التي كانت مليئة برسائل زملائي الجميلة. كتب إيريون: "حظًا سعيدًا في هتشاردز. أنا سعيد لأنني سأظل أراك كل يوم".



حب سلي

إنه من الحقائق العالمية المعروفة أنَّ الحب يكون أكثر إثارة وجدارة بالكتابة عنه عندما تسوء أموره. في بداية الرواية، إذا رأيت زوجين سعيدين، فاعلم أن هذه السعادة لن تستمر. الخداع، والخيانة، والتسلط، هي مواضيع مثيرة في الأدب، وتُعدُّ من أفضل الروايات التي تتناول خيبة الأمل الناتجة عن الحب.

في الحديث عن ذلك لجوليان بارنس، نجد أن ستيوارت وأوليفر وجيليان، هؤلاء الثلاثة يمثلون مثلث حب، نبدأ معهم من البداية لنرى كيف تغيّرت حياتهم على مرِّ الزمن. كما يذكر ستيوارت، "الحياة لا تتركك تذهب لشأنك كما تريد، أليس كذلك؟ لا يمكنك وضع الحياة جانبًا كما تضع الكتاب جانبًا".

"احتراق القلب" لنورا إيفرون

كانت نورا إيفرون حاملاً في شهرها السابع بطفلها الثاني عندما اكتشفت بأن زوجها يريد الزواج بأخرى. لطالما كانت والدتها تقول لها: "كل شيء يمكن أن يكون مادةً للكتابة"، فحوّلت إيفرون هذه التجربة إلى رواية كوميدية رائعة. الطبعة التي أقرأها مرارًا وتكرارًا تأتي مع مقدّمة رائعة كتبت بعد اثنين وعشرين عامًا، حيث تقول: "كنت أعلم منذ اللحظة التي انتهت فيها زواجي أنَّ هذه القصة قد تصبح كتابًا يومًا ما - إذا استطعت فقط التوقف عن البكاء".

”ما يخصك“ بقلم: جارت جرينويل

”ما يخصك“ لجارت جرينويل: تروي هذه الرواية الرشيقة والمؤلمة بشكل جميل قصة مدرس أمريكي يلتقي بشابة تدعى ميتكو في دورات مياه القصر الوطني للثقافة في صوفيا، ويصبح مهووسًا برغبته فيها بحبها. تجمع الرواية بين الألم الفوضوي للحب غير المتبادل وغير المناسب، وتشبه إلى حدٍ كبير رواية عبودية الإنسان بقلم و. سومرست موم، حيث تلتقط الحقيقة المؤلمة بأن معرفة أن موضوع حبا غير جدير لا تساعدنا في التوقف عن التلهف على اهتمام الحبيب.

”نهاية العلاقة“ بقلم: جراهام جرين

نهاية العلاقة لجراهام جرين: ”التعبير عن التعاسة أسهل بكثير من التعبير عن السعادة“. تنتهي قصة الحب بين موريس بندريكس وسارة مايلز بعد سقوط قنبلة على شقتهم وقد كانا مع بعض فيها. يعجز بندريكس عن فهم سبب توقف سارة عن رؤيته، وينغمس في دوامة من الغيرة المدمرة. بعد مرور عامين، يصادف زوج سارة ويجد نفسه متورطًا من جديد في هوسه بامرأة لم يستطع فهمها.

”ساحة شجرة التفاح“ بقلم: لويز دوتي

العالمة المرموقة إيفون كارمايكل تغادر جلسة تقديم الأدلة أمام لجنة الانتقاء في مجلس العموم لتجد نفسها في طريق رجل تجده جذابًا بشكل

خطير. دون التفكير في العواقب، وتبدأ بذلك ارتباطاً يقودها إلى قفص الاتهام في محكمة أولد بيلي، ونهاية سلسلة طويلة من الخيانات. أحب هذه الصورة، إنها لامرأة تفقد تماسكها، والتفاصيل الجغرافية الحيّة لمدينة لندن، والطريقة التي يتم بها الكشف عن أهمية ساحة شجرة التفاح.

”حياة صغيرة“ بقلم: هانيا يانا جيهارا

جود، جي بي، ويليم ومالكولم يشقون طريقهم في مدينة نيويورك. الرواية تقليدية، رواية ما بعد التخرُّج تتحوَّل إلى منعطف أكثر ظلاماً، حيث نكتشف تدريجياً أسرار ماضي جود التي تمنعه من العيش بالكامل في الحاضر. لن أكذب عليك، أيها القارئ العزيز: لا يوجد الكثير من الراحة أو الفرح في هذه الرواية، لكنها عملٌ عبقرٍ يطرح أصعب الأسئلة حول حدود الحب.



الاثنين الأسود

(هاتشاردز) هي أقدم مكتبة في إنجلترا - أنشأها جون هاتشارد في عام 1797- وتقع في بيكاديللي بجوار مطعم فورتنوم وماسون. يأتي العديد من عملائنا من البلاد لزيارة كلا المتجرين، ثم لتناول الغداء. كانوا كما تخيلتهم مثل الشخصيات الخارجة من إحدى روايات ماري ويسلي مباشرة، وقد أحببت مراقبتهم.

لقد كانوا في العادة مهذبين، أكثر بكثير من زبائن متجر هارودز، والناس الطيبين في شارع أكسفورد، الذين كانوا منهكين ومستعجلين، وكثيرًا ما يتسوّقون في استراحة سريعة من العمل. كان عملاء هاتشاردز لطفاء، وشريطة أن تكون على دراية بالذي تريده، وهو ما فعلته، تقديرًا.. وكانوا في الغالب كبارًا في السن، واعتدت على رفض توصياتي لأنّ الخط كان صغيرًا جدًا. لقد أحببتهم، هؤلاء كبار السنّ الراقيين، وكُنْتُ أتوق إلى أن أكون الحفيد الذي كانوا يشترون له الهدايا.

قد يقول بعض الرجال: "أنا لا أقرأ الكتب التي كتبتها نساء"، لكنني غالبًا ما أتمكّن من وضع شيء ما في كومة الكتب التي يشترونها من خلال إثارة حماسهم بشأن هذا الكتاب، ثمّ القول: "أوه، لكنه مكتوب بواسطة امرأة". امرأة، ويحاول إعادتها إلى الطاولة. لكن الرغبة في الكتاب تكون اشتعلت بقوة، فينتزعونه من يديّ، وهكذا غيّرت عادات القراءة لدى عدد قليل من الرجال خلال فترة وجودي هناك.

إحدى لحظاتي المفضّلة كانت في قسم التاريخ العسكري، حيث أجريت محادثة طويلة مع رجلٍ مسنٍّ يرتدي ملابس تويد ويشترى كتابًا عن يوم الإنزال في نورماندي. قال لي: "تعرفين الكثير عن الحرب بالنسبة لامرأة".

كانت ساعات العمل أكثر تحضُّرًا أيضًا، حيث كنا نغلق في السابعة مساءً. كان المبنى قديمًا جدًّا ويحتوي على مصعد واحد يتعطل بانتظام، لذا قضيت الكثير من الوقت في الصعود والنزول على السلالم لمُساعدة الزبائن ذوي العكازات. كان ذلك مرهقًا بشكلٍ خاص عندما كان نظام التكييف المُتقلّب يتعطل، مما يجعل المتجر يغلي أشبه بالمرجل.

كنت قد حضرت دورة تدريبية في الإدارة تضمّنت جزءًا حول كيفية التعامل عندما تسوء الأمور. كانت الفكرة هي أن تعرف ما الذي بين يديك، وتحت سيطرتك وتركّز عليه. طبّقت ما تعلمته في أحد أيام السبت الحارة. قُلت لنفسي: "حسنًا، لا يمكنني التحكم في حقيقة أن المصعد قد تعطل، وأن نظام التكييف لا يعمل، وأن ثلاثة أشخاص قد اتصلوا للإبلاغ عن مرضهم، ولكن يمكنني التحكم في ردّة فعلي تجاه ذلك".

أحيانًا كانت تنقطع الكهرباء.

في الماضي، كان المتجر عبارة عن مبنّيين، وكنا متصلين بشبكاتٍ مختلفة حتى نبقى مزودين بالطاقة من دون انقطاع، إضاءة فقط بدون أجهزة كمبيوتر. لقد أعجبنى أمر تعطل الأنظمة واضطرابنا الاعتماد على المعلومات الموجودة في رؤوسنا. ذات مرّة، عندما انقطعت الكهرباء عن

الطابق السفلي وأصبح مظلماً، اضطررنا إلى إخلاء العملاء، ورفض رجل في قسم الإثارة المغادرة. في النهاية تركته وشأنه وكان لا يزال هناك عندما عادت الطاقة بعد ساعة.

قضيت معظم وقتي في الخدمة في مكتب الاستقبال. اشترى عدد من العملاء كتاب "تيار الهواء"، المذكريات المنشورة مؤخراً، والتي وصفت فيها إليزابيث جين هوارد حياتها التي تشبه الرواية إلى حدٍ كبير. زواجها في زمن الحرب من السير بيتر سكوت، وشؤونها العديدة، وزواجها الثاني اللاحق، قبل مقابلة كينغسلي أميس في مهرجان شلتنهام الأدبيّ والزواج منه في النهاية.

كنت أقرأ "تيار الهواء"، في أثناء استراحتي، ثم غُصت في سلسلة "وقائع كازاليت"، حيث وجدت أنّ هوارد قد استكشفت بالفعل الكثير من العناصر الذاتية من خلال إهداء أحداث حياتها إلى شخصياتها. تبدأ سلسلة الروايات بـ "السنة الضوئية"، والتي تبدأ في عام 1937، حيث يختلف أعضاء عائلة كازاليت حول مدى خطورة هتلر. يعمل إخوة كازاليت في شركة الأخشاب العائلية، وزوجاتهم لديهن مواقف متباينة تجاه العلاقة الزوجية.

تجد (فيلي) أنّ التعامل مع إدوارد هو عبء، ولكن والدتها أخبرتها ألا ترفض له طلباً أبداً، لذا طورت موقفاً من الاستياء الصبور، وصارت تنظر للأمر على أنه وسيلة لإثبات حبها.

تعشق (سيبيل) زوجها (هيو) وتتوق لتهدئة الصداق والآلام التي، بالإضافة إلى يده المبتورة، هي إرثه من الحرب، لكن عندها قلق بشأن

الحمل مرّةً أخرى. زوجة (روبرت)، (زوي)، التي توصف بأنها جدّابة جدًّا كما يقول الآخرون، مدللة، ولكننا نكتشف أنّ والدها توفي في السوم^(١)، وتمّ إرسالها إلى مدرسة داخلية عندما كانت في الخامسة من عمرها، حتى تتمكّن والدتها من العمل مع إليزابيث آردن في تجميل وجوه النساء طوال اليوم. زوي تقرأ "ذهب مع الريح" وتستمتع بالمشاهد العاطفية. ربما كانت (زوي)، مثل سكارليت أوهارا، سطحية تشبه وعاء الحساء.

الحرب تلوح في الأفق، وآثار الحرب الأولى لا تزال تلقي بظلالها الملموسة، مع تزايد صعوبة تجاهل تهديد حرب أخرى. كان (هيو) يرى أنّ التقليل من شأن هتلر بوصفه مجرد سخيف أو مجنون هو خطأ، وهو قلق من ناحية تشامبرلين، بالنسبة له تشامبرلين لا يمكن أن يكون قائدًا قادرًا على أن يخرج رؤوس الناس من الرمال.

في كل مرّة أعيد قراءة وقائع كازاليت، ألتهم التفاصيل المنزلية بشراسة، أكاد أذوق الطعام تقريبًا: اللحم المسلوق الحار مع صلصة البقدونس والفاصولياء العريضة، تشارلوت روس، تارت العسل الأسود، شوكولاتة تيري المرأة، مشروب بوفريل الساخن على الشاطئ، الكلى في وجبة الإفطار، أدمغة الخراف ملفوفة في ورق شمعي. الناس يشربون القهوة ويدخنون كثيرًا - يحدث الكثير من الأحداث بينما يمسك أحدهم بفنجان في يد وسيجارة في اليد الأخرى.

(1) معركة السوم في شمال فرنسا أكثر المعارك دموية في تاريخ الجيش البريطاني وأحد أكثرها شهرة بمآسيها في الحرب العالمية الأولى.

تتناقض حياة الخدم ومُستخدِمِيهم بشكلٍ كبير. السيدات يرتدين الألباس الفاخر (السهام والقلوب)، بينما يرتدي الخدم قبعات من القش. تستخدم النساء قطع الكتان، وهناك خزانة خاصة للقماش الفانيلي المُعد لتلك الاستخدامات النسائية، التي يطوئونها إلى شرائح. تُرسل الأكياس المُتسخة إلى المغسلة مع ملصق عليها. هناك حقائب مختلفة منها مخصّصة للخدم وحقائب مخصّصة للسيدات في المنزل .

نساء كازاليت اللواتي التقيناهن كأطفال في رواية لايت يبرز بقلم: لويز وبولي وكلاي - مبدعات وفنيات، وغالبًا ما ينتهي بهن الأمر إلى الوقوع في عبودية النوع الخطأ من الرجال، كما فعلت هوارد نفسها. أخبرها لوري لي إنه لا يمكن لأي شخصٍ جميل مثلها أن يكتب بشكلٍ جيد. كما أن آرثر كويستلر يحبها أن تصمت وتتناول عشاءها. أما كينغسلي أميس، فعندما قرأ في النهاية إحدى رواياتها، شعر بالارتياح والدهشة عندما وجد أنها كانت جيدة. لم تكتب هوارد كثيرًا عندما كانت تعيش مع أميس، مشغولة تعتني به وبأطفاله. وفي وقتٍ لاحق، في إحدى المُقابلات، قالت إن "كينغسلي لم يكن الشخص الذي يمكن أن يغلي بيضة"، والتي قد تكون أفضل جملة من سبع كلمات لشرح الأمر على الإطلاق.

كُنت أحبُّ قراءة عن هؤلاء الشابات بينما أتأمل في علاقات الحب الكارثية الخاصة بي، والتي بدت الآن في الماضي الآمن، في وقتٍ كنت فيه سعيدة مع الهولندي الطويل والخجول.

إحدى العادات التي طوّرتها في أثناء العمل في هاتشاردز، أن يكون

لديّ مشروع قراءة مستمر . بدأ هذا كقرار للعام الجديد لقراءة الروايات الاثنتي عشرة التي تشكّل "رقصة على أنغام الزمن" لأنطوني باول - كتبت في مذكّراتي في ذلك الوقت، "سعيدة لأنني أنجزته، لكن أيضًا سعيدة لأنه انتهى". لقد استمتعت بالفكرة كثيرًا لدرجة أنني قرّرت أنه من المؤسف أن أقصرها على شهر يناير، فبدأت فورًا العمل على قراءة الروايات العشر التالية، بدأتها بـ "صدقات للسلوان" لسايمون رافين -وهي جيدة جدًا جدًا-، ثمّ "ملحمة فورسايت" لجون جالسوردي، قبل أن يقضي على "بروست".

جاء الكثير من المؤلّفين إلى هانشاردز للتوقيع على الأسهم، وكانت لدينا طاولة صغيرة جدًا على شكل هلال لهذا الغرض. كان هناك حفل سنويّ لمؤلّف العام، حيث يقوم الضيوف بتوقيع أسمائهم في كتاب جميل مغلّف بالجلد. في كثيرٍ من الأحيان، عندما أقوم بتوضيب الرفوف، كنت أقوم بتأليف روايات الجريمة التاريخية في رأسي، حيث يُقتل المؤلّف في أثناء الحفلة، وكان على بطلة الرواية والتي هي بائعة الكتب -التي كانت مثلي إلى حدٍّ ما- أن تتعاون مع أحد المُخبرين لمعرفة القاتل.

أحد أفضل الأماكن التي يمكنك التواجد فيها كان في الطابق السفلي مع الكتب الخيالية ذات الغلاف الورقي.

كنت أهدئ نفسي بترتيب كتب جورجيت هيرر أبجديًا وأوصي بها للأمريكيين الزائرين الذين يرغبون بشيء إنكليزي خصوصي. تميّز كتبها بأنها تمنح متعة الهروب من الواقع مع جرعة رائعة من التاريخ المدروس بعناية والكثير من الفكاهة. قالت جورجيت هيرر عن كتبها: "أعتقد أنه

ينبغي إطلاق النار عليّ لكتابتني مثل هذا الهراء، لكنه بلا شك أدب (هروبي) جيد؛ وأعتقد أنني سأحبها لو كنت جالسة في ملجأ غارات جووية، أو أتعافى من الإنفلونزا“.

كما كتبْتُ أيضًا بعض روايات الجريمة، وأعيد نشرها عندما كنت في هاتساردز، لذا فقد انتقلت إلى قسم الجريمة الكلاسيكية الممتعة. الكتب كانت مضحكة غالبًا. لم تكن جورجيت هيير تعرف مصطلح ”العجرفة الذكورية“، لكن رواياتها تعجُّ بالرجال المتغطرسين الذين يعتقدون أنهم يعرفون أفضل من الجميع، بالإضافة إلى أبطالها الساحرين، الذين غالبًا ما يكونون سيئين .

كنت في حاجة ماسة إلى الأدب الهروبي الجيد في ذلك الوقت. في أحد أيام الاثنين من شهر يناير عام 2007، ذهبت أنا وإيرون إلى المستشفى لإجراء فحص الحمل. كنا متحمستين للغاية. كان لدى والدتي موعد في المستشفى في اليوم نفسه في كورنوال، لإجراء فحص للكيس الموجود تحت ذراعها. لم تكن قلقة. لقد كان لديها العديد من قبل وكانت حميدة.

في تلك اللحظة، عندما تكون مستلقياً هناك مع وضع الجِل على بطنك وتدرك أن أخصائية التخطيط الصدى تستعد لإِصال أخبار سيئة. خرجنا من المستشفى وأنا أتعثّر واحتضنني إيرون بينما كنت أبكي وأنا أتكئ على الحائط بجوار محطة الحافلات. عندما وصلت إلى المنزل اتصلت بأمي. أجاب أبي بأن موعد أمي يستغرق وقتًا أطول ممّا توقعوا.

أخبرته عن فقدي للحمل. قلت: "هذا طبيعي"، مردّدة ما تعلمته من أخصائي تخطيط الصدى. "يحدث هذا كثيرًا في بداية الحمل". ذهبت إلى الفراش في فترة ما بعد الظهر وانتحيت فوق وسادتي بسبب فقداني الطفل. الوقت طال عليّ. اتصلت بأمّي. أجاب أبي مرّة أخرى. قال: "سوف نتصل بك عندما تخرج".

اتصلت أمّي في أول المساء. سألتني عمّا حدث في المستشفى فأخبرتها، فقالت: "حسنًا، لديّ بعض الأخبار الصعبة". لقد أمضت اليوم في إجراء فحوصات مختلفة وكانوا متأكدين بنسبة 95 في المئة من إصابتها بسرطان الثدي.

أحسست وكأن أنفاسي انقطعت. لقد اعتقدت أنني كنت بالفعل حزينة جدًا، وكان من المُربك أن أهبط إلى مستوى أقوى من الحزن. شرحت أمّي كل ما سيحدث بعد ذلك: المزيد من الفحوصات والمواعيد والخزعات. لقد كانت هادئة، وأنا أبكي. قالت: "كما تعلمون، التشخيص ليس سيئًا بالنسبة لسرطان الثدي. وكنت أفكّر اليوم أنه إذا كان هذا هو الحال، فإنه على الأقل حدث وأنت في الخامسة والثلاثين من عُمرِكَ، وليس في الثانية أو الخامسة أو العاشرة. على الأقل لقد أمضينا خمسة وثلاثين عامًا معًا".

كان مديري في هاتشاردز داعمًا للغاية، وعلى مدى الأشهر القليلة التالية، قمت بترتيب مناوباتي حتى أتمكّن من العمل بشكل مكثف، ومن ثمّ أخذ قطار النوم إلى كورنوال، وأقضي بضعة أيام مع والدي، ومرافقة أمّي للعلاج الكيميائي، ثمّ استقل قطار النوم إلى لندن وأتوجّه مباشرة إلى العمل.

كان الأمرُ محزنًا وصعبًا في كثيرٍ من الأحيان، وكنا خائفين، لكننا قرّرنا أن نحاول اقتناص أكبر قدر ممكن من السعادة من خلال وجودنا معًا (قدر الإمكان). كُنّا نضحك على الشعور المُستعار، الأمر الذي اعتقدت أُمِّي أنه يجعلها تبدو حكيمة جدًا وتبدو في وضعٍ مثالي أكثر من أن يكون واقعيًا. واستقرّت على مجموعة من أعطية الرأس البحريّة المُبهجة بدلًا منه. لقد كانت مضحكة للغاية وهي تتعامل مع حقيقة أن الناس استمروا في مدحها على موقفها الإيجابي. ”ما لا أفهمه، أنني لو كنت إيجابية للغاية، كيف أصبت بالسرطان في المقام الأول؟“ لم تكن ترغب في رؤية الكثير من الناس. جعلها العلاج الكيميائي تشعر وكأنها سامة، بل ومعدية. لكن في وقتٍ لاحقٍ سوف تتخلص من كل ما يرتبط بالمرض.

على رفوف كتب والدي كانت هناك نسخة زرقاء كبيرة ذات غلافٍ مقوّى لروايات اللّغة الكورنوشيّة لدافني دو مورييه، وكُنْتُ أقرأ واحدةً مختلفة في كل مرّة أنزل فيها. كان أبي يقرأ أكثر أيضًا. لقد أعطيته سيرة ذاتية موقعة لديفيد بيكهام بعد الاحتفالية التي أقيمت له في شارع أكسفورد.

لم أتوقع منه أن يقرأه، لكنه كان فخورًا بعملِي وأعجب بديفيد بيكهام، لذلك اعتقدت أنه يرغب في امتلاك نسخة منه. أدهشني أنه انخرط في الأمر، ثم انتقل إلى السير الذاتية لرياضيين آخرين قبل البدء في أفلام الإثارة.

أراد أن يقرأ رواية كلاسيكية، لذا بحثت في الرفوف ووجدت نسخة من جين آير. في المرّة التالية التي زرتهم فيها، سألته عن حاله. بدا حزينًا

وخجولاً وأخبرني أنه لا يستطيع فهم الرواية. كنت متفاجئة. لقد اخترت جين آير لأنني اعتقدت أنَّ الافتتاحية سهلة القراءة وسهلة الفهم. التقطت الكتاب من على الطاولة فوجدت أنه كان أحد كتبي الجامعية، وكان به مقدِّمة علمية دسمة. لم يكن أبي قارئاً، لذلك لم يكن يعلم أنه يمكنه اختيار تخطي المُقدِّمة. لذلك ليس غريباً أن يواجه مثل هذه الصعوبة.

خلال الأسابيع القليلة التالية واصل قراءة ما رشحته له. كان يظن بأنه إذا لم يعجبه شيء ما فهذا خطأ، وأنه لا يفهمه بسبب غبائه. قلت: "فكر في الأمر وكأنه التلفاز أو الأغاني، مسموح لك ألا تحب الأشياء. ليس كل شيء سيكون مناسباً لك". أدهشني أنه لم يكن يرغب في قراءة الكثير من الكتب التي تدور أحداثها في أيرلندا.

استمتع بقراءة "بوي بورستال" و"اعترافات متمرّد أيرلندي" لبريندان بيهان لأنهما كانتا مضحكتين، لكن عندما أعطيته كتباً أيرلندية أخرى وجدها محبّطة. لم يرغب في قراءة كتب عن الفقر والقساوسة الفظيعين. قال إنه عاش ما يكفي من ذلك في طفولته، وكان يفضّل نسيانه على أن يُذكّر به.

كان هذا تحوُّلاً غريباً. طوال حياتي، كنت أتحدّث عن الكتب مع أمي، ولكن الآن لم تعد لديها القدرة على التركيز والاهتمام بالقراءة. كانت مريضة جداً بعد العلاج الكيميائي إلى درجة أنها لا تستطيع التحدّث على الهاتف، لذا كان والدي يتصل بي، ويخبرني بأنها بحالة جيدة كما هو متوقع، وكنا نناقش ما كان يقرؤه هو.

كان من المُشير التحدُّث معه عن الكتب، وكثيرًا ما كان يفاجئني بآرائه. إنَّ حقيقة أنَّه لم يتلقَّ أيَّ تعليمٍ رسميٍّ تعني أنَّ هناك أصالة جدَّابة في طريقة تفكيره.

على عكسي أنا، مع عقلية بائع الكتب، لم يفكِّر والدي في تصنيف الكتب، لذلك قرأ "أي قلب بشري" لوليام بويد معتقدًا أنَّها مذكِّرات حقيقة وليست رواية. ولم يكن عنده غطرسة. ولم يخطر بباله أنَّ يحكم على الكتب بقيمتها الأدبية. وعلى عكس العديد من عملاء هاتشاردز، لم يميِّز بين المؤلِّفين الذكور والإناث، وكان يتعامل مع كل كتاب باعتباره شيئًا فريدًا خاصًا به. قال في ذلك الصيف: "الناس يحدقون بي"، عندما كان يرتدي سروالًا قصيرًا، وكان التنين الأخضر الموشوم وكأنه يركض إلى أسفل ساقه من الأعلى، مرئيًا. "لا أحد يتوقع رؤية رجل لديه هذا العدد الكبير من الموشوم يقرأ كتابًا".



“الأثرياء يتصرّفون بشكل سيئ”

يبدو أنّ تلك الكتب قدّمت ملاذًا تشتد الحاجة إليه، حيث تقدّم لمحة عن عالم مختلف تمامًا عن عالمك، ولكنه أسر بشكل غريب في جرائه وتحديه. في بعض الأحيان، في مواجهة التحدّيات الشخصية، نسعى إلى الحصول على العزاء في القصص التي تنقلنا إلى عوالم، حيث يتمّ دفع الأعراف المُجتمعيّة جانبًا، وتعيش الشخصيّات بجرأة معيّنة يمكن أن تكون صادمة ومحزّرة في الوقت نفسه.

من اللافت للنظر كيف أنّ الأدب لديه القدرة على توفير الراحة والإلهاء في اللحظات التي نكون في أمس الحاجة إليها.

“السعي وراء الحب” بقلم: نانسي ميتفورد

تقضي فاني والعديد من أبناء عمومتها طفولتهم في خزانة عائلة هونز، يتحدّثون عن الحياة والموت. لا تستطيع ليندا الانتظار حتى تكبر بما يكفي للعثور على الحب، لكنها تختار بشكل سيئ وينتهي بها الأمر بالجلوس على حقيبتها في (غار دو نور) وهي تبكي. “أنتر فابريس”، الدوق الغني الذي ينقذها ويحبها حتى تفرقهما الحرب. لقد اكتشفت “نانسي ميتفورد” مرّة أخرى في مكتبة سنيث عندما قرأت عنها في مختارات جيلي كوبر “البريطانيون في الحب”، وقد انبهرت بها منذ ذلك الحين.

”مع المُتمردين ومرتبة الشرف“ بقلم: جيسيك ميتفورد

العديد من روايات نانسي ميتفورد تعتمد على طفولتها مع أشقائها الستة، إحداهن -جاسي- التي كانت دائماً تدخر المال وتبيع هدايا عيد الميلاد لتدخر في صندوق خاص للهروب. هنا، تروي أخت نانسي، جيسيك، جانبها من القصة في مذكرات تغطي هروبها الحقيقي عندما هربت مع ابن عمها، إسموند، وذهبا معاً إلى الحرب الأهلية الإسبانية.

”يوميات داف كوبر“ حرّره: جون جوليوس نورويتش

كان داف كوبر جندياً وسياسياً ودبلوماسياً، ملاحظاته عن أكبر الأحداث السياسية في القرن، والجمع بين شؤون الدولة والثروة وراء الكواليس والمغامرات لا تقاوم.

”عزيزي الوحش“ بقلم: ديانا كوبر

الأرستقراطية والمُمثلة ونجمة المُجتمع، زواج السيدة ديانا من نجم السياسة الصاعد داف كوبر وضعهما كزوجين في قلب حياة المؤسسة في النصف الأول من القرن العشرين. تغطي هذه الرسائل من السيدة ديانا إلى ابنها جون يوليوس نورويتش الفترة من عام 1939 إلى 1952، وتشمل الحرب وفترة عمل داف في السفارة البريطانية في باريس، مما يوفّر رؤية أخرى للأحداث التي غطاها في مذكراته. الرسائل مليئة بالحب الأمومي والحكايات الفاضحة.

”ماب ولوسيا“ بقلم: إي. إف. بنسون

عندما تنتقل إميليّن لوكاس، المعروفة باسم لوسيا بسبب ولعها بالحدّث بالإيطالية، إلى مدينة تيلينغ وتستأجر منزل مالارديز من الآنسة ماب، تندلع معركة من أجل التفوّق الاجتماعي. تحاول الآنسة ماب احتكار لوسيا، لكن لوسيا تتمرّد وتجذب الناس الطيبين في تيلينغ بسلسلة لا تقاوم من أمسيات الجسر والحفلات الموسيقيّة وحفلات الحديقة. كيف ستنتقم ماب؟



أيها القارئ، لقد تزوجته!

تزوجتُ إيروين في يوم السبت عيد الفصح عام 2009 في مكتب التسجيل في ريتشموند، ليس بعيدًا عن المكان الذي عاشت فيه فرجينيا وولف، وعلى بُعد خطوات من مكاتب ميلز آند بون في طريق باراديس. كُنت في الشهر السادس من حملي بابننا (مات)، وكانت والدتي قد سُفيت من السرطان بشعرها الرمادي القصير والمُجَعَّد. كان العلاج الكيميائي قد أخذ منها الكثير، لكنها كانت سعيدة بأنها ما زالت على قيد الحياة وقالت إنها تستيقظ كل صباح سعيدة لأنها حصلت على يوم آخر. كان معظم الضيوف الذين لم يكونوا من أقاربنا يعملون في ووترستونز. وكان زوجي الأول، جون، أحد شهودنا.

كُنت قد قرأت نصًا في حفل زفافه قبل عدّة أشهر عندما تزوّج صديقي العزيز جون من صديقتي العزيزة ليزي، التي تعرّفت عليها في هارودز. كان يومًا سعيدًا، محاطًا بأزهار النرجس. لم أكن أعلم، لكن عمتي ماريون أخبرتني أنّ جدي وجدتي تزوجا أيضًا في يوم السبت عيد الفصح. كانت أغنيتهما المفضّلة هي "لا أستطيع رفع ناظريّ عنك" لفرانكي فالبي، وجرى الحفل خلال الغداء في الغرفة العليا لمطعم صغير على ضفاف النهر.

في ذلك الوقت، كُنت مديرةً في متجر ووترستونز في تيدينغتون، وهو متجر صغير جميل يفتح من الساعة 9 صباحًا حتى 5:30 مساءً وكان لديه العديد من الزبائن المنتظمين. بسبب صغر حجم المتجر - كان يمكن

لمساحة الطابق الواحد في بيكاديللي أن يستوعب ثلاثة أو أربعة أمثاله - نادرًا ما كانت تحدث مشاكل كبيرة، على الرغم من أنني كنت مضطرة للتعود على العمل بعدد أقل من العناوين. في البداية، كنت أبدأ الحديث مع الزبائن وأوصي بشيء لم يكن لدينا في المخزن، لكن بعد ذلك أقوم بطلب بعض من الكتب المُفضَّلة لديّ حتى أتمكّن -دائمًا- من اقتناص الفرص لخلق عُشّاق جدد لرواية "نمر القمر"⁽¹⁾ و"ليس ذلك النوع من الفتيات".

كان إيروين يعمل في المكتب الرئيسي في ذلك الوقت -لقد حصل على وظيفة في قسم المُرتجعات بعد إغلاق متجر شارع أكسفورد - لذلك يكون حُرًا في عطلات نهاية الأسبوع، وغالبًا ما كان يأتي معي لترتيب الرفوف أو اختيار المُرتجعات. لم يستغرق إعداد جدول المُناوبات وكشوف المُرتبات وقتًا طويلًا لذا كنت أتمكّن من قضاء معظم وقتي في مكتب الاستقبال -المكتب الوحيد- مع زملائي وعملائي، وكانوا مبهجين.

لم تكن هناك أحداثٌ، ولا مشاهير، فقط إيقاعات الحياة اليومية المُمتعة. حتى عيد الميلاد كان ممتعًا، وقد أحضر عملاؤنا فطائر اللحم المفروم محليّة الصُّنع. مع ازدياد حجمي أكثر فأكثر، اعتنى بي الموظفون،

(1) نمر القمر .. رواية للكاتبة البريطانية بينيلوب ليفلي، نرشحها لجمهور الأدب العالمي، ضمن سلسلة روايات البوكر في الصيف، لكونها واحدة من الروايات التي وصلت إلى قوائم الجائزة الشهيرة في تاريخ الرواية.

في رواية "نمر القمر" تستكشف بينيلوب ليفلي الطبيعة المتغيرة للواقع والهوية من خلال الحياة العديدة للراوي، ففي هذه الرواية يتابع القارئ كلوديا هامبتون، الكاتبة المشهورة، والتي ترقد تحتضر في المستشفى.

وكان العملاء يقدّمون لي النصائح ويربتون على بطني. أعلم أنّ بعض النساء لا يعجبهن هذا، لكنني قرّرت أنّ أفكّر في الأمر باعتباره بركةً ونعمة، إنه فطري لتوفير الحنية والحب للحياة الجديدة. شعرت بأنني في قلب المجتمع، وأن الجميع يعتزون بي وبطفلي. تغيّرت عادات القراءة الخاصة بي أيضًا. في وقت الغداء، أخذت نسخة من رواية لينوود باركلي الجديدة من العربة. وبعد وقتٍ قصير جدًّا قمت بإعادته. رأيت فيه أنّ طفلًا كان على وشك الاختفاء وأدركت أنني لن أتمكّن من التعامل مع الموضوع.

لقد كان بمثابة بداية لعلاقة جديدة مع روايات الجريمة التي كانت دائمة الحضور. مع نمو الطفل بداخلي، لم أعد أستطيع القراءة عن الأطفال المُعرّضين للخطر. في وقتٍ ما قرب نهاية حملي، فقدت الرغبة في قراءة أي شيء آخر غير كُتّيبات رعاية الأطفال وجورجيت هيبير وروايات الجريمة الكلاسيكية اللطيفة التي لا تحتوي على أي دماء. كنت أذهب إلى مكتبة تشيسويك وأجلس تحت أشعة الشمس على المقعد بالخارج، حيث كانت هناك لوحة مكتوب عليها: "من أجل والدتي، امرأة شجاعة ورحيمة". وأعدت قراءة روايات الأخ كادفيل، التي فيها هذه النوعية نفسها من المواضيع، واشترت كتابًا جميلًا بعنوان "أن تصبح أمًا" بقلم كيت موس. وبينما كنت أقرأها في الحمام، شاهدت حركة طفلي تحت جلدي.

من الواضح أنّ (مات) كان يحب الحركة القوية في بطني، لأنّ موعد ولادتي حان، ثم فات عليه الوقت وهو متمسك في مكانه. قال إيريون إنّ آل إيدامرز معروفون بالعناد، وأنّ (مات) لابد وأن يكون إيدامريًا قزمًا

بعض الشيء، ويرفض الخروج. وبعد أسبوعين، تمَّ إجراء تحريض للولادة. كانت الولادة معقَّدة وانتهت بعملية قيصرية طارئة. احتاج (مات) إلى مضادات حيوية بسبب الحمى التي أعانيها، وصرخ بصوت حاد جدًا وهم يغرسون أنبوبًا في قدمه. في تلك الليلة، بينما كان ينام في سريره البلاستيكي الشفاف بجوار سريرى، نظرت حولي إلى الأمهات والأطفال الآخرين وشعرت بالحب المملوء بالقلق. كيف يمكننا النجاح في التعامل مع الحالة الجديدة؟ إنَّ إنجاب طفل جعلني أصبح أكثر حساسية ورقة بالنسبة لجميع الأطفال. لقد كنت دائمًا أنا من دون دموع، ولكنني أصبحت الآن مثل مرشاش الماء. إن مجرد إشارة إلى أن طفلًا ما كان في خطر أو مشكلة، أو حتى أنه يشعر بالوحدة قليلًا، من شأنها أن تجعلني أبكي وأبكي. عند عودتي إلى المنزل، احتفظت بمذكِّراتٍ كتبتهَا من وجهة نظر (مات) لمُساعدتي في تتبع قيلولته ووجباته: "أنا في كيس نومي وأمِّي وأبي يأملان أن أُنقِر في سريرى...". في أثناء الليل بكيت كثيرًا ولا أحد يعرف السبب... بكيت أمِّي لأنها لم تتمكَّن من تشغيل مضخة الثدي... قذفتُ القيء على أمِّي... جاءت القابلة. أنا طفل سليم!... لقد زارني جون وليزي... لقد تبولت على أبي بينما كان يغيِّر حفاضتي واعتقدت أمِّي أن الأمر كان مضحكًا.. كنت أطلع إلى إجازة الأمومة بطريقة لا يتخيلها سوى شخص لم يجرب الاعتناء بطفله بعد، معتقدةً أنه سيكون لديَّ الوقت للقراءة والكتابة. وبدلًا من ذلك تحوَّل ذهني إلى هريسة؛ كنت متعبة جدًا ومنزعجة من الولادة لدرجة أنني أمضيت الكثير من ساعات يقظتي في البكاء. لم أكن سعيدة تحديداً، لقد كان الأمر كاسحًا جدًا. من المؤكَّد أن لا

شيء قرأته من قبل قد أعدّني، بأي شكل من الأشكال، لتعامل مع حقيقة الحب المؤلم والخوف الذي كان يسكن جسدي المُنهك. ظلت أفكر في اقتباس ديفيد لودج: "الأدب يدور -في الغالب- حول علاقة الزواج ولا يحكي الشيء الكثير عن إنجاب الأطفال". "الحياة هي عكس ذلك تمامًا". لقد وجدت كتابًا بعنوان "الحياة بعد الولادة" للكاتبة كيت فيجز والذي ساعدني كثيرًا. كتبت في مذكراتي: "عليّ ألا أشعر بالإحباط لأن الأمور لم تكن مثالية". "كل شيء يتعلق بالطفل هو عمل شاق للغاية، ومن الأفضل أن أتقبله". لقد كنت سعيدةً لأنني، على الأقل، حصلت على عطلة عيد الميلاد، ولكن عندما دفعت عربة (مات) في أرجاء مكتبة ووترستونز في تشيسويك في ذلك الخريف، كرهت أنني لم أتعرف على الكتب الموجودة على الطاولة ولم أستمتع بشعور أنني مواطنة متحضرة.

ربما كانت هذه أول علامة على الرغبة في العودة إلى قراءة الكتب الجديدة مرّة أخرى. ذهبنا أنا و(مات) إلى المكتبة كثيرًا للاستمتاع بأوقات الشعر والغناء، ولمجرد الخروج من الشقة. لم نذهب إلا إلى قسم الأطفال، ولكن في أحد الأيام بينما كنت أخرج بعض الكتب المصوّرة، لفت انتباهي نسخة من كتاب (قصر الذئاب)⁽¹⁾ للكاتبة هيلاري مانتل. لقد كانت ضخمة! كيف يمكنني مجرد حملها؟ مرّرت أصابعي عليه. ما هذا

(1) قصر الذئاب (بالإنجليزية: Wolf Hall) رواية تاريخية للكاتبة الإنجليزية هيلاري مانتل. تعتبر واحدة من أفضل عشر روايات تاريخية، وجاءت في قائمة صحيفة الغارديان لأفضل 100 كتاب نشر في القرن 21. حصلت الرواية على جائزة مان بوكر العالمية في 2009، وجائزة نقاد الكتاب الوطنية 2012. نشرت في عام 2009 عبر دار فورث إيسيت، وترجمت إلى اللغات الإسبانية، والعربية، والبرتغالية، والليتوانية، والفلمندية، والألمانية.

الوخز الذي شعرت به من خلال الغطاء البلاستيكي؟ لم أستطع المقاومة. لديّ صورة لـ (مات) وهو يبلغ من العمر بضعة أشهر ممدودًا على غلاف مقوَّى كبير. حاولت قراءته في أثناء الرضاعة وفشلت -فقد كان أكبر من أن أتمكّن من حمله بتوازن- ولكنني النقطة بعد أن نام (مات) على صدري، كنت أحمل الكتاب عاليًا، حرصًا على عدم إسقاطه على رأسه الصغير. لقد ألمني معصامي، اللذان تأثرا ضعفًا بسبب الحمل، لكنني كنت منبهرة جدًا لدرجة أنني لم أتوقف عن القراءة. أتذكّر الشعور العميق بالارتياح لأنني تمكّنت من التعامل مع الكتب الكبيرة المُعقّدة مرّة أخرى. لم أشعر أنني على ما يرام من قبل، وكأنني قد سُرقت من قوتي السحرية. يروي وولف هول قصّة كنت قد قرأتها في كتب جان بليدي ونورا لوفتس، على الرغم من أن مانتل يحوّل المألوف إلى شيء جديد، يبت الحياة والحيوية في الحكايات القديمة.

نرى هنري الثامن وحاجته لآن من خلال عيون توماس كرومويل. في معظم الروايات التاريخية، يكون كرومويل هو الشرير وتوماس مور هو القديس، لكن مانتل قلب الأمور بحيث إذا كان عليك اختيار توماس لتلتقي به في زقاق مظلم، فسيكون كرومويل بدلًا عنه في كل مرّة. إنه أرمل وأب مفجوع، وكما ترسمه مانتل، يبدو كرجل عاقل ومتعاطف.

من الغريب قراءة هذا الكتاب بينما يقوم ابنك الصغير السليم بركل قدميه على بطانية أمامك. ماذا يمكن أن يفعل هنري أو كاثرين أو آن من أجل طفل كهذا؟ عندما يقترب وقت الولادة، آن، تكون محتجزة في غرفتها في

غرينتش، لكن الطفل الذي كانوا ينتظرونه بفارغ الصبر ظهر أنه طفلة. يذهب كرومويل لرؤيتها: تمّ وضع الأميرة، غير المقمطة، على وسائد عند قدمي آن: عقدة قبيحة، أرجوانية، أشيب من النساء،

مع خصلة منتصبة من الشعر الشاحب، وعادة رفع ثوبها كما لو كانت تظهر أكثر سماتها المؤسفة.

أحب (مات) صوتي وكان من المهمّ بالنسبة له أن يسمع الكلمات، لذلك كنت أقرأ له بصوت عالٍ في كثير من الأحيان. ولم أقرأ له أيًا من المقالات المتعلّقة بالاضطهاد الديني. كلما أصبح أكثر إدراكًا، شعرت براحة أقل في قراءة كتب البالغين، وتوقّفت عن القيام بذلك تمامًا بعد فصلين من كتاب "الدمار" لجوزفين هارت. على الرغم من أنه لم يستطع فهم كلمة واحدة، إلّا أنني لم أرغب في تلويث إحساسه بياس البالغين. أو ربما كان الأمر مجرد أن "الضرر" لم يكن مناسبًا لقراءته بصوت عالٍ يرضي طفلي. بعد ذلك قرأت له كتب الأطفال. أعجبتني بشكل خاص تلك التي لها مقفى، وأصبح فيلم "تيدلر" لجوليا دونالدسون -الذي يدور حول سمكة ذات خيال كبير- المفضّل لدى كلينا. لقد غنيت له كثيرًا أيضًا، وقمت بتأليف أغنية مستوحاة من تلك الأغاني الأيرلندية التي كان والدي يغنيها لي، يبدو فيها الراوي -دائمًا- وكأنه يقيس المسافة من مكانٍ إلى آخر: "أوه، إنه أجمل طفل على الإطلاق" لم يشهد العالم مثيلاً له من قبل، من دونيجال إلى كيري، ومن كورك إلى سكيبيرين. واستمعنا أيضًا إلى الكتب الصوتية التي حصلت عليها من المكتبة. لقد قرأت رواية زوجة

المسافر عبر الزمن لأودري نيفينيجر، والتي صدرت عندما كنت أعمل في متجر هارودز، وكل ما يتعلّق برغبة هنري وكثير في إنجاب طفل صار له معنى كبير عندي الآن، وقد بكيت في أثناء قراءتي لذاك الكتاب. ومن أبرز الكتب الأخرى كانت مذكّرات أنطونيا فريزر بعنوان "هل يجب أن تذهب؟ حياتي مع هارولد بينتر". لقد كان مليئاً بعظمةً مهيبة.

كان يتلو هذا الكتاب صوتٌ من أكثر الأصوات فخامة سمعته في حياتي على الإطلاق، في سطور مثل: "في اليوم الذي تطلّقت فيه ذهبت بمفردي إلى لا بوهيم وجلست في عباءة مخملية سوداء وبكيت الفصل الأخير ملأ قلبي وعيني". كانت هناك روابط صغيرة؛ النقوا في عيد ميلادي الثاني، وقضوا وقتاً ممتعاً في مطعم بعد مباراة كريكييت بالقرب من مكان إقامتنا.

لم أستطع أن أتخيّل حياة قد يأتي فيها هارولد بينتر ويقرأ لي "لاركن" في الحمام، ونضحك عليه وأنا أنظف دورات المياه. اعتقدت أن أنطونيا فريزر كان لديها عاملة نظافة، وتساءلت كيف كانت ستتأثر حياتها مع هارولد بينتر لو اضطرت إلى تنظيف قذارته. كنت بحاجة إلى القيام بشيء أستغل فيها فترة نوم (مات)، فقامت بالتسجيل في وحدة الكتابة الإبداعية بالجامعة المفتوحة. كتبت قصصاً قصيرة عن الحمل والزواج (الإجهاض)، وكلاهما من منظور الرجال. في مهمّة لكتابة السيرة الذاتية، قمت بتدوين ملاحظات لقطعة كتابية بعنوان "حياتي بدون هارولد بينتر"، والتي كنت أنوي فيها استكشاف حياة لا أمتلك فيها عباءة مخملية سوداء، وليس عندي عاملة نظافة، أو شخص يقرأ لي مسرحيته في الحمام. لكن في النهاية قرّرت أنه من التخاذل وعدم الصدق ألا أكتب عن وفاة ماتي.

كانت وفاته لا تزال تبدو لي أهم حدث في حياتي، على الرغم من أنني لم أتحدّث عنها أبداً.

لم أتمكّن من مواجهة الأمر بشكلٍ مباشر، لذا كتبت عن ليلة الحادث بصيغة الغائب.

عندما اقتربت الدورة الدراسية من نهايتها، كان الواجب الأخير هو كتابة الفصل الأول من رواية. كنت أنوي أن أواصل العمل على الرواية بعد انتهاء الدورة الدراسية، ولكن بمجرد أنه لم يعد عندي مواعيد تسليم نهائية، وجدت صعوبة في تحفيز نفسي للكتابة. ومع اقتراب نهاية إجازة أمومتي، حان الوقت للعودة إلى العمل.



الأمهات وأطفالهن

هناك الكثير من الأدب الذي يتناول موضوع الوقوع في الحب، لدرجة أنه يبدو من المستحيل تقديم تأملات أصلية ومبتكرة في هذا الموضوع. ومع ذلك، فإن موضوع الأمومة أقل تغطية في الأدب، على الأرجح، لأن النساء مشغولات للغاية في رعاية أطفالهن لدرجة أنهن لا يملكن الوقت لتدوين تجاربهن. تعرض لنا الكتب التالية العلاقة بين الأم وطفلها بكل تعقيداتها.

”النهاية التي نبدأ منها“ بقلم: ميجان هانتر

الوصف: في مستقبل قريب (يعطي انطباعًا وكأنه الحاضر)، تلد الراوية طفلها في لندن التي تهددها مياه الفيضانات المُتقدِّمة. وبما أنها تعيش في منطقة ”الطوفان“، يجب عليها البحث عن مأوى وأمان، ولكن ما كان مألوفًا تحوّل ليصبح خطرًا، بينما يتفكك النظام الاجتماعي من حولها.

لقد أحببت الطريقة التي تتناقض بها الرحلة إلى منطقة الأمومة غير المألوفة مع الحاجة إلى الابتعاد عن الخطر. ومن المذهل إعادة تصوّر لندن كمكان للفرار منه، حيث تحوّل سكانها إلى لاجئين.

”قسم التكهّنات“ بقلم: جيني أوفيل

”لا يزال هناك مثل هذا الانحراف في قلبي“. لقد اعتقدت أن حبّ شخصين كثيرًا من شأنه أن يصحح الأمر في ستة وأربعين فصلًا قصيرًا،

تأخذنا الراوية في مراحل الزواج من الفضول المُحاط بالإعجاب إلى المُشاجرات المكتومة، ثم التكيُّف غير المريح. تمَّ تصوير الرعب والتعب الناتج عن تولي مسؤولية طفل حديث الولادة، حيث تلتقط الراوية بمهارة رعب وإرهاق الأمومة، والحزن على الحب المُتضائل، واستحالة الإبداع على المرأة بينما هي تغرق في الحياة المنزلية.

”اسمي ليون“ بقلم: كيت دي وال

”بدأ ليون يلاحظ الأشياء التي تجعل أمه تبكي“. ليون يبلغ من العمر تسع سنوات -تقريبًا-، عندما يولد شقيقه الصغير جيك يعشقه على الفور، ولكن مع فشل والدتهما في التأقلم مع الوضع الجديد، تتعرَّض وحدة عائلتهم الصغيرة للتهديد. ليون ليس غيبًا -فهو لا يؤمن بابابا نويل، ويعرف متى يقوم البالغون بتزييف وجوههم- ولكن الأمر الذي مازال صادمًا له، ولم يكن مرضيًا، هو أن يكتشف أنه قد يتمُّ التخلي عنه عندما يتمُّ تبني جيك لأن جيك أبيض وهو ليس كذلك.

”الحزن هو الشيء ذو الريش“ بقلم: ماكس بورتر

”كنا أولادًا صغارًا بسيارات تحكُّم عن بُعد ومجموعات ختم بالحبر، وكنا نعرف أن هناك شيئًا ما“. الأم ميتة في هذه القصة الحزينة والمضحكة، تاركة زوجها، الباحث في أعمال تيد هيويز، لرعاية ابنيهما. لم يكن وحده لفترة طويلة، حيث ينزل غراب ليقدم النصائح. الأولاد بصراخهم ”لا نريد الاستحمام، أجسامنا نظيفة!“ رائعون؛ وكذلك والدهم، عندما يعد

بالحصول على المزيد من العمل في التدريس والتوقف عن التفكير كثيرًا في تيد هيوز .

”الأم“ بقلم: يفيت إدواردز

طُعن ريان، ابن مارشا، حتى الموت دون سببٍ واضح، والآن تذهب إلى المحكمة كل يوم لترى ما إذا كان الشاب المُتهم بقتله سيُدان أم لا . لم يكن ريان قد تورَّط في مشاكل من قبل، فلماذا كان يحمل سكينًا؟ هناك الكثير من التحوُّلات والمنعطفات مع تطوُّر هذه الدراما القضائية، وخلالها يهيمن السؤال عن كيف يكون الشعور بفقدان ابن بسبب موتٍ عنيف وظالم؟.

”الطريق الأخضر“ بقلم: آن إنرايت

ترك أبناء روزالين ماديجان والدتهم في منزل العائلة على الساحل الغربي لأيرلندا من أجل السفر حول العالم. الآن تقول روزالين إنها ستبيع المنزل، لذلك تريد منهم العودة لقضاء عيد الميلاد الأخير معها فيه. رواية رائعة عن الأسرة والانتماء - تتضمن مشهد التسوُّق في عيد الميلاد الذي يجعلني أضحك بشدة.

180



الراحة والفرح

الأمُّ العاملة

عدتُ للعمل كمديرة لمتجر ووترستونز لمكتبة ووترستونز في ريتشموند، وهي مكتبة جميلة تقع بالقرب من النهر. لقد كان الأمر متعباً منهكاً من الناحية الجسدية لأنَّ جسدي قد تغيّر بعد الحمل والولادة، كان ظهري ومعضمائي ضعيفين، لذا كان مجرّد القيام بالأشياء البسيطة مثل فتح درج النقود أو إغلاقه مؤلماً، ولم أكنُ قادرة على حمل أكثر من بضعة كتب دفعةً واحدة.

افتقدتُ الأيام التي كنت أستطيع فيها أن أتجوّل في المتجر حاملَةً أكواماً من الكتب ذات الأغلفة الورقيّة. والمُشكلة الأخرى أنّني لم أعِ حقاً مدى اعتماد حياتي العملية على ساعات العمل الإضافيّة. منذ أن عملت في أكسفورد ستريت، قبلت أن يكون الذهاب مبكراً والانصراف في وقتٍ متأخّر جزءاً من عملي، ولكن الآن بعد أن أصبحت مضطّرة إلى الإسراع إلى منزل مربّية الأطفال لاصطحاب (مات)، بات من المُفترض عليّ أن أغادر في الوقت المُحدّد. في يومي الأوّل قبضنا على شخص يسرق قارئاً إلكترونيّاً، ولم أتمكّن من المُغادرة قبل استجواب الشرطة. وفي اليوم الثاني، أجرينا فحصاً طارئاً للسلامة من الحرائق، وفي موعد الإغلاق، كان ضابط الإطفاء لا يزال يخبرني عن الأثاث الزائد في الفناء الخلفي للبناء.

سألني: "طبيب، ما تلك الأشياء؟".

فأجبته: حاويات القمامة "دامبينز". "تضعون فيها الكتب".

- "يا له من اسم مضحك".

- "أنت على حق،"

كانت مربية ابني رائعة ومرنة في التعامل، ولكن كان عليّ أن أدفع لها مقابل الوقت الإضافي الذي ترعى فيه مات، وقد أدركتُ بعد دفع تكاليف رعاية طفلي أنني كنت أكسب 26 جنيهًا إسترلينيًا في اليوم، وإذا استمرت في التأخر والاضطرار إلى دفع المزيد للمربية، فقد ينتهي بي المطاف إلى عدم امتلاك المال، لمجرد الذهاب إلى العمل. ومع ذلك، لم أتحتسّر على المال الذي أدفعه، لأنني منذ أنجبت طفلي، تعلّمت أن كلّ مَنْ يعمل مع الأطفال يستحق راتبه حقًا. ولم أكن أفكر أبدًا في ترك العمل، بل كنت أشعر بالسعادة في التحدّث مع الكبار. بغضّ النظر عمّا يحدث اليوم، أحيّث نفسي بأنني عندما أسير في ريتشموند هاي ستريت، لن يتقيأ أحدٌ عليّ.

كان هناك متجر للأجهزة الكهربائية في الشارع الرئيسي دائمًا يضع لافتة إعلانات على شكل حرف "A" في الخارج تعلن عن "عرض المدير الخاص". مستوحاة من هذا، قمت بإعداد صندوق كتب على الأرضية الرئيسية، مليئًا بكتبي المفضّلة - ليست جديدة، بل هي رفقتي المجرّبة والمختبرة- وشعرت أنني حققت الروح التي كنت أتوق إليها عندما كنت أنظر إلى الأكشاك المقفلة بجانب نهر السين في باريس. لقد وضعت صندوق كتبي الصغير المليء بالحلوى، في وسط الزحام والحركة للكتب الجديدة الصادرة والواردة.

كان المُوظَّفون في متجر ريتشموند مجتهدين وودودين ويتقنون عملهم. وقد قال لي أحد زملائي الجدد، "نحن قلقون بعض الشيء، فأنت إنسانة طموحة ولن تبقي هنا طويلًا". سررتُ بذلك التصوُّر عني، إذ لم يكن هذا شعوري، لكنني أدركت أنني قطعت شوطًا طويلًا منذ الأيام التي لم أكنُ أستطيع فيها القيام بالتواصل البصري في مقابلة عمل.

قلت: "لا أعرف كم سيطول بقائي، لكنني سأهتُم بك جيّدًا في أثناء وجودي هنا. هذا كلُّ ما يمكن أن أعدك به".

لقد حاولت دائمًا أن أكون مديرة جيّدة، وكثيرًا ما كنت أعيد قراءة مقاطع من كتاب "ما تمّ فقده"، لأذكّر نفسي ألا أتوتّر بسبب زيارة المدير الإقليمي أو زيارة المقرّ الرئيسي. وبدأت أخطئ في اقتباس أقوال أوسكار وايلد لنزقّه عن أنفسنا في أثناء القيام بالمهام الصعبة أو المُملّة: نحن جميعًا في الحضيض من الأعمال، لكنّ المشكلة أنّنا نحاول دومًا التطلّع إلى النجوم (إلى القمة).

منذ أنجبت (مات) أصبحت أركّز على مسيرتي المهنيّة بطريقةٍ لم أشعر بها من قبل. كنت أعمل أيّام السبت لأتمكّن من الحصول على يوم في الأسبوع كإجازة لأقضيه معه.

وفي أحد أيّام السبت، قام إيروين بإحضار (مات) إلى المتجر ليلقي التحيّة عليّ في اللحظة التي كان فيها أحد العملاء يصرخ في وجهي، لسببٍ كنت قد نسيتُه منذ وقتٍ طويل. كلُّ ما أذكره أنّ الرجل الغاضب كان يناديني بـ "الفتاة" وأنّه كان يرشني برداذٍ من فمه.

كنت قد اعتدت، على مِرِّ السنين، أن أفخر بقدرتي على تحمُّل إساءة العملاء، ولكن أن يحدث هذا على مرأى ومسمع من (مات)، جعل شعوري مختلفًا. لم أكن أريده أن يكبر ويرى شخصًا -لا يستطيع السيطرة على أعصابه- يسيء معاملة والدته أو يصرخ في وجهها.

بدأت أشعر برغبة كبيرة في الحصول على عمل مختلف، مع أنني لم أكن أعرف كيف أفعل ذلك. وبعد ذلك طُلب مِنِّي القيام بمُهَمَّة قصيرة على خشبة المسرح في مؤتمر ناشري ووترستونز. كان المُتحدِّثون الآخرون من المكتب الرئيسي، ولكنَّهم أرادوا الاستماع إلى وجهة نظر مختلفة يقدِّمها شخصٌ يعمل في المكتبة.

كنت متحمِّسةً للهروب من روتيني اليومي، وفي الوقت نفسه متوتِّرة. كان المُقدِّمون الآخرون يعرضون شرائح على البور بوينت تحتوي على مخطَّطات دائريَّة وإحصائيَّات، في حين لم يكن لديَّ سوى كتاب.

شعرتُ باضطرابٍ في معدتي حين صعدت المسرح. قلت: "اسمي كاثي"، و"أحبُّ التحدُّث مع الغرباء عن الكتب". توقَّعتُ أن أتمكَّن من رؤية وجوه الحاضرين، إلَّا أنَّ الإضاءة كانت مسلَّطة على خشبة المسرح فلم أر سوى الظلام. نظرتُ إلى الشاشة خلفي، أبحث عن الصورة التي طلبت عرضها، لغلاف الكتاب الذي كان في يدي، وهو رواية بعنوان "نمر القمر".

كنتُ أتوقَّع أن أطمئنَّ عندما أرى صورة تلك المرأة ذات الشعر الأحمر المُستلقية على السرير. لقد تدرَّبت على الجُملة الافتتاحيَّة: "هذه كلوديا"،

كنت سأقول ذلك وأنا أُلَوِّحُ بيدي إلى الشاشة. لكن الصورة كانت لطبعة مختلفة من الكتاب، لم تكن هناك امرأة ولا سرير، فقط رسمة لأشجار النخيل.

أصابني الذعر! ولكن بعد ذلك شعرت بتدفُّق الأدرينالين في عروقي، "نمر القمر"، قلت مشيرةً إلى الخلف نحو الأعلى، "إحدى رواياتي المفضَّلة. تُدعى بطلتها كلوديا، نتعرَّف عليها وهي تُختَصَر".

تحدَّثْتُ عن مدى حيِّي لهذا الكتاب بالتحديد -عن النطاق الواسع لتاريخ العالَم الذي نراه بعيون امرأة تُختَصَر- وللكتب عمومًا، وكيف أنَّ أكثر ما استمتعت به في وظيفتي هو الطريقة التي تجعلك بها الكتب تبني جسورًا مع أشخاص لم تلتقي بهم من قبل، وكيف أنَّ بعض أعمق اللحظات في حياتي مررت بها في المتجر في أثناء محادثة مع عميل التقيت به للتو.

ورويت لهم بعض القصص المضحكة عن متجر هارودز، وقصَّة عن امرأة غاضبة في متجر أكسفورد ستريت شتمتني عندما أخبرتها أنَّه لا توجد رواية جديدة بعنوان "جوليان وجورج"، وأشارت إلى أنها ربَّما تبحث عن رواية "آرثر وجورج" لجوليان بارنز.

وتكلَّمتُ عن مدى حيِّي لكتابة بطاقات التوصية، وإيجاد الكلمات المناسبة لإقناع العملاء بشراء كتاب أعشقه، وكيف أرى نفسي المحظَّة الأخيرة في الرحلة بين عقل المُؤلِّف ويد القارئ. ثمَّ أنهيت حديثي بتوصية سريعة لكتاب -"الغرفة" لإيما دونوغو- فصقَّق لي الحضور.

بعد ظهر ذلك اليوم، كنت أفكر وأنا في طريقي إلى مترو الأنفاق بأنني استمتعت بذلك، وأن الأمر كان مثيرًا، وأتني أرغب حقًا في التحدث إلى الناشرين بعد ذلك.

وفكرت أنني أود القيام بالمزيد من هذا الأمر. أود أن يكون هناك المزيد من هذه الأشياء في حياتي. ثم توجهت لاصطحاب (مات) من منزل مربية الأطفال، وفي اليوم التالي ذهبت إلى العمل وعدت إلى حياة مديرة المكتبة - أدير جدول الدوام وكشف الرواتب ومراجعة الحسابات والإيرادات - ونسيت الأمر.

وبعد شهرين، انضبت للعمل بالمقر الرئيسي، وشعرت بالسعادة، لأسباب أهمها أن مبنی عملي كان على بعد عشر دقائق فقط، سيرًا على الأقدام، من شقتنا ومن منزل مربية الأطفال، أصبح كل شيء أسهل قليلًا من الناحية اللوجستية، على الرغم من أنني كنت ما أزال غارقة في محاولة التوفيق بين رعاية الطفل والخروج للعمل.

كثيرًا ما لاحظت، وأنا في أحد الاجتماعات، أثر مخاط الطفل على كم سترتي.

عُيِّنت في المقر الرئيسي بصفة منسقة لتجارب التسويق. كانت الفكرة أننا إذا عرضنا الكتب بشكل مختلف يمكننا بيع المزيد منها، لذا كان علينا التفكير في إيجاد طرق جديدة لتنظيم الكتب الخاصة بالرحلات أو القواميس، ثم اختبار الخطة الجديدة في بعض المتاجر لمعرفة مدى نجاحها.

اضطرتُّ إلى استخدام جداول بيانات (اكسل)، لكنِّي لم أكن أحسن استخدامها. فقمْتُ بحضور إحدى الدورات، ومع ذلك لم أستفد منها كثيرًا. كنتُ بحاجة لفهم شيءٍ ما يُسمَّى ”دالة فلوك أب“، ولكني لم أتأكَّد إن كنت قد فهمتها أم لا. استمرَّ إيروين بمحاولته أن يشرح لي، لكنِّي لم أستطع فهمها مهما رأيته ينقِّذها أمامي. أُصِبتُ بالصداع النصفيَّ للمرَّة الأولى والوحيدة في حياتي، وأصبحت أرى أضواءً وامضة. قال اختصاصيُّ البصريَّات بأنَّه لا يوجد تناسق في الرؤية بين عينيَّ، ولكن من المُحتمل أن يكون ذلك بسبب الضغط النفسي.

ظلت أحلم أنَّي أرسل القطع البلاستيكيَّة الخاطئة إلى مكاتب لم تطلبها، وأن الجميع كانوا غاضبين مِنِّي. وخشيت أن أصبح صاحبة قرارات عديمة الفائدة في المقرِّ الرئيسي.

لحسن الحظِّ، أنَّني أصبحت مديرة علاقات الناشرين قبل أن أرتكب أيًّا من الأخطاء الفادحة. وكان مقرُّ عملي الجديد هذا أيضًا في الشارع الذي أعيش فيه، وهو منصب رائع يتطلَّب الكثير من التحدُّث مع الناس حول الكتب، وتنظيم أشياء مثل المُسابقات وزيارات المُؤلِّفين لحبِّ بائعي الكتب على الإقبال على شراء عناوين محدَّدة.

حظيْتُ بشرف إقامة الفعاليَّات الخاصَّة برواية ”السيرك الليلي“ بقلم إيرين مورجنسترن، ”أردتُ أن أخبرك يا عزيزي“ بقلم لويزا يونج، وكتاب ”رحلة هارولد فراي غير المُحتملة“ بقلم راشيل جويس. في البداية كنت متوتِّرة للغاية في وجود الناشرين -لقد بدوا مشرقين وباهرين وأذكاء

للغاية-، ولكنني سرعان ما اعتدت على ذلك، وعلى تقبيل الناس عند مقابلتهم، مع أنني أدركت بعد حين أن معظم الناس يرمون قبلة في الهواء بدلاً من طبعها على الخد كما كنت أفعل.

كان أحد الكتب التي عملت عليها كتاب **”كيف تصبحين امرأة“** للكاتبة **كيتلين موران**، التي كان أسلوبها النسوي مبهجاً ومضحكاً. أصبحت أكثر طلاقة، بل وطلبت زيادة في الراتب. ولطالما حلمت بكتابة مدونة عن الكتب، ولكن لم تكن لدي الثقة الكافية. ثم أصبحت أكثر تعمقاً في الكتب، فكتبت مقالاً عن كتاب **”كيف تصبحين امرأة“**، ثم شاركته على تويتر. فأحبه الناس!

بعد ذلك، أخذت الأمور منحى آخر. كانت صحيفة **”ذي إيفنيغ ستاندرد“** تقوم بحملة لمحو الأمية تحمل شعار **”اجعل لندن تقرأ“**، وأرادت ووترستونز أن تسهم في الحملة. وأخبرت الأشخاص عن والدي وكيف كان يجد صعوبة في القراءة والكتابة، لذا قامت صحيفة **”ستاندرد“** بإجراء مقابلة معي حول هذا الموضوع في شارع البيكاديلي. كان أبي فخوراً جداً بي وقد أعجبه أن تجربته كانت مفيدة للآخرين. وصل اعتداد أبي بنفسه إلى مستوى الغرور عندما عُرض عليّ العمل في مؤسسة **”كويك ريدز“**، وهي مؤسسة خيرية تنشر كتباً قصيرة للقراء البالغين حديثي العهد بالقراءة. لو كنت رأيت إعلاناً، لما امتلكت الشجاعة للتقدم إليه، لكن الكثير من الأشخاص شجّعوني على ذلك.

كان قلبي يخفق بقوة في أثناء المقابلة لدرجة اعتقدت معها أن

الجميع سمعه بالتأكيد، لكنني هددت، وأجبت عن الأسئلة، وكنت صادقةً حيال ما لم أكن أعرفه، وتحدثت كثيرًا عن والدي وما تعلّمته منه، بما في ذلك إخفاقه في قراءة رواية "جين آير"، وكيف تحسّنت حياته كثيرًا بعدما أصبح قادرًا على رؤية نفسه قارئًا. وكذلك تحدثت عن رغبتني في كسر الحواجز التي جعلت الناس يشعرون أنّ الكتب ليست لهم، وأنّه ليس بالضرورة أن تكون الأعمال الأدبيّة صعبة القراءة، وفي حال تمّ تعييني، سأطلب من مؤلّفٍ حاز على جائزة البوكر أن يكتب عملاً "لكويك ريدز" ستكون تلك مهمّة صعبة"، قالت لي السيّدّة التي تجري المُقابلة مع أنّها كانت تبتسم.

وعندما اتّصلت لتعرض عليّ الوظيفة، لم أفكّر أبدًا ووافقت على الفور. وهكذا انتهت سنوات بيع الكتب.



كُتِبَ عن القراءة

قد يسهل علينا أن نعتبر قدرتنا على القراءة وحصولنا على التعليم أمرًا مفروغًا منه. تستعرض هذه الكتب الحالات التي يعجز فيها الأشخاص عن القراءة أو يُحرَمون من التعلُّم، وتتطرَّق إلى تأثير ذلك على بقيَّة حياتهم.

”القارئ“ بقلم: بيرنهارد شلينك

عندما كان مايكل في الخامسة عشرة من عمره، مرَّ بعلاقة حبِّ عابرة مع امرأة تكبره سنًّا، تُدعى هانا، كانت تُحبُّ أن يقرأ لها بصوتٍ عالٍ.

بعد سنوات، يصبح مايكل طالبًا في كليَّة الحقوق، ويحضر محاكمة لحرَّاس معسكرات الاعتقال وتكون هانا في قفص الاتِّهام. لماذا لا تدافع عن نفسها ولماذا توافق على أشياء غير صحيحة؟ ”القارئ“ كتاب جيِّد، نعتقد أنه يُشير إلى مايكل، ولكن من المُمكن أن يلمِّح أيضًا إلى هانا عندما تعلَّمت القراءة، وربَّما يتعلَّق بنا أيضًا عندما نَقِيب الصفحات ونفكِّر في قدرتنا على التسامح مع أشخاص ارتكبوا أشياء فظيعة.

”حكمٌ نهائيٌّ“ بقلم: روث ريندل

”قتلت يونيس بارشمان عائلة كوفرديل لأنَّها لم تكن تستطيع القراءة ولا الكتابة“. يكشف السطر الأوَّل من هذا اللغز ”مَنْ القاتل“، وتكشف البقيَّة سبب انتقام عاملة النظافة من أصحاب عملها بهذه الطريقة الوحشيَّة وكيف اكتُشِفَت في النهاية بسبب فشلها في محو الدليل المكتوب.

”المنافسون“ بقلم: جيلي كوبر

تاجي أوهارا ابنة صحافي معروف وممثلة مشهورة. يتمتّع كلٌّ من أخيها وأختها بذكاء عالٍ، وتشعر بأنّها غريبة الأطوار، لأنّها تعاني من عُسر القراءة، ولا تميّز يسارها من يمينها، وليس لديها أيُّ مهاراتٍ باستثناء الطبخ. في النهاية يبتسم الحظُّ لـ ”تاجي“ عندما يُعجّب روبرت كامبل بلاك بطبيعتها الظريفة. يأتي هذا الكتاب في وقتٍ لم نكن نعي فيه بعد ما هو ”عُسر القراءة“، ولم أتمكّن من إحصاء عدد الأشخاص الذين أخبروني أنّه ساعدهم في التعرّف على المُعانة التي يواجهها أصدقاؤهم وأفراد عائلتهم.

”تعليمات لمواجهة موجة الحرّ“ بقلم: ماجي أوفاريل

تقوم غريتا بخبز الخبز عندما يخرج زوجها لشراء إحدى الصحف ولا يعود. يحدث ذلك في صيف عام 1976 الطويل الحارّ، ويؤدّي اختفاء روبرت إلى عودة أولاده الكبار القلقين إلى منزل العائلة. وتأتي، ”أوفي“، الابنة الصغرى، من نيويورك، حيث فشلت في وظيفتها كمساعدة مصوّر لأنّها لا تجرؤ على الاعتراف بأنّها لا تستطيع القراءة.

”أنا ملالا“ بقلم: ملالا يوسفزاي

في أكتوبر عام 2012، استقلّ مسلّحون من حركة طالبان حافلة مدرسيّة بحثًا عن الفتاة التي أصبحت معروفة بدفاعها عن التعليم. ”من هي ملالا؟“ سألوا. ”أنا ملالا“ قالت ملالا، فأطلقوا عليها النار مباشرةً. هذه

قصة تتحدث عن الحياة اليومية والأمور المذهلة والشجاعة التي تتحلى بها فتاة صغيرة نشأت في مجتمع لا يحق فيه للمرأة بالتعليم.

”على الأرض، نحن عظماء لبرهة“ بقلم: أوشن فونج

”أكتب لأصل إليك - حتى لو كانت كل كلمة أكتبها تبعد عنك كلمة واحدة“. يكتب صبي يدعى ليتل دوج رسالة إلى والدته التي لا تستطيع القراءة. لطالما كانت أيامهما عامرة بالحب وإن عكّر صفوها العنف الذي يندلع دون سابق إنذار عندما تكون منهكة من العمل في صالون العناية بالأظافر ومن استنشاق الأبخرة طوال النهار. هل سيكون حرًا في سرد تلك القصة عن رحلتهم من فيتنام إلى أمريكا إن استطاعت فهم كلماته؟



من القارئ إلى الكاتب

باشرتُ بوظيفتي الجديدة في كويك ريدز في 23 من أبريل عام 2012، ويصادف هذا التاريخ يوم ميلاد شكسبير، ويوم أمسية الكتاب العالميّة. هناك الكثير لتتعلّمه! كان عليّ أن أطلب الكتب وأتأكّد أيضًا من أنّها ستُقرأ على أوسع نطاقٍ ممكن. كنتُ على دراية بقصّة والدي، لكنّي سرعان ما اكتشفت أنّ هناك الكثير من الأسباب المتنوّعة التي قد تجعل الناس يبلغون سنّ الرشد دون القدرة على القراءة والكتابة على نحو جيّد. كانت كتبنا معروضة في المكتبات للبيع والقراءة، وكانت تُستخدم في أماكن تعليم الكبار، وفي صفوف محو الأميّة للاجئين القادمين حديثًا إلى البلاد، وفي السجون.

كانت زيارتي الأولى للسجون إلى سجن بنتونفيل، وهو بناءٌ كبيرٌ محصّنٌ في شمال لندن. اكتمل بناؤه في أربعينيّات القرن التاسع عشر. عندما مررتُ بنقاط التفتيش الأمنيّ، وأفرغت حقائبي وجيوبِي لأظهر بأنّي لا أنوي إدخال أيّ شيءٍ خلسة، بدأتُ يداي ترتجفان وفكّرت كم سيكون شعورك سيّئًا لو كنت تزور أحد أحبّائك في هذا المكان، بدلًا من الدخول للحديث عن الكتب. رافقني في هذه الزيارة آندي ماك ناب، الذي أنهى مؤخرًا كتابًا قصيرًا لنا في كويك ريد يتحدّث فيه عن رحلته مع القراءة. تخلّى والدا آندي عنه عندما كان طفلًا، وجُيّد في الجيش بعد خروجه من مؤسّسة بورستال لتأهيل الجانحين، وقد تعلّم القراءة في الجيش. كنّا نزور بنتونفيل كي يورّع آندي الشهادات على السجناء الذين أكملوا تحديّ

الكتب السنّة، وهو برنامج تديره هيئة القراءة التي تشجّع القُرّاء الجدد على الالتزام بإتمام قراءة سنّة كتب.

دلفنا قاعة كبيرة مليئة برجال يرتدون ملابس رياضيّة رماديّة اللون ووقف آندي في مقدّمة القاعة. وأخبرهم كيف غيّر مدرّسو الجيش حياته بقولهم له: "أنت لست بليدًا، أنت غير متعلّم وحسب". ثمّ قام بتوزيع الشهادات. لقد ساورتني بعض الشكوك عندما سمعت عن التحديّ، إلّا أنّني تأثّرت عندما اتّضح لي مدى أهمّيّته لكلّ من صقّق له الحضور وهو يتقدّم لمصافحة آندي.

"رائع"، همستُ لأمين مكتبة السجن الذي كان يجلس بجاني.

"لم يحظَ معظمهم بالتصفيق من قبل"، قالت "إنّها المرّة الأولى التي يتلقون فيها الاستحسان على الملأ". لقد أذهلني ذلك، وفكّرت في شهادات التقدير التي حصلتُ عليها في المدرسة، وفي ظهوري في المسرحيّات، وفي الشعور الذي سينتابني لو لم أختبر أيّاً منها على الإطلاق. سرت قشعريرة في جسدي، وانا بنيت شعورٌ حقيقيٌّ بأنّي كنت في المكان المناسب ووجدت طريقةً للقيام بعملٍ هادف.

شعرت بالصدمة والإحراج لأنّني لم يخطر ببالي السجن من قبل، ولم أكن أعرف مدى تدبّي مستويات القراءة والكتابة وارتفاع نسبة المُتسرّبين من دور الرعاية بين السجّناء.

عندما النقيت المزيد من الناس وتحدّثت معهم، أدركت شيئاً فشيئاً

عدد الأشخاص الذين خذلهم المجتمع مرارًا وتكرارًا. كنت أودُّ مناقشة الأصدقاء الذين أرادوا رؤية المُجرمين يلقون جزاءهم. ”ستتبرَّعون بالمال إلى الجمعية الوطنية لمنع القسوة ضد الأطفال“، أليس كذلك؟ كنت سأقول ”والسجن مليءً بالبالغين الذين لم يحصلوا على أيِّ دعم أو توجيه في صغرهم. يجب أن تتبرَّعوا بالمال لإعادة التأهيل“.

أحببتُ العمل في السجن. كان الأمر صعبًا ومؤلمًا، وكنت أبكي في طريق عودتي إلى المنزل، لكنِّي شعرت بتأثر شديد عندما أدركت أنني قد تمكَّنت من تغيير نظرة الناس للقراءة. كما واصلت التوضيح للجهات الخيرية الطيبة التي تنشر النوايا الحسنة، بأنَّه إذا وجدنا شخصًا راشدًا لا يعرف القراءة، فذلك لأنَّه واجه تجربة سيئة مع التعليم. وفي كثيرٍ من الأحيان، لن يُعَدَّ هؤلاء الأشخاص القراءة على أنَّها مصدر للراحة والفرح، بل مصدر للشعور بالذلِّ والقلق، كالرجل الذي تعرَّفت عليه وكان قد نشأ في إحدى دور الرعاية. كان يقيم في مهجع مع خمسة أولاد آخرين وقد بقي اثنان منهم فقط على قيد الحياة، وقال بأنَّه عندما تكافح من أجل البقاء على قيد الحياة، يصبح التعليم في أدنى قائمة أولوياتك.

بدأت أخبرُ الأشخاص الذين ألتقيهم في السجن عن والدي لأنَّ ذلك ساعدهم على الوثوق بي. لم يسبق لأبي أن دخل السجن من قبل، لكنَّه كان من حينٍ لآخر يقضى بعض الليالي في الزنازين، تارةً لكونه ثملًا، وأخرى لكونه أيرلنديًا وُجد في مكان وتوقيت غير مناسبين. كنت أتحدَّث عن طفولته، التي لاقت قبولًا واسعًا لدى الأشخاص الذين كنت أتحدَّث إليهم، فالكثير منهم عانوا الفقد والحرمان في طفولتهم وذاقوا مرارة

الفقر. ذات يوم قال أحد الأشخاص: "شكرًا لأنك أخبرتنا عن والدك، لقد ذهلت حين علمت بأن شخصًا يشبهني، قد تكون لديه ابنه مثلك".

بقدر ما كنت أعتقد أنّ القراءة توسّع مداركنا، لم يخطر لي أبدًا أنّ الأشخاص الذين لا يستطيعون القراءة فاشلون. لقد أحببتُ والدي قبل أن يجيد القراءة، سأظلُّ أحبُّه بالقدر نفسه حتّى لو لم يتعلّم أبدًا. لقد كان ذلك بمثابة تجربة مفيدة للناس، وليس شيئًا عاديًا قد يقوله شخص يعمل في مؤسسة خيريّة تُعنى بمحو الأمّيّة.

أردتُ أن يقرأ الناس لأنني كنت آمل أن يكون ذلك أمرًا رائعًا بالنسبة لهم، وليس لأنني كنت أريد إصلاح جميع المواطنين. لم أكن أريد أن يقرأ الناس كما يأكلون خمس حصص من الفاكهة والخضراوات كلّ يوم، بل لأنني أردتهم أن يحظوا بميزة توسّع مداركهم بالتعرّف على تجارب الآخرين وفهم وجهات نظرهم، والتمكّن من الانتقال إلى عالم آخر بمجرد قلب صفحة.

وقد يتعارض هذا مع المُمؤلين لدينا. فلكي نحصل على المال، كان علينا أن نثبت أنّ كتبنا ستساعد الناس على القراءة، ومن ثمّ تجعلهم أكثر إنتاجيّة وأقلّ عرضة لاستنزاف المجتمع لهم وارتكاب الجرائم. اعتقدتُ أنّ ذلك صحيح، لكنّي أدركت -أيضًا- أنّه لم تكن الطريقة المناسبة لتشجيع أيّ فرد قد تعرّض للتعنيف الجسدي والأذى النفسي على مواجهة مخاوفه ومحاولة القراءة. كما خضتُ معركة بشأن التقييم - كنت أعلم، أنّي إذا شاركت في مجموعة القراءة في السجن، فإنّ محاولة إجبار الناس على

ملء استمارة ستكون فكرة سيّئة. ربّما كان نصفهم لا يجيد القراءة أو الكتابة بما فيه الكفاية ولن يرغبوا في الاعتراف بذلك أمام الآخرين، وحتى أولئك الذين كانوا قادرين على ملء الاستمارة سيراتبون من الغرض من وراء ذلك.

لقد أدركت أنّه، لولا وجود والدي، لربّما تسبّبت سهولة تعاملتي مع الكتب وتعصّبي الأعمى للقراءة في إبعاد الناس عنيّ دون قصد. كان عليّ أن أحبّ القراءة لأكون مناصرة لها، لكن التعاطف كان أكثر أهمّيّة لأنّني كنت بحاجة إلى فهم مخاوف الناس.

لطالما كنتُ أجد القراءة سهلة، إلّا أنّ القيادة لم تكن كذلك بالنسبة لي. كانت أصعب ما تعلّمته على الإطلاق، مع أنّه أصبح بإمكانني القيادة، ولكن بالتأكيد ليس عندما أكون تحت الضغط. في أحد الأيام، عندما كنت أحاول ركن السيّارة بين سيّارتين خارج شقّتي، ظلمت أخطي وأصطدم بحافّة الرصيف، حتّى أصابني الذعر وشعرت بانقباض في معدتي ووخز مزعج تحت ذراعيّ. حاولت أخذ نفيس عميق ولكن كانت هناك سيّارة خلفي لذا اضطررت إلى الإسراع، وتمكّنت من ركنها إلى حدّ ما، وخرجت من السيّارة وسط تصفيق مجموعة من البناّين الواقفين على إحدى السقّالات في الشقق المجاورة. لوّحت لهم بحزن وأنا أشعر بالازدراء، ثمّ مشيت إلى المنزل على ساقبيّ المترنّحتين وبكيت بشدّة على الأريكة. أدركت أنّ ما شعرت به عندما اصطدمت العجلات الخلفيّة بالرصيف للمرّة الرابعة هو ما سيشعر به شخص ما في مجموعة القراءة في السجن إذا جاء دوره في القراءة بصوت عالٍ. لذلك، بدأت أخبر الناس عن قيادتي ولطالما نجح ذلك في كسر الحواجز بيني وبينهم. وقرّرت بالأّ أطلب من أيّ أحدٍ

القراءة بصوت عالٍ، وبدلاً من ذلك أطلب منهم التركيز على التحدُّث عن القصة والأفكار.

كان ذلك بمثابة السحر، لأنَّه يعني أنَّ الناس يمكنهم تقييم الكتب بغضِّ النظر عن مستوى مهارتهم في القراءة. حتَّى أولئك الذين قد يشعرون بالتردُّد إذا طُلب منهم التحدُّث عن أنفسهم بصورة مباشرة سرعان ما سيروون قصصاً شخصيَّة مستوحاة ممَّا حدث في الكتاب. وغالباً ما كانت تلك التلميحات والقصص المُجتزأة حزينة للغاية، وذلك ما جعلني أدرك إلى أيِّ مدى يكون الأمرُ فظيماً حين تعجز عن التخلُّص من قصة لا تفهمها كثيراً ولا تستطيع السيطرة عليها.

كان من المدهش أن يبدأ الأشخاص في الاعتقاد بأنَّهم يمكن أن يصبحوا من النوع الذي يقرأ الكتب. تلقينا خطاباً من شخصٍ بدأ بقراءة أحد كتب كويك ريد وأصبح الآن في دانتلي، وكان تعليقي المُفضَّل على الإطلاق هو: "أقرأ الكتب الآن كما لو أنَّي وُلدتُ لقراءتها"، وقد جعلني ذلك أفكّر فيما نحصل عليه كحقِّ مكتسب عند الولادة - وكم يعتمد ذلك على ظروفنا.

كان عملي في برنامج القراءة السريع "كويك ريدز" بمثابة وظيفة بدوامٍ جزئيٍّ، لذلك كنت أبحث عن عملٍ آخر، مع مواظبتي على الكتابة في مدوَّنتي، وبقدر ما أحببت وظيفتي الجديدة، كنت أفنِّد قراءة الكتب الجديدة والتحدُّث عنها مع الغرباء. وكنت في كثير من الأحيان، عندما أتجوَّل في إحدى المكتبات - حيث أرَّتب لعقد معظم اجتماعاتي في مقاهي المكتبات - لا أستطيع مقاومة البدء بالتحدُّث مع العملاء وأنا أراهم

يفكّرون في الغلاف الخلفي لكتابٍ أحبّه. فالتحدّث مع العملاء هو المُتعة التي تكمن في حياة بيع الكتب، ولكن لم يكن من السهل عليّ القيام بذلك وأنا أرثدي معطفي ومن الواضح أنّني لا أعمل هناك.

بدأت بإنشاء نادٍ للكتب على تويتر وقرّر أعضاء النادي أن نلتقي في الحياة الواقعيّة. قرأنا رواية "حرقه الفؤاد" لنورا إيفرون، والتقينا صدفةً، في مقهى "أولد كراون" في نيو أكسفورد ستريت، حيث كنت قد تعرّضت قبل بضع سنوات لحادثة مهينة مع الرجل الذي لا أريد سماع صوته حتّى لو كنت أحتضر. لقد كان من الممتع جدًّا التحدّث عن إيفرون التي حوّلت حزنها إلى كتاب ولم أكن الشخص الوحيد الذي روى لبقية الأعضاء قصّته الشخصيّة. أخبرتنا إحدى النساء أنّ إحدى صديقاتها، مثل إيفرون، كانت حاملاً في شهرها السابع عندما علمت بعلاقة زوجها الغراميّة، والغريب أنّ زوجة الرجل الثانية السرية كانت حاملاً أيضًا في شهرها السابع. وكانت النهاية السعيدة المفاجئة هي أنّ الرجل قد رحل منذ فترة طويلة، لكن المرأتين والطفلين اللذين أنجبتهما في الوقت نفسه أصبحوا أصدقاء رائعين.

وفي وقتٍ لاحق من ذلك العام، عُرضت عليّ وظيفة في مجلّة بوك سيلر لأحلّ بديلةً عن محرّرة الكتب ريثما تُنهي إجازة أمومتها. كان عليّ أن أكتب مقالة طويلة عن الأعمال الأدبيّة التي تصدر كلّ شهر، وأن أختار العناوين التي سأسلّط الضوء عليها، ولأنّ العمود كان يصدر قبل أربعة أشهر من النشر، كان عليّ أن أقرأ المخطوطة لأنّه حتّى مسودات الطباعة لن تكون جاهزة. حتّى أيّ ذات يوم كنت قد وصلت إلى منتصف رواية

”الإحساس بالنهاية“ لجوليان بارنز، وأنا أقرأ في المنزل، عندما غادرت الغرفة لبضع دقائق، ثمَّ عُدت لأجد (مات) قد نثر صفحات المخطوطة على الأرض وراح يلوّن عليها فَرَحًا.

كانت أوّل جملة مكوّنة من ثلاث كلمات ينطقها (مات) ”ماما اقرأ كتابًا“، وهي عبارة عن ملاحظة وليست طلبًا، بينما كنت مستلقيةً على الأريكة مستغرقةً بقراءة رواية ”مؤامرة الزواج“ لجيفري يوجينيدس. (لطالما خشيت أن يبدو ذلك نوعًا من الغرور، لذا، بغية تحقيق التوازن، دعني أخبرك يا عزيزي القارئ، أنّ أوّل جملة نطقها مكوّنة من أربع كلمات كانت: ”يوجد هناك برّاز كبير“).

كُنْتُ أحاول قراءة بداية أكبر عدد ممكن من الروايات -في أغلب الأحيان ثلاثين أو أربعين رواية- ثمَّ أنهيت ما لا يقلُّ عن خمسة عشر كتابًا جديدًا كلّ شهر. ”كيف تفعلين ذلك؟“ يسألني الناس، وكنت أجب بصدق أنّني لا أحبُّ مشاهدة التلفاز وليست لديّ هوايات أخرى. في بعض الأحيان كنت أبدو مولعةً بالكتاب إلى حدِّ الجنون. بعد الانتهاء من رواية ”الحياة بعد الحياة“ من تأليف كيت أتكينسون، حيث كانت أورشولا تود تحتضر ثمَّ تحصل على فرصة أخرى في الحياة، شعرت بالدوار، ولكن كان عليّ الذهاب للتسوّق من البقالة. سألني الشاب الواقف عند الصندوق إن كنتُ على ما يرام. ”في الحقيقة أشعر بتوعُّكٍ بسيط“ قلت، ”لقد قرأت الكثير من الكتب، والكتاب الذي انتهيت من قراءته للتوّ يدعوك إلى التفكير في طرق لم تسلكها من قبل، ودروپ لم تعتد عليها، لذلك كنت أفكر في

حياتي الخاصة وكل الطرق المختلفة التي كانت قد نجحت بها أموري. إنَّه أمرٌ مربك للغاية، أليس كذلك؟ أشعر فعلاً لست على ما يُرام حقاً".

نظر إليَّ للحظة ثمَّ قال: "هل تريدان كيَّساً؟"، وكان ذلك هو الردُّ المثاليُّ حقاً. لقد أخبرت إيروين بما حدث، وكان هو أيضاً يصغي إليَّ في كثير من الأحيان وأنا أسرح في خيالي، وأتوقَّف عن الكلام، ثمَّ يقول لي: "هل تريدان كيَّساً؟".

عندما اخترت كتاب "حياة صغيرة" لهانيا ياناجيهارا من كومة مسوّداتي التي على وشك السقوط في مكتب مجلَّة بوك سيلر، كنت أنوي قراءة فصلين فقط، لكنَّ جود قد سحرنني للغاية، سواء تمكَّن من إيجاد طريقة للتعايش مع معاناته أم لا، لدرجة أنَّي بقيت مستيقظةً طوال الليل، وأنا أقلب الصفحات، وفي اليوم التالي بينما كنت منهمكة في العمل انتابني إحساس غريب للغاية، وشعرت وكأنَّني أحوم بين هذا العالم وعالم ياناجيهارا الخياليِّ.

كانت أيَّامي زاخرة بالمعاني والأهداف والكتب والمؤلِّفين، وتذكَّرت كيف كنت أتلقَّى التوبيخ لأني كنت أعيد مجلَّة بوك سيلر من إجازتي وهي تعبق برائحة التبغ، وشعرت أنَّ أحلامي أصبحت حقيقة. لقد استغرق الأمر وقتاً أطول ممَّا يستغرقه في كتاب ما، لكنَّ التحوُّل الذي كنت أتوق إليه عندما كنت أعمل في هارودز قد تحقَّق. لقد شعرت أنَّني بحالة جيِّدة حقاً، (باستثناء بعض التشوُّش حول ما هو حقيقيُّ وما قرأت عنه في الكتب) أصبحت أكثر عقلانيَّة وأكثر سعادة من أيِّ وقتٍ مضى. كنت أعلم أنَّه من الأفضل لي أن أبقى مشغولة، وأن يكون لديَّ سببٌ للقراءة.

كان عملي في كلتا الوظيفتين يعني أنني غالبًا ما سأحظى بتجارب تزر بتنوع كبير على مدار اليوم نفسه، مثلما كان يحدث عندما كنت أمضي الوقت في الصباح مع مجموعة قراءة في بنتونفيل وفي المساء في المكتبة البريطانية لإطلاق جائزة أدبيّة جديدة. لقد أحببت كلّ ما يتعلّق بالقُرّاء والكتّاب، ولكنّي وجدت جمع التبرّعات أمرًا مرعبًا. يعتمد جزء كبير من نجاح مؤسّسة "القراءة السريعة" على رغبة الناشرين في دفع تكاليف الكتّاب المشاركين، لذلك كنت أقصد قاعات مجالس إدارة الناشرين سعيًا إلى الحصول على دعمهم، وأطلب منهم استخدام مخيّلاتهم للسفر معي بعيدًا عن تلك القاعة الجميلة في وسط لندن إلى سجن نصف نزلائه بالكاد يستطيعون القراءة والكتابة.

عندما ذهبت أوّل مرّة إلى داوونينج ستريت، كان أبي منزعجًا للغاية. وظلّ يطرح عليّ أسئلة حول كينيّة دخولي، ورأيت بأنّه لم يصدّق أنّ ابنته ستذهب إلى داوونينج ستريت. لقد ظلّ يلهمني حتّى عندما كنت أجد نفسي في المزيد والمزيد من المواقف الاجتماعيّة التي كانت مثيرة ومخيفة على حدّ سواء. أخبرني كيف أنّه عندما ذهب إلى لندن في أواخر شبابه مع زملائه البحّارة، دخلوا إلى أحد المطاعم التي كانت فيه قوائم الطعام مطبوعة. كان مرتبكًا، لكنه جلس وترك أصدقاءه يطلبون الطعام، ثمّ قال: "أرغب بالحصول على طلبه ذاته". لطالما خطر هذا الموقف على بالي كلّما تردّدت في أمر.

كان ما عليّ فعله هو أن أحافظ على هدوئي وأشاهد ما يفعله الآخرون. وبمرور الوقت، تعلّمت أنّ الأمر لا يهم حقًا، ولن يبالي أحد إذا ما

استخدمت السكين الخطأ. المهم ألا أبدو مرتبكةً لأنني أشعر بالرهبة من الأجواء المحيطة.

عندما كان من المقرر إصدار قائمتنا لعام 2014، عرضنا صورة والدي وقصته في حملة العلاقات العامة التي قمنا بها. ونظمنا حفلًا بمناسبة الإصدار في مكتبة ووترستونز في شارع البيكاديلي، حيث قدّمت أبي للعديد من الناشرين. قال لي أحدهم لاحقًا: "لم نخبرنا -قط- عن مدى وسامته"، الأمر الذي جعل أبي يضحك كثيرًا. بعد الحفلة توجهنا شمالًا بالقطار إلى مانشستر للظهور في برنامج بي بي سي بريك فاست صباح اليوم التالي. في أثناء انتظارنا في الكواليس، دخل أحد الباحثين وطلب منّا التوقيع على الأوراق القانونية التي تسمح بعرض الحلقة. رأيت كيف أصبح وجه أبي شاحبًا وهو ينظر إلى صفحتين من الكلمات المطبوعة بخط صغير. مثل مقديمة جين آير، إذ لم يكن يعلم أبي أنّه ليس من المفترض عليه أن يقرأ كلّ كلمة، وشعر بأنّ ذلك أكثر ممّا يحتمل، وهو موقف كان يركّز فيه على ظهوره على التلفاز ليروي قصته في بضع دقائق. ابتسمت له، وجلتُ بنظري سريعًا على الأوراق، وأشرت إلى حيث يجب أن يوقع. لم يلاحظ أيُّ شخصٍ آخر في الغرفة لحظة الذعر تلك، وفكرت مرّة أخرى كم ساعدتني تجارب والدي في وظيفتي. كان رائعًا في الاستوديو ثمّ ذهبنا إلى محطة (راديو فور) الإذاعيّة معًا. قالت أمي: "يبدو والدك إيرلنديًا بالفعل، وأنت تبدين راقيةً للغاية".

وفي العام التالي، عقدتُ شراكة مع مؤسسة جائزة البوكر، حيث قام رودى دويل -الذي حاز عليها في عام 1993 عن رواية "بادي كلارك هاها

ها-“ بكتابة رواية رائعة لنا في مؤسسة كويك ريدز تحمل عنوان ”حديث الرجل الميّت“، حيث مُّولت مجموعات القراءة في السجن بالجائزة. في يوم النشر، ذهبنا إلى سجن بريكستون في الصباح ثمّ أقمنا حفل إصدار الكتاب في مجلس العموم، وأخبرت ضيوفنا أنّنا كنّا نعطيهم الكتاب نفسه الذي ورّعناه في سجن بريكستون ذلك الصباح، لإتاحة الفرصة أمام تجربة ثقافيّة مشتركة نادرة. كما قلّْتُ لهم على سبيل المزاح بأنّ قراءة الكتب علّمتني كيف أتصرّف في الأماكن الراقية، وأنّني لم أشرب قطّ محتويات وعاء غسل الأصابع بفضل رواية ”الناقوس الزجاجي“ لسيلفيا بلاث، لأنّ ذلك ما فعلته إستر غرينوود بالضبط في أوّل مرّة قابلت فيها شخصًا.

كانت الكتب مفيدة لي في تلك الحياة الجديدة والغريبة، لأنّ الروايات تزخر بالشخصيّات التي تشعر أنّها دخيلة على الرواية. كنْتُ في أغلب الأحيان، مثل آن شيرلي الغالية على قلبي، متوتّرة وتحتدم لديّ أعراض متلازمة المحتال، مع أنّها ساعدتني لأكتشف أنّ لها اسمًا، وأنّني لست الوحيدة التي أتوقّع أنّ يُكتشف أمري وأنعرّض للطرد. ومع ذلك، كنت أخشى باستمرار من أن أفصح نفسي بطريقةٍ ما. في المرّة الأولى التي ذهبت فيها إلى اجتماع في مجلس الأعيان، أذهلني الحسّ التاريخيّ وحجم الأبّهة لدرجة أنّي بالكاد استطعت التحدّث. مع أن اعتيادي عليه جعله مجرّد مكان كغيره من الأماكن الأخرى.

في أحد الأيّام، كنْتُ خارجة من دورة المياه عندما لفت انتباهي سيّدة مسنّة. ”عزيزتي“، قالت بنبرة توحى بالاحتيال، وهي تشير خلفي. أدركت أنّ

تنورتني كانت مدسوسة في جواربي. وعندما رتبت ثيابي، شعرت بارتياح غريب، ربّما بات عليّ أن أحاول تخفيف القلق بشأن كلّ شيء.

كنت حينها أجري المُقابلات مع المؤلّفين في المهرجانات وأعتاد على الكواليس المُخيفة إلى حدٍّ ما. بدأت أشعر أنّي في بيتي، وأنّي في غاية الامتنان لأنّني تلقّيت أجرًا مقابل قراءة الكتب وتشجيع الآخرين على القيام بذلك أيضًا.

ثمّ بدأت الكتابة مرّةً أخرى، شيء يتعلّق بقربي من صنّاع الكتب جعلني أدرك أنّ الشيء الوحيد الذي يمنعني من كتابة كتاب بنفسي هو تردّدي. كنت أحيط تلك العمليّة بقدرٍ كبير جدًّا من الغموض والتّقيّد، ومثلما كانت كتب كويك ريدز التي تبدأ بمُحادثات بيني وبين المؤلّف تتحوّل إلى مخطوطات، ثمّ إلى كتب، فقد رأيت أنّ الأمر كان يتعلّق حقًّا بصقّ الكلمات الواحدة تلو الأخرى. حاولت عدّة مرّات أن أكتب عمّا حدث لماتي، ولكن كنت أجد ذلك صعبًا في كثير من الأحيان. فهل سأحظى بفرصةٍ أخرى؟

هذه المرّة لم أستسلم. أدركت الآن أنّه لا مفرّ من القصة، فإذا توقّفت عن كتابتها الآن سأعود إليها مرّةً أخرى في غضون بضعة أشهر، فهي ما زالت تسكن مخيلتي، وما زلت غير قادرة على كتابة أيّ شيء آخر. في تلك الأثناء كان ابني (مات) يتعلّم الكلام وطرح الأسئلة حول العالم من حوله. كانت في حقّبي صورة صغيرة تجمعنا أنا وماتي، وذات يوم، بينما كنت أدفع الحساب في السوبر ماركت، انحنى (مات) وسألني من هذا.

فانتابني شعور بالذعر . كنت أعلم أنّه يجب ألا أكذب عليه، وقد لاحظت منذ فترة طويلة -في القصر وفي الحياة الواقعيّة- أنّه من السيئ إخفاء الأسرار بين أفراد العائلة.

شرعتُ في الكتابة، في الصباح الباكر وفي وقتٍ متأخّر من الليل . كنّا نذهب أيّام الأحد إلى حدائق كيو، وكان إيروين و(مات) يتركانني في حديقة البرتقال لساعتين ويذهبان لإطعام الطيور . كنت أظنّ أنّ أحدًا لن يرغب في قراءة ما كنت أكتبه، ولكن المهمّ بالنسبة لي أن أستمّر في الكتابة.

علّمني قضاء الوقت مع الناس في السجن مدى فظاعة أن تحتفظ بقصّة لا تفهمها جيّدًا . اعتدت على الاعتقاد بأنّي لا أستطيع الكتابة لأنّي كنت شديدة الغباء أو عاديّة للغاية، أو لأنّني لست ذكيّة بما فيه الكفاية، أو لست راقية على نحوٍ كافٍ، لكن عملي في السجن ساعدني نسبيًا على أن أرى أنّني موهوبة ومحظوظة بصورة استثنائيّة . فإذا كنت أطلب من السجناء أن يتغلّبوا على ما حدث لهم -وهي أمور مروّعة ومدمّرة للروح في كثيرٍ من الأحيان- فلا بدّ أن أستمع إلى نصيحتي الخاصّة .

السير الذاتية

لم أكن يومًا قارئةً نهمة للسير الذاتية مقارنةً بالروايات إلى أن حاولت كتابة إحداها، حينها بدأ إعجابي يزداد مع تعلّمي المزيد عن مهارة وفنّ الكتابة عن الذات. معظم السير الذاتية التي أفصلها لا تروي قصّة المؤلّف فحسب، بل تتضمّن أيضًا تأملات حول طبيعة الذكرى والحقيقة والسرد بطريقةٍ أجدها مشوّقة بلا حدود.

“أعرف لماذا يغرد الطائر الحبيس” بقلم: مايا أنجيلو

“لم أنس كثيرًا كوني لم أجبر نفسي على التذكّر”. يأخذنا أوّل المُجلّدات السبعة للسيرة الذاتية التي تحمل عنوان “أعرف لماذا يغرد الطائر الحبيس” إلى “ستامبسر، آركنساس”، في ثلاثينيات القرن الماضي، حيث قامت جدّة مايا وشقيقها بيلي بتربيتهما. يتعيّن على مايا أن تتغلّب على العنصريّة والتعرّض للاغتصاب، ومع ذلك تظلّ بطريقةٍ ما مفعمةً بالأمل. في هذا الكتاب -وفي جميع كتاباتها- تقدّم لدينا الكثير من الحكمة: “فهمت سفاهة الحياة، فالمتعة تكمن في المُعانة”.

“لماذا تكون سعيدًا في حين يمكنك أن تكون عاديًا؟”

بقلم: جانيت وينترسون

عندما كانت والدتي تغضب منّي، وهو أمرٌ كثير الحدوث، كانت تقول: “لقد دفعنا الشيطان إلى ارتكاب الإثم”. تدهشني طريقة عرض المؤلّفين

للمادّة نفسها في الواقع والخيال على حدٍ سواء. فهذه المُذَكِّرات التي تحكي عن التّيبّي والأمومة والجنون تُعيد القُراء إلى تجربةٍ أَلفوها في رواية "البرتقال ليست الفاكهة الوحيدة"، وهي قصّة شخصيّة لاذعة ومنيرة وتُعبّر عن التأمّل في الكتابة والحقيقة: "الحقيقة بالنسبة لأيّ شخص أمرٌ معقّد للغاية. بالنسبة للكاتب، ما تغفل عنه يعبّر بالقدر نفسه عن تلك الأشياء التي تذكرها".

“كلّ ذلك في البحر” بقلم: ديكّا أيتكينهيد

اعتاد توني، شريك المؤلّفة، وهو تاجر مخدّرات له ماضٍ غامض وقلب كبير، أن يمزح قائلاً بأنّ موقع المُواعدة عبر الإنترنت ما كان ليوقّق بينهما أبدًا. إنّها قصّة حزينة وجميلة لعلاقة حبٍّ غير متوقّعة وللعائلة التي كوّنّاها، وكيف تغيّر كلّ شيء عندما سحب المدّ أحد أبنائهما واضطّرّ توني إلى السباحة لإنقاذه لكنّه لم يتمكّن من إعادته سالمًا إلى الشاطئ.

“عندما تتحوّل الأنفاس إلى هواء” بقلم: بول كالانيثي

لطالما رغب جراح الأعصاب بول كالانيثي في الكتابة، وهذا ما فعله عندما سُجّص بأنّه مصاب بسرطان الرئة غير القابل للجراحة وعلم أنّه سيغادر الحياة بعد بضعة أشهر. وكانت النتيجة جميلة ومحقّزة على نحوٍ غريب. “ظهرت كلمة (أمل) لأوّل مرّة في اللّغة الإنجليزيّة قبل ألف عام تقريبًا، مشيرة إلى مزيج من الثقة والرغبة. لكن ما رغبتُ فيه - الحياة - ليس ما كنتُ واثقًا منه - الموت”.

”العودة“ بقلم: هشام مطر

”في بعض الأحيان، يمرُّ عام كامل دون رؤية الشمس أو الخروج من هذه الزنزانة، في هذه المُذَكِّرات، يكتب مطر عن المنفى والوطن، وعن محاولاته لاكتشاف مصير والده، وكيف عاش في حالة من الحزن الممزوج بانعدام اليقين.

”ملابس وملابس وملابس. موسيقى وموسيقى وموسيقى. فتیان وفتیان وفتیان“ بقلم: فيف ألبرتین

”أيُّ شخصٍ يكتب سيرته الذاتية، إمَّا أنَّه أحمق أو مفلس. أنا أحمل القليل من الصفتين“. أصبحت فيف ألبرتین عازفة الجيتار في فرقة البانك النسائيَّة ”ذا سليتس“ هذه المُذَكِّرات التي تروي القصة بأكملها بما فيها من فرح ودناءة يتزاحمان لتصبح لأحدهما اليد الطولى. إنَّها مليئة بالقصص الظريفة والمُثيرة: تبدأ فيف بالظهور وهي ترتدي أحذية الدكتور مارتنز ذات الرقبة وفوقها تنانير كي تتمكَّن من الهروب عندما يورطها عازف ومغني الروك ”سيد فيشوس“ بالمتاعب. كذلك كانت مذكِّراتها الثانية بعنوان ”لتقم برميها مغلقة“، رائعة.



تشارلي المُبتَهج

ما زلت أرى أنَّ الأمر أشبه بالسحر بعدما تحوَّل النقر والخربشة في نهاية المطاف إلى سيرة ذاتية منشورة بعنوان "الفصل الأخير من الحب". تخيلت في البداية بأنَّ أحدًا لن يقرأه، ولكن عندما عرضت مقاطع منه على اثنين من أصدقائي الداعمين، أيقنت فعلاً بأنَّ تلك الصفحات يمكن أن تصبح كتابًا في يومٍ من الأيام. وبعد ذلك تواصلت مع وكيل بارع ولطيف عمل معي للعثور على إيجاب محرِّر بارع ولطيف، وواصلت الكتابة. أعلم أنني لم أكنُ لأتمكّن من البدء بالكتاب لو استمررت في التفكير في قراءته، ولكن لم أقوَ على إنهائه دون وجود قارئ محتمل.

كان عملاً شاقًا من كلِّ النواحي، ولكنّه لا يخلو من الإثارة أيضًا، وقد أحببت رؤية مراحل رحلة الكتاب بدءًا من المؤلِّف وصولًا إلى القارئ على الجانب الآخر. كما أثارت اهتمامي عملية تصميم الغلاف، حيث قمت بطباعة الخيارات الممكنة وعلّققتها على حائط في منزلي، وكان أصدقاء (مات) الصغار يسألونه عنها عندما كانوا يأتون إلى اللعب معه.

"ماما تكتب كتابًا عن أخيها الذي مات". كان (مات) يقول، يا لها من طريقة رائعة، على ما أعتقد، قد توصّلنا إليها بعد وجود صورة صغيرة مخبّأة في حقيبتني.

رائع أن تنتقل من كونك تساعد الآخرين في كتبهم إلى أن يكون لديك كتابك الخاص في هذا العالم. كان عليّ أن أقرص نفسي عندما رأيته في

نوافذ متاجري المُفضَّلة. أحببت طريقة عرضه التي غالبًا ما كانت تتضمن
فنَّ الرسم بالطباشير على لوحات رمي السهام أو صورًا صغيرة لي ولماتي.
لقد أقمت حفلًا بمناسبة إصداره في ووترستونز في البيكاديللي وجلست
على طاولة نصف مستديرة لتوقيع النسخ الموجودة في متجر هاتشاردز
لبيع الكتب. وذهبت للظهور في برنامج بي بي سي بريك فاست، ثمَّ عُدت
إلى سنيت، حيث أُجريت معي مقابلة في المقهى.

تعدّدت الأشياء الرائعة التي حدثت معي، لكنّها كانت أكثر تعقيدًا ممّا
كنت أتخيّل. قَلَّة قليلة من الأشخاص الموجودين في حياتي الحاليّة كانوا
يعرفون بأمر ماتي أو بأنّني كنت أكتب. إذ قال أحدهم: "لا أصدّق أنّنا
أصدقاء منذ عشر سنوات ولا أعرف أيّ شيء عن هذا الأمر". ما جعلني
أشعر بطريقةٍ ما أنّني قد كشفت أسراري. تخلّيت عن مظهري المُصمَّم
بعناية، الذي ينمُّ عن المرأة اللطيفة المُولعة بالقراءة، وكشفت أسراري
دفعهً واحدة. لم يكن من المفترض أن أتفاجأ عندما اكتشفت أنّ الأمر
قد يكون صعبًا. لقد قرأت عن ذلك الأمر في مجموعة مقالات تتحدّث
عن الخزي من الكتابة تُسمّى "الإهانة"، إذ ينتهي الأمر بالشعراء والروائيّين
الحساسين، في نهاية المطاف إلى حالاتٍ مُذلّة في جميع أنحاء العالم.
إنّها مقالات مثيرة للضحك.

وتشمل مجموعتي المُفضَّلة "ليلة دون باترسون في أفضل مطاعم
الكاري في مدينة جooول"، و"سلسلة حكايات سيمون أرميتاج" التي بلغت
ذروتها عندما وجد نسخة من كتابه في متجرٍ خيريّ، ليفتحها ويرى أنّه قد
كتب بخطّ يده على صفحة الإهداء: "إلى أمي وأبي".

أما ديبورا موغاش فقد أصابت حين قالت بأنَّ الكُتَّاب لا يمكنهم إلَّا أن يتذمَّروا بشأن هذا الأمر لبعضهم البعض؛ فمَن يُبالي إذا جلسنا وحدنا غير محبوبين بجانب كومة من كتبنا، ولا يقترب مِنَّا أحد في غضون ساعتين سوى امرأة تحاول أن تبيعنا كتابها الذي نشرته بنفسها عن التعافي من سرطان الثدي؟ أو ننتظر وحدنا في الظلام على الرصيف المهجور في محطة نيوارك، ولا نقرأ سوى عبارة اعتداء عنيف: مطلوب شهود قد كُتبت على لافتة تتأرجح في مهبِّ الريح، حتَّى ندرك أنَّه قد فاتنا آخر قطار للعودة إلى المنزل.

عندما قرأت مصطلح "الإهانة" لأوَّل مرَّة ظننت أنَّه مضحك، ولكن لم يكن يخطر لي فعلاً أنَّه حقيقيٌّ. كنت على يقين من أنَّ الغطاء المجازيِّ المريح الهائل المُتمثِّل في الأعمال المنشورة فعليًّا للكُتَّاب سيحميهم من أيِّ عارٍ يلحق بهم. لقد توقَّعت أنَّ حالة "أن تكون كاتبًا" من شأنها أن تخلق تألُّقًا لا يخبو بريقه. لكنِّي كنتُ مخطئةً، واستغرقتُ وقتًا طويلًا حتَّى توقَّفت عن تأنيب نفسي لكوني ناكرةً للجميل، وعُدت لأستقرَّ وأعيش حياةً طبيعيَّة.

أن تصبح كاتبًا يعني أن تجلب لنفسك كلَّ أنواع العجب -أنا أعشق رسائل القُرَّاء؛ وأعشق وجود القُرَّاء- ولكن الأمر لم يكن مُرضيًا ولا مريحًا كما كنت أتخيَّل، بعدما أصبحت لديَّ الآن قائمة طويلة من الإهانات الخاصَّة بي. في بعض الأحيان لا تنفعك معرفة الأسرار التي تدور في الكواليس.

عندما وصلت ذات مساء إلى مكتبة ووترستونز في لندن لإجراء مقابلة مع مؤلف آخر، قدّمتُ نفسي إلى مكتب الاستقبال. "من؟" سأل بائع الكتب عندما قلت اسمي، على الرغم من أنّه كان فعليًّا يزيل ملصق الإعلان عن كتابي، لأنّ صورتي كانت على غلاف كتابي. وقد انتابني شعور غريب حين علمت بأنّ تلك الكتب كانت على وشك أن توضع في صناديق الإرجاع، وأنّ وقتي على الطاولة قد انتهى.

المُزعج هو أنّ تشعر بأنّك لا تستحقّ الحصول على أيّ شيء وأنّ تتعامل مع كلّ شيء جيّد يحدث في حياتك على أنّه مفاجأة سارّة، لكن القول أسهل من التطبيق. لحسن الحظّ، أُنّني أحبّ التحدّث مع الغرباء كثيرًا لدرجة أنّ الإهانات الكثيرة التي شعرت بها في جولة ترويج الكتاب كانت توازي المُحادثات المُحفّزة التي كانت تجري على المسرح ووراء الكواليس. "أليس غريبًا" - قال لي أحدهم ذات مرّة - "أن يعتقد الأشخاص الذين قرأوا كتابك أنّهم يعرفونك؟".

"إنّهم يعرفونني بالفعل"، قلت. فكلّ مَنْ قرأ "آخر فصول الحبّ" أفضل بكثير من أيّ شخصٍ يراني في الحياة الواقعيّة غير أنّه لا يعرفني. إنّني في الكتابة أصدق من الواقع، على الرغم من أنّ أحد أفضل الأشياء التي تحدث في فعاليات الترويج للكتاب هي أنّنا نعرف الهدف الذي حضرنا من أجله، وأنّنا ندخل مباشرةً في مناقشة مسائل الحبّ والموت، دون أن نُضطرّ إلى التمهيد للموضوع كما نفعل في الحياة اليوميّة، حيث نتظاهر بأنّنا طبيعيّون حتّى لا نخشى الإخلال بآداب اللياقة أو بالقيم العامّة.

أنا أستمع بالطريقة التي يدفعني بها كتابي إلى فتح محادثة ودية مع كل شخص قرأه.

بدأ الاهتمام يستحوذ على تفكيري قليلاً. إذ بعد سنوات عديدة من الشعور بأنني شخص مهمّش يعمل في المكتبة، فوجئت بأن الناس أصبحوا لطفاء معي وبدأ أنهم يهتمون بآرائني. شعرت إلى حد ما مثل آن شيرلي عندما أخرجت لها السيّد باري أفضل الأطباق الصينية وقدمت لها مختلف أنواع الكعك، كما لو أنّها ضيفة مهمّة.

حينما اعتدت على حياتي الجديدة، هربت إلى كتب الآخرين كما فعلت عندما بدأت العمل في هارودز. وبعد ذلك، وجدت الراحة والسلوان في العمل بالمكتبة. أنا الآن أحبّ تقديم التوجيه والتدريس وإجراء المقابلات مع الكتّاب في المهرجانات ومراجعة الكتب. كما أوّد العودة إلى الرحلة التي يقطعها الكتاب من عقل المؤلّف إلى يد القارئ، وأنّ تتحوّل محاولاتي في الكتابة إلى شيء مفيد عندما أتمكّن من مساعدة طلابي وهم يبذلون جهدهم لتدوين تجاربهم على الورق. لقد أصبح عملي في السجن أعمق الآن، حيث أقيم ورشات عمل لتعليم الكتابة، وأحاول إيجاد التمارين المفيدة للمجموعة التي لا يستطيع العديد من المشاركين فيها كتابة الجمل، ولكن لديهم الكثير من القصص التي يريدون البوح بها.

المُشكلة الوحيدة التي أواجهها في أثناء المراجعة هي أنني لا أريد أبداً أن أقول شيئاً سيئاً عن كتاب ما. مثلما يحدث عندما أنجب طفلاً يحبّ قلبي على مصير الأطفال، فأصدار كتاب يجعلني أشعر بالحرص على جميع الكتب.

قد أرى طفلاً قبيحاً أو كتاباً قد جُمِعَ على نحوٍ رديءٍ، ولكن مجرّد رؤيته النور يعدّ معجزة في حدّ ذاتها، ومؤكّد أنّي لا أرغب أن أكون الشخص الذي يشير إلى مثالب أو عيوب أحد الوالدين. ذهبت مؤخراً إلى بلفاست لحضور إحدى الفعاليات وكنت أتحدّث مع سائق سيّارة الأجرة الذي أقلّني من المطار.

”ما هو موضوع كتابك الأوّل؟“

”إنّه يتعلّق بوفاة أخي.“

”ما الذي يدور حوله كتابك الثاني؟“

”إنّه يتحدّث عن الحزن والفقد بصورةٍ عامّة.“

”حسنًا، أنت تشارلي المُبتَهج إذن، أليس كذلك؟“

فانفجرت ضاحكة.

وفي رحلة العودة، انتهيت من إعادة قراءة كتاب ”سنة القراءة الخطرة“ لآندي ميلر. ورحت أضحك بشدّة لدرجة أنّني أزعجت الرجل الذي كان يجلس بجانبني.

”لا بد أنّه كتابٌ جيّد.“ قال.

”إنّه كذلك!“ قلت له ذلك، وبدأت أحدثّه عن الكتاب.

”أنا لا أقرأ الكتب“ قال ”ليس لديّ وقت“. ثمّ عاد لينظر إلى جداول البيانات والرسوم البيانيّة لبرنامج (اكسل) الموجودة على حاسوبه الشخصي.

إنَّ خبرتي الطويلة في التفاعل مع البشر -سواء كنادلة أو بائعة كتب أو كاتبة- جعلتني أعرف مَنْ يرغب بالتحدُّث وَمَنْ لا يرغب بذلك، وأشعر بالسعادة في الحاليتين. لقد شعرت بأنَّني محظوظة لأنَّني لم أعد مضطَّرة إلى التعامل مع برنامج (اكسل) بعد الآن، بل يمكنني قضاء بعض الوقت في الخروج إلى الحياة لمقابلة أشخاص غرباء مثيرين للاهتمام ورؤية الأصدقاء القدامى. شعرت بالسعادة لأنَّني في طريق عودتي إلى وطني ومعني كتاب يجعلني أفكر وأضحك. شعرت كأنَّني تشارلي المبتهج، كما أفعل في كثيرٍ من الأحيان.

وبعد بضعة أيَّام، كنت على متن قطار وتجاوزت أطراف الحديث مع النساء الثلاث اللاتي كنَّ يشاركنني طاولتي. كُنَّ يعشن في فالماوث وهنَّ في طريقهنَّ إلى نيويورك للاحتفال بأحد أعياد الميلاد "المهمَّة". بدت لي أعمارهنَّ بين السبَّتين والسبعين، على ما أعتقد، وكانت اثنتان منهما أختين. وقد تحدَّثنا عن الحياة في فالماوث. وذكرن أنَّهن ما زلنَّ يستخدمن ألواح ركوب الأمواج الخشبيَّة التي يمتلكنها منذ الطفولة، وأوضحن كيف يشعرن بأنَّها مختلفة عن الألواح الحديثة وكيف تعرنها في كثيرٍ من الأحيان لراكبي الأمواج الشباب الذين تدهشهم التجربة. أخبرتهنَّ أنَّني لم أر قط لوحًا خشبيًّا لركوب الأمواج في الحياة الواقعيَّة، لكن أجابنا كريستي كانت من أوائل المُدافعين عنه، وهناك صورٌ لها على الشاطئ مع لوحها.

قادنا ذلك إلى الحديث عن القراءة والكتابة. فتحدَّثنا عن نيويورك، وعن رواية "قرب محطة غراند سنترال جيلسُ وبكيت" لإليزابيث سمارت، ورواية "ما أحبُّبته" للمؤلِّف سيري هوستفيدت. وتطرَّقنا إلى الحديث عن

الروائيّة جورجيت هيير واتفقن على وصفها بأنّها معاصرة المؤلّف بي جي وودهاوس أفضل من وصفها بأنّها روائيّة رومانسيّة في فترة الوصاية مع ميلز أند بون. "لا بدّ أنّك تعرفين الكثير عنها"، قالت إحدى السيّدات بينما كنّا نتبادل الآراء حول أفضل كتب هيير. سألّني عمّا إذا كنت أحيّد قضاء الوقت مع كتّاب آخرين وأجبْتُ بأنني أفعل ذلك، لأنّ الاستماع إلى الآخرين وهم يتحدّثون عن شكوكهم ومخاوفهم لطالما كان مفيدًا بالنسبة لي، وساعدني على تذكُّر أنّ هذا كلّهُ جزء من العمليّة. "كنت جورجيت هيير لاذعة للغاية تجاه الكُتّاب الآخرين"، قلت. "لقد أطلقت عليهم اسم (الملطّخين بالحبر) واعتقدتُ أنّهم يقضون الكثير من الوقت في الشكوى".

لقد أحببتُ الكتب التي تتحدّث عن الكتب التي صدرت قبل وقتٍ طويلٍ من عملي في المكتبة، ولكن هذه الأيّام تشغلني هواية تصوير الكُتّاب وأصدقائهم. في رواية "دودة القزّ" لروبرت جالبريث، يقول المؤلّف -المُتهم بارتكاب جريمة قتل- لكورموران سترايك بأنّ الكُتّاب سلالَة همجيّة: "إذا كنت تريد صداقة تدوم مدى الحياة وصحبة متينة خالية من الأنانيّة، عليك بالانضمام إلى الجيش وتعلّم القتل. أمّا إذا كنت تريد تحالفات مؤقتة مدى الحياة مع أقرانٍ يبتهجون بكلّ إخفاقاتك، فاكتب الروايات".

كُتِبَ عَنِ الْأَدْبَاءِ

تسحرنِي الطريقةُ التي تُخَطُّ بها رحلة حياة أحدهم على طرس من الورق. قد يغتاز بعض الكُتَّاب لدى سؤالهم عمَّا إذا كانت أعمالهم تعكس سيرتهم الذاتية أم لا، لكنني أظنُّ أنَّ معظمها خياليٌّ - ليس بالمعنى الحرفي للكلمة، ولكن لأنَّ الجميع يكتبون للتعبير عن هواجسهم وجروحهم. ولكن لا يرضى جميع الكُتَّاب الاعتراف بذلك، وما الذي يجبرهم؟ وكما يقول توماس كرومويل في إحدى روايات الكاتبة هيلاري مانتل: "من الحكمة إخفاء الماضي حتَّى لو لم يكن هناك ما يمكن إخفاؤه. تكمن قوَّة المرء في قول نصف الحقيقة، وفي حركات يده غير المرئية، وفي تعابير وجهه غير المُتوقَّعة. ما يخيف الناس غياب الحقائق: أي الفجوة التي تفتحها فيصبُّون فيها مخاوفهم وأوهامهم ورغباتهم".

"أنا استوليتُ على القلعة" بقلم: دودي سميت

"أكتب هذا وأنا جالسة في حوض المطبخ". هناك كاتبان في هذه الحكاية المُمتعة لعائلة غريبة الأطوار تعيش في قلعة منهار. كنت أتعاطف مع كاساندر، التي تبدأ بكتابة مذكراتها عندما كانت في السابعة عشرة من عُمرها وتسجِّل التفاصيل المثيرة للاهتمام حول العائلة الأمريكيَّة الثريَّة التي انتقلت للعيش في المنزل المجاور، ولكن الآن أخشى أنَّني أصبحت أشبه والدها الكاتب غريب الأطوار، الذي يعاني من انقطاع الوحي ولا يريد أن يفعل شيئاً سوى أن يبقى بمفرده لقراءة الروايات البوليسيَّة.

”القاتل الأعمى“ بقلم: مارجريت أتوود

”بعد عشرة أيام من انتهاء الحرب، سقطت أختي لورا بسيّارتها من فوق أحد الجسور“. من أفضل الأساليب الروائيّة لدَيّ على الإطلاق عندما لا نكون متأكّدين ممّا نقرؤه أو ممّن كتبه. يضمُّ هذا الكتاب العديد من الكتب بين دَفْتِيه -رواية مشهورة وبعض القصص الخيالِيّة المُثيرة وألبوم صور وبعض كتب التمارين- وهي تجتمع لتروي قصّة شقيقتين وعلاقاتهما المُتشابكة مع رجلين مختلفين تمامًا.

”دودة القزّ“ بقلم: روبرت غالبريث

عندما لجأت ليونورا كواين إلى كورموران سترايك، وافقَ على مساعدتها في العثور على زوجها المفقود وإعادته إلى المنزل. كان أوين كواين مؤلّفًا، وفي كثيرٍ من الأحيان يختفي لبعضٍ من الوقت، ولكن عندما يجده سترايك يكون مقتولًا بالطريقة الفظيعة نفسها التي قُتلت بها إحدى الشخصيّات في روايته التي لم تُنشر بعد، وعنوانها ”بومبيكس موري“. في هذه القصّة الكثير من المُتعة والأفكار الجيّدة للغاية المُتعلّقة بغرور المؤلّف. يساوي كواين بين الطريقة التي يجب أن تُغلى بها دودة القزّ لإنتاج الحرير وبين الطريقة التي يجب أن يُعاني بها الكُتّاب من أجل أعمالهم.

“الافتتان” لخافيير مارياس

تتناول “ماريا” الإفطار في المقهى نفسه يوميًا وهي في طريقها إلى وظيفتها في دار النشر، حيث تشعر دائمًا بالبهجة لوجود زوجين متحابين بشدة. وعندما يُقتل الرجل بوحشية وتقدّم ماريّا تعازيها لأرملته، تتورّط في صداقة مضطربة. تدور أحداث القصة حول جريمة قتل أدبية شائعة، لكن أفضل المقاطع بالنسبة لي من النوادر الكثيرة اللاذعة المُسلية التي كانت ترويه ماريّا حول غرور المؤلّفين وزملائها العاملين في مجال النشر.

“كومونويلث” لآن باتشيت

في يوم تعميد فراني كيتنغ، تقبّل والدتها أحد جيرانهم لتبدأ علاقة غرامية بينهما تنهي زواجين وتكوّن عائلة جديدة مكوّنة من ستّة أخوة. بعد ستّة وعشرين عامًا، تعمل فراني نادلة في مقهى في شيكاغو، حيث تلنقي مؤلّفًا مشهورًا وتخبره بأسرار العائلة، ولم يرد في بالها أبدًا أنّه سيحوّل حكاية عائلتها إلى رواية -أطلق عليها كومونويلث- أو كيف سيشعر إخوتها عندما يزور أنفسهم على صفحات الرواية.

“الحميمية” بقلم: حنيف قريشي

يحبُّ جاي الكتابة “بقلم رصاص ناعم - وليس العكس“. ننضمُّ إليه في فترة الأربع والعشرين ساعة التي يقرّر فيها ما إذا كان سيترك زوجته وأولاده أم لا. هناك مشهد مضحك للغاية عن رحلة مضحكة إلى معالج

المشكلات الزوجية الذي يحاول جعل جاي يقرأ قصيدة سيئة بصوت عالٍ. كذلك استمتعُ بالصفحتين اللتين وُصف فيهما تغيُّر عادات جاي في استخدام القرطاسية؛ إذ لديه ما لا يقلُّ عن خمسين دفترًا، كلُّها فارغة باستثناء الصفحة الأولى. بالنسبة لي، لا أوافق على ما فعله جاي في عدم قدرته على تغليب مصلحة أطفاله على شهوته، ولكنِّي كقارئة أجد أنايَّته مبهجة. أمَّا ككاتبة، فإذا كانت هذه رواية سيرة ذاتية، فأنا أحسده على هذا البحث المحموم عن الذات الذي لا يُبدي فيه أيَّ ندم.

العودة إلى كورنوال

في صيف عام 2017، انتقلنا أنا وإيرون و(مات) من لندن إلى كورنوال. أردت أن أكون قريبةً من والديّ بعد أن أصيب والدي بنوبة التهاب رئويّ سبّبت لنا الذعر جميعًا. خلتُ أنّ شيئاً ما سيحدث عاجلاً أم آجلاً، ولا رغبة لي في ركوب عربة النوم في القطار كلّ بضعة أيام، أو قطع الطريق السريع ذهاباً وإياباً. عندما أُصيبت أمي بالسرطان لم يعد أمامي أيّ خيار، ولكن الآن بعد أن أصبح بإمكانني القيام بمعظم عملي على الحاسوب وكان لإيرون عمله الخاص في بيع الطوابع، لم تكن هناك حاجة حقيقية للبقاء في لندن.

كان المنزل الذي اشتريناه في فالماوث مجاوراً للمنزل الذي ولدت فيه والدتي دون أن نعرف ذلك. كانت عائلة جدّتي قد انتقلت إلى هناك في عام 1943 كي يتمكّن والدها من إدارة متجر لبيتون الواقع في الشارع الرئيسي. والتقتُ بجدّي في سينما أوديون، حيث كان يعمل في تشغيل ماكينة عرض الأفلام السينمائيّة، وأنجبا ثلاثة أطفال وما يزالون يعيشون في منزل والديها. أعطتني عمّتي ماريون صورة لهما في يوم زفافهما، في عيد الفصح يوم السبت من عام 1950. وهما يقفان في الحديقة ومنزلنا في الخلفيّة. إنَّها موضوعة على رَقِّ الموقد في منزلي، وكثيراً ما أنظر إليها قبل أن أمضي للذهاب إلى المكتبة أو لإحضار شيءٍ ما من متجر بيع الكتب في فالماوث. يعجبني أنني أسير على خطاهما.

بمجرّد انتقالنا إلى المنزل الجديد، أفرغت صناديق الكتب وقام أبي وعمّي بول بوضع رفوف جديدة. كان أبي يصقّر ويغّي في أثناء عمله، وفكّرت كم كنتُ محظوظة لأنّني تمكّنت من لمّ شمل عائلتي. كنت أرّتبُ كتبتي على الرفوف وأعيد ترتيبها. وعندما شرعت في إعادة قراءتها والكتابة عنها، بدأت في اكتشاف أوجه الشبه بين الكتب وحياتي.

في بعض الأحيان كنت أتذكّر بوضوح المكان الذي صادفت فيه شيئاً ما أوّل مرّة. أمّا الكتب الأخرى فلطالما بدت جزءاً منّي. فغلاف نسختي من كتاب ماري ويسلي "ليست ذلك النوع من الفتيات" مفقود، وقد كُتب على الصفحة الأولى مقهى "بيل أند كراون". وكذلك يذكّرني الغلاف الورديّ الكبير المُجلّد بتجليد قماشٍ مقوّى لكتاب "الساعات العظيمة" للمؤلف ديفيد ميتشل، بأنّ أقلب الصفحة الأخيرة وأعيد قراءته على الفور، فتراودني الكثير من الأحلام الغريبة ما يجعلني أبقى في حيرة من أمري بشأن خطوط الحبكة الموجودة في الكتاب التي كنت أعقد عليها الأمل في نومي. بينما كنت أحمل رواية "حياة صغيرة" للكاتبة هانيا ياناجيهارا بين يديّ، تذكّرت كيف قرأتها في ليلة واحدة دون أن يغمض لي جفن وكيف سارت أموري بصعوبة في اليوم التالي ولم أتمكّن من العمل.

أما رواية "حياة بعد حياة" لكيت أتكينسون، التي تمكّنت فيها بطلتها (أورسولا تود) من إعادة حياتها مرارًا وتكرارًا واتّخاذ قرارات مختلفة في كل مرة، فقد جعلتني أفكّر مرّة أخرى في تلك اللحظات التي لم أتخذ فيها طريقًا آخر في حياتي. فنشأتني ومكان إقامتي ومن أعرفهم كان يعتمد على المكان الذي يمكن لأبي أن يحصل فيه على عمل. ماذا كنت سأصبح

لو لم تُغلق مناجم القصدير؟ أو لو بقينا في اسكوتلندا؟ أو لو كان أبي قد قبل الوظيفة التي عُرضت عليه في نفق المانش بدلاً من شراء المقهى؟ كان حادث ماتي هو الخطُّ الفاصل في حياتي، وقد أُمضيت جُلَّ حياتي وأنا أتوق لنسخة منها لم يحدث فيها ذلك. لولا صوفي، لم أكن لأقابل جون، ولولاه لما انتقلت إلى لندن أو عشت في نيويورك. ولو بقيت في سنيث، لما كتبت كتبًا على ما أعتقد لأنني كنت سأظلُّ أعتقد بأنَّ الكتاب مخلوقاتٌ إلهيةٌ تختلف عنيَّ بطريقةٍ أو بأخرى. لو لم أكن أستمتع بصحبة إيروين في عيد الفصح ذاك، أكنْتُ ذهبت إلى العمل في باريس أو كورك؟

هل سأرُزق بطفل في تلك العوالم المُوازية؟ ربَّما رُزقتُ بفتاةٍ صغيرة، أو فتاةٍ من عرقٍ مختلفٍ عن عرقي. وربَّما تحدَّثتُ أطفالٍ فرنسيَّةٍ أو تكلموا لكنَّةً أيرلنديَّة. أو قد لا أرُزق هناك بطفل ولا حبيب ولا رفيق. لولا تأثير إيروين المُستمرُّ، ربَّما لم أكنُ لأنجح. وربَّما لم يكن لينتهي بي المطاف أبدًا بكتابة كتاب، لذلك ما زلتُ أعتقد أنَّ القيام بذلك سيجعلني سعيدة بكلِّ سهولة ودون أيِّ تحفُّظ. قد يصاب المرء بالجنون من التفكير في هذه الأشياء. فالأمر أشبه بالتحديق في "مرآة إيريسيد"^(١).

بالعودة إلى المكان والزمان الحاليين، كنَّا أنا و(مات) نستمتع بقراءة رواية "الأسد والساحرة وخزانة الملابس". عندما يكتشف بيتر أنَّ نارنيا حقيقيَّة، وأنَّه لم يكن عليه أن يشكَّ في لوسي، يقول: "أعتذر لأنني لم

(١) في قصة هاري بوتر كانت مرآة إيريسيد مرآة سحرية، وفَقَّ لـ "ألباس دمبلدور"، تُظهر "أعمق وأشدَّ الرغبات يأسًا في قلوبنا". اسم "إيريسيد" يعني "الرغبة" مكتوبة بالعكس، كما لو كانت تنعكس في المرآة.

أصدقك. أنا آسف. هل نتصافح؟“ واتَّفَقْنَا على إدخال بعض هذا الصدق إلى حياتنا اليوميَّة.

اَظَلَعْتُ على محتويات الغلاف الأزرق المُقَوَّى من الروايات المكتوبة باللغة الكورنوشية لدافني دو مورييه. ”نُزل جامايكا“، وهي رواية مشؤومة و”خليج القرصان الفرنسي“ وهي سخيْفة إلى حدِّ ما، لكنِّي أحبُّها، لأنَّني أتذكَّر على الأقلِّ أنَّني كنتُ أجِدُّ في نهر هيلفورد في عطلة عائليَّة بحثًا عن الخليج، ولأنَّها تعرض كيف يمكن للمرأة أن تتمسَّك بحريَّتها، أو ألاَّ تتمسَّك بها، بمجرد أن تنجب أطفالًا. أمَّا رواية ”ابنة عمِّي راشيل“ فهي مؤثِّرة على نحو غريب، ولم أتمكَّن أبدًا من معرفة أين تكمن الحقيقة. إنَّها صورة جيِّدة للغاية عن أحد الشباب المُتيمِّمين - في الأدب قد نجد الكثير من الشبَّات الواقعات في الحب، ولكن من الصعب العثور على شباب متيمِّمين.

لقد احتفظتُ بـ ”ريبيكا“ حتَّى النهاية. كان من الرائع أن أقرأ عن نباتات الأزالية في ماندرلي وأنا أنظر إليها وسط الحديقة. لأوَّل مرَّة في حياتي كبالغة امتلكتُ حديقة، وعندما كثرت الأخبار هجرت العالم لبعض الوقت وقمت بزراعتها، والاستمتاع بكلِّ النباتات والمُفردات الكورنوشية: الكاميليا، والكوبية، والأغابانثوس، والفوشيا. وقد أخبرنا ساعي البريد الودود أنَّ الشجرة الموجودة في الواجهة كانت عبارة عن شجرة ماغنوليا وستكون رائعة في الربيع القادم. ومع أيَّي كنتُ أجد صعوبة في تسلُّق تلال الكورنوشية لكنِّي كنتُ أستمع بالنظر إلى البحر، فكَّرت في ”روز بيل“ في رواية ”ليست ذلك النوع من الفتيات“، وهي تتذكَّر حياتها في

أثناء سيرها، تلاحظ أنَّها عندما كانت أصغر سنًّا لم يكن التسلُّق يجعلها تلهث، ولكنَّها لم تكن حينها أيضًا تقدِّر المنظر.

اشترت مجموعة من السكاكين، وبينما كنت أقطِّع الفجل انزلقت الشفرة الحادَّة الجديدة عن الفجل بسرعة وجرحت بقوة إبهامي. ملأ الدم المكان. وجدت بعض لصاقات البثور التي أدَّت الغرض. وبعد ساعاتٍ قليلة سمعت صيحة رجلٍ في المطبخ. لقد حدث الشيء نفسه مع إيريون.

”هذا لأنَّنا لسنا معتادين على الحدَّة“، قلتُ وأنا أضمد جرحه. يا له من أمرٍ مثير، إبهامك بدلًا من البصلة.

بدا مرتبكًا بعض الشيء، فشرحتُ له أنَّ سيلفيا بلاث كتبت قصيدة عن جرح إصبعها في أثناء تقطيعها البصل. ”كانوا قد انتقلوا للتوِّ إلى ديفون للابتعاد عن الحياة الأدبيَّة“، قلت. ”ربَّما اشتروا سكاكين جديدة وهم ليسوا معتادين على حدَّتها. لم يجزِ الأمر على خير ما يُرام بالنسبة لهم، أي الانتقال. إذ ظلَّ تيد هيووز يعود إلى لندن لتجربة الحياة الأدبيَّة مع نساءٍ أخريات“.

جعلتني تلك الحادثة أرغب في قراءة رواية ”الناقوس الزجاجي“ مرَّةً أخرى، فقامت بتحميل الكتاب الصوتي، الذي تقرؤه ماجي جيلنهال بصوتها الرائع. وذات يوم كنت أستمع إليه في المطبخ عندما زارني والداي، فأطفأته، وسألني أبي هل يمكنه قراءته، وهل سيسبِّب له الكآبة؟ إنَّه يحبُّ البكاء كثيرًا عند قراءة كتابٍ ما ويرى ذلك بمثابة تنفيس له لكنَّه لا

يريد أن يقرأ عن الاكتئاب، لا سيما إذا كان يبدو حقيقياً للغاية. أخبرته أنني لا أعتقد أن رواية "الناقوس الزجاجي" كتابٌ محبٍ، بمعزل عن معرفتي بأنها سيرة ذاتية، وبالنظر إلى ما حدث للمؤلفة.

"ماذا حدث للمؤلفة؟"، قال (مات).

لم أكن أظن أنه كان يستمع إلينا، لكن لديه غريزة التركيز على التفاصيل التي أفصّل أن أخفيها عليه.

لقد كانت واحدة من تلك اللحظات الأبوية التي كان عليّ أن أتخذ فيها قراراً سريعاً يبيّن مدى صدقي.

"لماذا؟"

"حسناً". أخذت نفساً عميقاً. إنه أمرٌ مُعقّد، كما هو الحال -دائماً- عندما يقتل الناس أنفسهم. كانت مكتئبة. كان الجو بارداً جداً. لقد كان شتاءً طويلاً ومثلجاً، وكانت وحيدة مع طفلين صغيرين بعد أن تركها زوجها. وربما لم تكن تدري ما الذي كان يحدث لها. لا يعرف الناس دائماً أن الشتاء صعب على الأشخاص الميّالين إلى الاكتئاب. وكان كتابها قد صدر للتوّ. ممّا قد يُثير الاضطراب. كانت قد نزلت قبل يومين من وفاتها لتُري إحدى جاراتها مراجعة لكتابها.

أوماً (مات) برأسه وتمنيت أن يكون الأمر قد انتهى على هذا النحو. لم أكن أرغب بالكذب إلا أنني لم أكن أريده أن يسأل عن أطفالها.

"كانت متزوجة من تيد هيوز"، قالت أمي. "الشاعر".

”لقد كتب كثيرًا عن الطبيعة“، قلت، وقد ظهر على وجهي تعبيرًا ينمُّ على عدم الرضا لأنني لا أستمع كثيرًا بالكتابة عن الطبيعة، إلَّا إذا كان فيها الكثير من الناس. ”الثعالب“..

”أنا أحبُّ الثعالب“.

”إذن ربَّما ستحبُّ الكتاب. في الواقع، هناك قصيدة عن الثعالب أحبُّها لأنَّها تتعلَّق بالكتابة أيضًا“. بحثت في (غوغل) عن قصيدة ”ثعلب الفكر“، لكن (مات) كان قد فقدَ اهتمامه وذهب ليتجوَّل بعيدًا.

تمنَّيتُ أنِّي قد فعلت الصواب. هذا الأمر يسيِّب لي قلقًا مستمرًّا. كيف أكون صادقة دون أن أتوقَّع منه بأنَّ يحمل أكثر ممَّا ينبغي من أعباء الحياة على كتفيه النحيلتين.

عندما اعتدنا الحياة في فالموث، حاولت الابتعاد عن الأخبار ووسائل التواصل الاجتماعيِّ ورَكَّزت بدلًا من ذلك على قراءة كُتبي المُفضَّلة، علَّني أجد العزاء والسلوان بين الصفحات البالية. فأعدت قراءة ”سجَّلات كازاليت“، وتذكَّرت كيف، عندما قرأتها لأوَّل مرَّة في مكتبة هاتشاردز، كم أجادت هوارد الكتابة عن الأطفال. عندما أوضحت إيلين أنَّهم تأخَّروا لأنَّ نيفيل فقدَ حذاءه الرمليَّ، قال نيفيل: ”فقدت فردة واحدة فقط“، وهو بالضبط ما كان سيقوله (مات) في ذلك العُمر. ويرغب (مات) أيضًا بالاحتفاظ بقنديل البحر كحيوان أليف ويشعر بالاستياء والغضب إذا مات.

”السنوات المضيئة“ مزيَّجٌ مثاليٌّ يجمع ما بين الأمور الشخصيّة

والسياسيّة. تنتهي الرواية، لحسن الحظّ، في أواخر صيف عام 1938، حيث تشعر الشخصيات التي استعدّدت لاحتمال الحرب ببعض السفاهة. ويعلم القارئ أنّ هذا التفاؤل لم يكن في محله، لأنّهم سرعان ما يفرقون في الفوضى لسنوات.

في بعض الأحيان، عندما أعيد قراءة كتاب ما، أشعر أنّني مللت منه، وأنّ علاقتنا الطويلة والسعيدة قد انتهت. لم أصل إلى هذه النقطة مع سجلّات عائلة كزاليت. كلّما أعدت قراءتها اكتشف المزيد، وأنا متأكّدة من أنّه ما يزال غنيّ بالمفاجآت. يسألني أحد الأصدقاء كيف أجد الوقت لإعادة قراءة كلّ هذه الكتب وهو سؤال يحيرني. القراءة تُبقيني بكامل قواي العقلية. كتاب في اليوم يغنيك عن الطبيب، كما آمل.

هل يمكن لكتاب ما أن ينقذ حياتك؟ أم أنّ ذلك، على حدّ تعبير آندي ميلر، مجرّد "نوع من الشعارات المناسبة لوسائل الإعلام" أحبّ هذا الكتاب فعلاً وأنا مستعدّة للحديث عنه مقابل المال.

هناك بعض الكتب غيّرت حياتي لأنّها دفعتني إلى اتّخاذ القرار والشروع بتنفيذه. أرسلني جوليان بارنز إلى فرنسا، مع أنّ ذلك لم يكن خطؤه وحده. إذ يتحمّل فرانسواز ساجان وغوستاف فلوبيرت بعض المسؤولية أيضًا. لقد ألهمني كتاب "كيف تكوني امرأة" بقلم كايتلين موران لكتابة المُدوّنة ممّا أدّى إلى حصولي على أجر مقابل الكتابة عن الكتب، وهو أمر كنت أعتبره مستحيلًا ولم أصدّق بأنّه سيحدث إلّا قبل خمس دقائق من حدوثه حقيقة. لقد ساعدني هذا الكتاب على التعبير عن نفسي في أثناء كتابة

مذكّراتي، كما ساعدني كتاب "أنا وماغي" لداميان بار، و"الفتى ذو العمامة / القزعة" لساتنام سانغيرا. لقد جعلتني هذه الكتب أؤمن أنّه من الممكن لشخص مثلي أن يكتب كتابًا، وألا أكتفي بالقراءة وحسب.

لقد ابتعدتُ تمامًا عن وسائل التواصل الاجتماعيّ بسبب الصدمة المزدوجة التي تلقّيتها لكلّ من كتاب "إذن لقد تعرّضت للتشهير علنًا" لجون رونسون ورواية "أنت" لكارولين كيبنيس. فاستخدام جو وسائل التواصل الاجتماعيّ لمطاردة ضحاياه جعلني أدرك تمامًا ما كنتُ أكشفه عن نفسي عبر الإنترنت، وكتاب جون رونسون جعلني أكره مشاهدة الأعمال الغوغائية على تويتر، وأشعر بالرعب من أن يصبح التشهير العلنيّ قاب قوسين أو أدنى.

اعتدت في كثير من الأحيان على اتّخاذ القرارات المصيريّة لأنّ من شأنها أن تجعل القصة تمضي قدمًا، وهي ليست الطريقة المثلى للتصرّف، على الرغم من أنّ كتاب "لون السماء" جعلني أتخلّى ذات مرّة عن صديقة سيّء. أنا لست الوحيدة التي تأثرت حياتي الرومانسيّة بالكتب. كانت صديقتي على الشاطئ تقرأ رواية "البحث عن الحب".

إنّ القصص الخياليّة أشبه بوحشٍ غريب، لذا قد لا ينفعني أحيانًا التصرّف كما لو كنتُ شخصيّة في رواية تخضع للمُفارقة الدراميّة والعدالة الخياليّة. لأنّ الحياة ستكون متعبة بالنسبة لنا نحن أصحاب الخيال الخصب. إذا نسيث إحدى الشخصيّات في الرواية مفاتيحها واضطرتّ للعودة فمن المؤكّد أنّ هناك اكتشافًا رهيبًا ينتظرها. أمّا في الحياة

الواقعية، فلن يحدث شيء بالتأكيد، لكنني أجد الأمر مقلقاً للغاية لأنني لا أستطيع منع نفسي من التكهن بالتطورات المحتملة التي قد تحدث في الحبكة. كذلك لا أستطيع الركض ليلاً أو في الغابة لأنني أعرف ما يحدث للنساء عندما يفعلن ذلك في الروايات. عندما كان (مات) صغيراً وكنت بعيدة عنه، شعرت بضيق شديد لم أشعر به من قبل، وأعترف بأنني وجدت صعوبة في أن أكون أمّاً لأنني شعرت بأنّي أجرب القدر وأطلب منه -بعبارات روائية- أن يسقط من إطار التسلق أو يتعرض للاختطاف.

أمّا الخطر الآخر للقصص الخيالية فهو أننا نرفع سقف توقعاتنا للغاية ونعتقد أننا نستحق السيد دارسي، على الرغم من أنّ السيد دارسي لن يكون مثل السيد دارسي بمجرد أن يرزق هو وإليزابيث بطفلين ويتوجب عليهما رعايتهما.

يمكن لمذكرات الكتاب ورسائلهم أن تقدّم صورةً أصدق من الروايات. ابتكرت إل إم مونتغمري قارب أحلام لجيلبرت بليث، لكن مذكراتها تظهر كيف كانت حياتها صعبة باستمرار لأنّ زوجها لم يكن يحبُّ أن تحظى بالثناء والإعجاب. عندما أقرأ أو أسمع عن أزواج الكاتبات، يزداد امتناني لزوجي. على عكس زوج إل إم مونتغمري، فإنّ إيروين سعيد لأنّ حياتنا في معظمها تتمحور حولي، وعلى عكس تيد هيويز، فهو لا يذهب إلى لندن لإقامة علاقات مع نساء أخريات. لم يتركني وحدي في البرد القارس مع أطفال صغار لأعتني بهم. لذلك، على الرغم من أنّ القصص الرومانسية قد

تجعلنا نتوقّع أشياء غير واقعيّة، إلّا أنّ القراءة عن أزواج الكاتبات الأخريات
يمكن أن تساعدنا في تصحيح أفكارنا.

لقد أنقذت القراءة حياتي مرارًا وتكرارًا، ووقفت بجانبني في كلّ الأوقات
الصعبة. الآن، إذا بدأتُ أضعف، أعلم أنّني بحاجة إلى التوقّف عن مشاهدة
الأخبار، وإلغاء تنشيط وسائل التواصل الاجتماعيّ، ومنع نفسي من وسائل
التكنولوجيا وإبعاد جميع الأجهزة عن غرفة نومي، وأيّ احتاج إلى
الاستحمام أو الذهاب إلى السرير ورفقتي كتاب.

من الجيّد أحيانًا أن نتجنّب مشاعر الضيق بدفن أنفسنا في القراءة.
إذا اسودّت بنا الأيام واجتاحنا الحزن فقد نلجأ طوال ليالٍ للقيام بما هو
أسوأ من القراءة.

ساعدتني القراءة، فهي رعاية ذاتية مريحة للعقل.

عندما أقرأ، يتباطأ تنفّسي وأهدأ، وأصبح مهتمّة وفضوليّة. عندما
خضعت لعلاج الـ EMDR "إزالة الحساسيّة وإعادة المُعالجة من خلال
حركات العين"، أدركت أنّ القراءة مهدّئة ببساطة لأنّها نشاط يتعلّق
بالعينين معًا. إذ تتحرّك العينان بشكلٍ إيقاعيّ عبر الصفحة وتعود مرّة
أخرى. وربّما لهذا السبب أجدها مريحة للغاية ولا يهمني حقًا ما أقرؤه،
طالما أنّه يجعلني أرغب في تحريك عينيّ من اليسار إلى اليمين.

والأهمّ من ذلك كلّّه، أجد عزائيّ في القراءة لأنّها تذكّرني أيّ لستُ
وحدي، وأنّ كلّ ما أشعر به قد شعر به شخص ما من قبل، وأنّ كلّ ما
أعاني منه قد حيّر الآخرين منذ الأزل. كتبي المُفضّلة شاملة فهي تنير

حياتي مثلما تريني حياة الآخرين فقد جعلتني أُنغَيَّر ووسَّعت نظرتي للعالم. عندما أَقْلِب الصفحة الأخيرة، أعود مجدَّدًا إلى العالم الحقيقي وأنا أدرك بأنني لست سوى بقعة صغيرة فيه، قطعة صغيرة في أحجية عملاقة. قد تبدو اهتماماتي حديثة ومحدَّدة بالنسبة لي، لكنَّها في الحقيقة قديمة قِدم الزمن نفسه.

كيف أحبُّ الناس وأنا أعلم أنَّ أَلَم موتهم قد يقتلني؟ كيف أعيش بخير في عالم ظالم؟ كيف أهتمُّ بإخواني البشر دون أنْ ينتهي بي المطاف بغصَّة بسبب تعاطفي معهم؟ كيف أوازن بين رغبتني في الإثارة وحاجتي إلى العُزلة؟

تُعَدُّ القراءةُ في كثيرٍ من الأحيان نشاطًا انطوائيًا، لكنني أعتقد أنَّها ضروريَّة للمُنفتحين مثلي. إنَّها طريقة لتكون وحيدًا، ولكن دون أنْ تشعر بالوحدة أبدًا.

نحن مفطورون على التواصل مع البشر الآخرين والبحث عن الحبِّ، ممَّا يجعلنا معرَّضين للألم. الطريقة الوحيدة كي لا تعاني هي ألاَّ تحبُّ، وهذه معاناةٌ في حدِّ ذاتها.

قصص واقعية مفيدة

تُعَدُّ القصصُ الخياليَّةُ حليفةً وصديقةً لنا، لكنَّها لا تعكس بالضرورة خطَّة سلوكنا. قد تكون الكتبُ الواقعيَّةُ مفيدةً في الإطِّلاع على تقلُّبات الحياة بحلوها ومِرِّها، وقد أحببتها أكثر مع تقدُّم الوقت، أو ربَّما تظهر ببساطة كُنْبًا أفضل نتيجة الانفجار -لأنَّه لا يوجد مصطلح أفضل- في كتب المُساعدة الذاتِيَّة الواعيَّة. فيما يلي قائمة بالكتب المُفيدة التي أعود إليها مرارًا وتكرارًا لتساعدني في مواجهة تحديَّات الحياة. كلُّ شيء ذو أهميَّة.

”المتعة غير المُتوقَّعة في التعافي“ بقلم: كاثرين جراي

قرأت هذا الكتاب وتمنَّيت لو كنتُ قد قرأته من قبل. بعض المقاطع يتردَّد صداها عميقًا في رأسي لدرجة أشعر معها أنَّ المؤلِّفة قد سرقت مذكَراتي. إنَّه كتاب نافع ومفيد ولطيف ومضحك، وأنصح به بشدَّة لأيِّ شخصٍ غير راضٍ عن نفسه. ولكن ثَمَّة مستقبل مشرق هناك، مليء بالفرح غير المُتوقَّع.

”كيف تقطع علاقتك بهاتفك“ بقلم: كاثرين برايس

لقد تأخَّرتُ في تبني التكنولوجيا وصدَّمت عندما وجدت نفسي مدمنةً على هاتفي، لدرجة جعلتني أتجاهل عائلتي وأُضِرُّ بصحتي. كنت بالفعل أقوم بالكثير ممَّا تقترحه المؤلِّفة في هذا الكتاب المُمتع، ولكن من الجيِّد

رؤية المعلومات منظّمة للغاية، وكذلك الحصول على ما كنت أبحث عنه مكتوبًا بوضوح وإتقان. كما أنّ أفضل ما في إعطاء التكنولوجيا دورها الصحيح -أي دور الخادم وليس السيّد- أنّها تحرّك لقراءة المزيد من الكتب. أقوم عادةً بإيقاف تشغيل هاتفي قرابة الساعة السادسة مساءً، ثمّ أكافئ عقلي بقراءة رواية طويلة جيّدة الصياغة، وأنا أحسن حالًا من قبل.

”الكتاب الذي تتمنّى لو قرأه أبواك“ بقلم: فيليبا بيرى

عندما نتعامل مع مشاعر الأطفال المُزعجة على أنّها مشاعر سلبية يجب تصحيحها، فإنّنا نعلّمهم أنّ الطريقة التي يشعرون بها خاطئة وغير مقبولة. إذا تمكّنّا من المحافظة على هدوئنا ورؤية الحزن والغضب والخوف على أنّها فرصة لمعرفة المزيد عن أطفالنا، فسنعمّق علاقتنا بهم، وريّما نزيد من قدرتهم على الشعور بالسعادة، لأنّ كبت العواطف سيُسيّب المُشكلات على المدى الطويل. كذلك التفاؤل مهمٌّ للغاية. أطفالنا بحاجة لرؤيتنا نتصرّف بثقة، ممّا يجعلهم يتعلّمون منّا. ويجب ألاّ نتجاهلهم بسبب هوانتنا! بغضّ النظر عمّا يحدث في العالم، فمهمّتنا الآن ليست أن نتسرّر أمام الشاشة لمُتابعة الأخبار، بل أن نبقى بصحبة أطفالنا في أثناء نموّهم.

”الحزن ينجح“ بقلم: جوليا صموئيل

جوليا صموئيل معالجة نفسية تصف الحزن بأنّه صراع بين ألم الخسارة وغريزة البقاء. لقد أعطيت هذا الكتاب إلى العديد من الأشخاص

الذين كتبوا لي أو الذين التقيت بهم في المناسبات، والذين تعجبوا، مثلي، من أنّ حزنهم لم يكن بوتيرة واحدة. علينا أن نسمح لأنفسنا باختبار مشاعر الحزن، ولكن يجب ألا نقوم بذلك بمفردنا. هذا الكتاب الجميل والمريح لا يتهرب أبدًا من وجود الألم في الحياة، لكنه يقدّم الأمل والنصائح العملية.

”الاختيار“ بقلم: إديث إيغر

كيف يمكنك البقاء على قيد الحياة عندما ترى أسوأ ما في الإنسانية؟ رقصت إديث إيغر أمام الضابط النازي جوزيف منجيل في معسكرات أوشفيتز، وكانت على بُعد لحظاتٍ من الموت عندما انتشلها جنديٌّ محرّر من كومةٍ من الجثث. وبعد سنوات، تصبح معالجة، وتتداخل قصص عملائها في الحديث عن الخسارة والحزن والصدمة والأمل. إنّها رفيقة كريمة وحكيمة وجيدة للغاية على الصفحة، وهي تؤمن بضرورة عدم وجود تراتبية في الألم البشري: لا أريدك أن تسمع قصّتي وتقول: ”إنّ معاناتي أقلّ أهميّة“، بل أريدك أن تسمع قصّتي وتقول: ”إذا استطاعت التغلّب على ذلك، فأنا أستطيع أيضًا!“.

”عندما اقتربت النهاية“ بقلم: كاثرين مانيكس

سيأتي الموت وليس هناك ما يدعو للخوف منه، بل هناك الكثير ممّا يجب الاستعداد له. تعمل مانيكس طبيبة في دار العجزة تكتب عن الموت ليس باعتباره إساءة ظالمة لا تحتل أو أمرًا مزعجًا يفسد البهجة والفرح، بل باعتباره حدثًا نهائيًا معتمدًا ولا مفرّ منه في حياتنا.

قد يتعلّم الناس العبر في آخر حياتهم عندما يستعيدون الذكريات بمزيج من الرضا والندم. ماذا يمكننا أن نفعل الآن لإعادة التوازن؟ إذا تمكّنت من العيش وأنا أفكّر بالنهاية فذلك سيساعدني على الحدّ من الاستغراق في الخوف والقلق، وعلى التفكير أكثر في احترام العالم وتقديره. وكما تقول مانيكس: "هناك يومان في الحياة فقط يحوي كلّ منهما أربعًا وعشرين ساعة، يبدوان كدقّتي كتاب يضمّ حياتنا: نحتفل بأحدهما كلّ عام، مع أن الآخر هو الذي يجعلنا نرى الحياة ثمينة".

كُتِبَ تَمَّتْ مَرَّاجَعَتُهَا

بالنظر إلى الماضي، هل يمكنني أن أجد نفسي؟ هل يمكنني التواصل مع الفتاة الصغيرة التي كنتها ذات يوم، رغم التطوّرات التي طرأت على شخصيّتي؟ أعتقد ذلك. ما زلت أفضّل الكتب على أيّ شيءٍ آخر وأفضّل الحصول على كتابٍ رمزيٍّ عن أيّ نوعٍ آخر من الهدايا.

ما زلت أتجاهل أصدقائي وأهمل عائلتي لمُتابعة القراءة، وما زال من الصعب عليّ جدًّا التوقّف عن قراءة شيءٍ ما عندما أكون على وشك إنهاء الكتاب. لا أدري كيف يتحمّل الناس مشاهدة المُسلسلات التلفزيونيّة؛ يُعَذِّبُني أن أضطرّ -ثلاث مرّات أسبوعيًّا- لترك المُسلسل في مرحلة مشوّقة لأنتظر الحلقة التالية.

ومن المعروف عنيّ أنّي لست صادقة تمامًا بشأن تلك الفترة المُتبقيّة لإنهاء الكتاب. لقد خططنا مؤخرًا لنزهة عائليّة وعندما صاح إيريون مناديًا إلى أعلى الدرج ليرى ما إذا كنت مستعدّة، قلت: "أنا على وشك أن أنهى كتابي. لم يبقَ سوى بضعة صفحات".

أسرع (مات) وصعد الدرج ليتأكّد من الدليل "هذا أكثر بكثير من بضعة صفحات يا أمّي".

لقد لاحظتُ أنّك غالبًا ما تكذّبين بشأن الصفحات المُتبقيّة لديك، لذا سندعك تنهين الكتاب.

”أنت ذكيٌّ وثاقب النظر للغاية“، قلت. ”وكَلِّمَا سمحت لي بمتابعة القراءة، أَسْرَعْتُ في الاستعداد“.

يظلُّ العثور على كتابٍ جديدٍ أحبُّهُ من أروع المُتَع في حياتي. آخر مرّةٍ سهرت فيها لوقتٍ متأخّر جدًّا كانت مع ”اعترافات فرانز لانغتون“ للكاتبة سارة كولينز. شعرتُ بذلك الوخز القديم المألوف في أصابعي وأنا أمُرُّها على المقصِّ الذهبيِّ المنقوش على الغلاف الأماميِّ. قلبتُ الصفحة الأخيرة في الساعة الثالثة صباحًا، ثمَّ استلقيت في الظلام، أفكّر كيف تتمنّع القصص الخياليّة بتلك القوّة الكبيرة لتسلّط الضوء على الظلم وتساعدنا على رؤية العالم من خلال عيون الآخرين. العديد من أفضل الروايات التي قرأتها في السنوات القليلة الماضية كانت عن العبوديّة، مثل هذه الروايات - ”العودة إلى الوطن“ بقلم يا جياسي، و”السكك الحديديّة السريّة“ بقلم كولسون وايتهد، و”واشنطن بلاك“ بقلم إيسبي إدوغيان- التي يستعين كُتّابها بقوّة القصة للبحث عن الحقائق الأساسيّة الماضية التي لا تزال وثيقة الصلة بالحاضر وإمالة اللثام عنها.

تعلّمنا الكتب أنْ نثق فيما يقوله الآخرون حتّى حين تسلّط الضوء على وحشيّة الإنسان. أنا أميل إلى تصديق الناس في الحياة، لأنّ القصص المُستبعدة في الروايات تتّضح صحّتها على الدوام، ولا أريد أبدًا أنْ يشعر أحد مثلما شعرت لوسي عندما عادت من نارنيا، أو مثلما فعلت فرانز عندما حكم عليها الناس، الذين لا يمكنهم أن يتخيّلوا كيف كانت حياتها، وأسأؤوا معاملتها.

قبل مدّة قصيرة، لم أتمكّن من العثور على جهازّي اللوحي، وظنّ الجانب المتشائم منّي أنّ (مات) قد فعل به شيئاً أو ربّما كسره وهو خائف من إخباري. قال إنّه لم يفعل به شيئاً، لذلك صدّقْتُ كلامه وظلّ الجهاز مختفياً لعدّة أيّام حتّى وجدته واقفاً خلف الطاولة المجاورة لسريري. اعترفت لـ (مات) بأنّني كنت أشكّ فيه، "أنا آسفة"، قلت له. "أخطأت بحقّك. هل تصافحني؟".

هل أنا ساذجة أكثر ممّا ينبغي؟ لقد قيل لي إنّني كذلك عدّة مرّات.

إذا كنتُ كذلك، مثل كاسانديرا في "استوليْتُ على القلعة"، فتلك ساذجة واعية. أُفضّل أن أُخطئ بين الحين والآخر بدلاً من المُضيّ قدماً في الحياة متوقّعة الأسوأ. لقد علّمني المقهى القدرة على الملاحظة؛ فأصبحت نافذة البصيرة في الحكم على الشخصيّات وليس من السهل خداعي. إنّ أهمّ شيء في الحياة، كما كان الحال خلف المشرب وفي كلّ متجر، هو ألاّ تسمح لأقلّيّة مزعجة تعبّر عن رأيها أن تجعلك تشعر بالنفور من المسعى برمته. وما زلت أعتقد أنّ معظم الناس طيّبون بطبيعتهم، ممّا يستحقّ بذل الجهد لمحاولة اكتشاف ذلك. علينا أن نجد طريقة للتفأول بالمستقبل. أعلم أنّه من الضروريّ بالنسبة لي أن أحافظ على إيماني بالإنسانيّة، وأنّه إذا كان التعرّض المُفرط للحياة الواقعيّة -أو الحياة كما تقسمها القنوات الإخباريّة- يشكّل تحدّيّاً لقدرتي على القيام بذلك، إذن فأنا بحاجة إلى الاختباء بين الكتب حتّى أشعر أنّني أفضل حالاً.

ما زلت أتوقّ دوماً إلى معرفة ما يقرؤه الناس في القطارات والحافلات،

وتراني أمدُ رأسي محاولةً رؤيةً أغلفة كتبهم، وأنا متحمّسة لإمكانية البدء بالحوار. من أروع الأمور التي تبعث على السعادة عند الذهاب إلى المهرجانات الأدبية أن تكون محاطًا بعشّاق آخرين للكتب، وأن تراهم في كلّ مكان، في المقاهي وغرف الطعام بالفندق. تلك الأوقات التي أمضيها في الحديث مع الغرباء عن الكتب تجعلني في غاية السعادة.

وما زلت أحبُّ إعادة قراءة الكتب. أجد متعةً استثنائيةً في قلب صفحات كتاب قد قرأته مرّاتٍ عديدة من قبل. ذلك شطر عظيم من السحر يكمن في الكتب؛ التي كلّما تعمّقنا فيها كشفت لنا المزيد من جوانبها.

إنّها معجزة أن تنجب طفلًا ويكبر ليصبح فتىً حقيقيًا. ولعلّ أفضل إعادة قراءة تلك التي أقوم بها مع (مات). لقد قرأنا وناقشنا هاري بوتر لسنوات. وقد ذهب مؤخرًا، مع إيروين في رحلة للفتيان إلى هولندا وعادا إلى الوطن عن طريق مهرجان المجلّات الهزليّة، عندما ذهبنا لاصطحابهما من القطار، رأيت (مات) يرتدي قبعة خضراء.

قال بخجل: "أنا سليذرين. أعلم أنّك تعتقدين أنّني جريفندور لكنني لست كذلك".

قلت له "يجب أن تكون كما أنت يا عزيزي".

من التحدّيات التي واجهتها كأُمّ التغلّب على خوفاي من حدوث شيء سيّئ لـ (مات). ولطالما ساعدني الحديث عن هاري وأميّ في التعبير عن

حيّ لـ (مات): سأقول بأنّ قلبيّنا يجمعهما خيطٌ ذهبيٌّ لن ينقطع حتّى الموت. في عيد ميلاده الأخير، أهداه صديقه مجموعة ليغو هاري بوتر تُظهر المشهد من "سجين أзкаبان"، حيث ينقذ هاري الديمنطورز باستحضار باترونوس على شكل حيوان الأيل. "يمكنك أن تأخذي هذا لوضعه على مكتبك يا أمّي"، قال (مات) وهو يعطيني نموذج الأيل. لم يجد (مات) القراءة سهلة، ولكنّه يحبُّ القصص. وقد كنتُ أقرأ له؛ فنحن نقرأ نصف ساعة كلّ صباح قبل الذهاب إلى المدرسة وكلّ ليلة قبل النوم، وقد انتهينا للتوّ من قراءة أدريان مول، التي كنت أفرض عليها رقابتي قليلاً.

لم أعد أسابق الزمن لقراءة الكتب. لقد أصبحت أبطأ. خلال أيّام عملي في بيع الكتب، كنتُ أعرف دائماً ترتيب كلّ سلسلة وكلّ مؤلّف، لكن ذاكرتي الآن تخونني. لقد خذلني عقلي في أشهر حملي ولم يعد كما كان أبداً، والآن، عندما أطلب منه أن يعطيني تفاصيل تتعلّق بالفهرسة، أشعر كما لو أنّني أفتح درجاً في خزانة الملقّات لأجده فارغاً.

أحاول ألاّ أكتثر كثيراً، وأعزّي نفسي بالنظريّة القائلة إنّ الحكمة تحلّ محلّ الذاكرة مع التقدّم في السنّ. قضيت عشرة أيّام في إعادة قراءة رواية "أنا كارنينا"، وتدوين أفكار. فيما بعد عندما نسيت دفتر ملاحظاتي في القطار، كان أقلّ ما أدركته أنّني إذا أردت أن أعرف ما هي تلك الأفكار، فسوف يتعيّن عليّ قراءة الرواية مرّة أخرى. كلّ ما كان يجول في خاطري هو الشعور بأنّني أشبه ليفين أكثر من أنا، والمفاجأة المُتعبة أنّ أنا تغلق كثيراً على فرونسكي.

من المؤسف أنني ما زلت أميل إلى القسوة على نفسي، والقلق من أنني لست جيّدة بما فيه الكفاية، ومقارنة نفسي بمن حولي والشعور بعدم الكفاءة. لماذا علينا أن نُضطرَّ إلى فعل ذلك، نحن البشر المساكين؟ لماذا من السهل علينا جدًّا أن نغرق في وحل المُقارنة واليأس؟ أعتقد أحيانًا أنني قضيت حياتي كلّها قلقًا بأنني إمّا ذكيّة جدًّا أو لست ذكيّة بما فيه الكفاية. تمرُّ عليّ مواقف أعتقد أنني سأعاقب فيها على استخدامي الكثير من الكلمات الطويلة، أو سأتعرّض للسخرية لأنني قد أخطأت في لفظ كلمةٍ ما أو قد أكشف عن الفجوات الشاسعة في معرفتي. حتّى مع القراءة، من السهل جدًّا أن أصاب بالذعر وأقرّر بأنني لم أقرأ كلّ شيء ما يعني أنّه ليس لديّ الحقُّ في أن أحبّ الكتب. أعلم أنني مخطئة، وينفطر قلبي عندما أرى الآخرين يفعلون ذلك، لكنني أقعُ بذلك الخطأ. لا تفعل ذلك يا عزيزي القارئ. لا تسمح لأيّ شيء أن يؤثّر على متعة القراءة لديك. لا تدع أحدًا يخبرك أنّ ما تحبّه ليس مناسبًا، وأنّ ما تأنس له نفسك وتجد فيه الراحة والسكينة ليس جيّدًا بما فيه الكفاية.

ما زلت أشعرُ أنني بائعة كتب بحكم الميل والعادة. كنت مؤخرًا في مكتبة ناشيونال تراست الرائعة لبيع الكتب في ترليسيك غاردن، حيث كانت السيّدتان اللتان تعملان هناك في حيرة من أمرهما بشأن ترتيب كتب "ذي هانغر غيمز".

"ربّما أستطيع المساعدة"، قلت "سبق وقرأتها". لقد تمكّنت من ترتيبها، فأخبرتني السيّدة أنّها كانت أمينة مكتبة وتستمتع الآن بالعمل التطوّعيّ في متجر بيع الكتب يوميّين في الأسبوع، وأنّ صديقها طلب منها البحث عن أجزاء كتاب "ذي هانغر غيمز" لابنته. أخبرتها كم أحببت العمل في

المتجر ولطالما استفدت من عملي لاختيار كتب بديلة لتلك التي كنت امتلكتها، ولكنني فقدت بعضها وتخلّيت عن البعض الآخر. كانت مناقشة قصيرة وممتعة، وذكّرتني بكلّ ما أعرفه عن المكتبات وأحبّه فيها. ورغم أنّني كنت الزبونة، ذكّرتني عمليّة ترتيب الكتب لها بأحد أكثر الأشياء التي أحببتها في بيع الكتب وهو شعوري بكوني مفيدة.

في أثناء قيادتي في طريق العودة إلى المنزل، تأملت في الهويّة التي يحملها كلّ منّا، والطريقة التي نصف بها أنفسنا، وما يمكننا وما لا يمكننا اختياره. لقد كنت أختًا ومدخنةً، ولم يعد لديّ أيّ من تلك الصفات. والآن أصبحت أمًّا وكاتبةً ومعلّمةً ومرشدة. وسأبقى دومًا قارئةً.

كنتُ في صباح أيّام الأحاد أستيقظ باكراً - أحيانًا في العتمة - وأسرع إلى قارب والداي لتناول الإفطار. وأمرّ في طريقي عبر الجزء العلويّ من المقبرة، حيث دُفنت جدّتي، وحيث وضعنا لوحة تذكاريّة لنذكّر (ماتي) بعد نثر رماده في البحر. فالوَح لهما وأنا أسرع باتجاه شاطئ سوانبول، حيث اعتاد المُهرّبون إدخال البراندي، ما يجعلني أفكّر دومًا في "نزل جامايكا"، ثمّ ألتفّ حول الجرف، حيث أرى البحر على يميني وقلعة بيندينيس أمامي.

كان أبي يحصّر دائمًا ثمار الجريب فروت من أجلي. لأنني لم أكن أطيق الانتظار لتحضيره، لذلك لا أشتريها أبدًا بنفسِي.

كان أبي شخصًا دقيقًا ومنظّمًا، ودائمًا يفصل الأجزاء بسكّينه المنحني الخاص، فأتناولها وأنا أعلم أنّها دليل على حبّه لي، وأنّه يتجشّم عناء ذلك

من أجلي. ولطالما جعلني ذلك أفكر في ستيوارت في رواية "الحديث عنه أكثر" الذي كان يزيل بذور ثمرة الجريب فروت لجيليان، وانزعج لأنها لم تلاحظ ذلك، واعتقد أنها تركته من أجل صديقه أوليفر، وأنه من المستحيل أن يكون أوليفر قادرًا على الإخلاص لها إلى هذا الحد. وفي الفصل الأخير من "تاريخ العالم في 10 فصول ونصف"، عندما يستيقظ الراوي في الجنة، فإن أول ما يأكله ثمرة جريب فروت مثالية.

كان (مات) يحضر معي أحيانًا. وقد أدركت مؤخرًا أن مجرد تفكيري بأنه من الرائع أن يكون أحد والديك كاتبًا وأن يزوره أصدقاؤه الكتاب في المنزل، فهذا ليس بالضرورة ما كان يشعر به (مات). فهو ببساطة، لا يحب أي شيء يبعدني، سواء كان ذلك البعد بالمعنى الحرفي أو المجازي. عندما كان أصغر سنًا، كان يقترب مني عندما أفكر ويطلق على جبهتي: "هل أنت هنا ماما؟ أين أنت؟"، وعندما قرأت مؤخرًا صفحات الشكر والتقدير في أحدث رواية لـ (روبرت غالبريث)، رأيت أن المؤلفة تشكر أطفالها وتقول إن كونكم أبناء كاتبة فذلك ليس بالأمر اليسير. في تلك الليلة سألت (مات) عن ذلك: "هل تعتقد أن ذلك صحيح؟ لماذا".

"نعم"، قال. "لأننا نعتقد دائمًا أنكم تحبون كتبكم أكثر منّا".

"أنا لا أحب شيئًا أكثر منك"، قلت. فابتسم لي ابتسامة صغيرة، كما لو أنه لم يصدّقني تمامًا.

"أتعلم، أنا أحبُّك أكثر من أي كتاب"، قلت.

"حقًا؟"

”نعم، بالتأكيد“

”إذن أنت تحيِّيني كثيرًا“، قال. ”لأنَّك تحيِّين الكتب حقًّا“.

”أعلم ذلك“، قلت. ”تخيَّل أنَّك الصبيُّ الذي أحبه أكثر من كلِّ الكتب التي قرأتها في حياتي. إنَّه حبُّ كبير“.

”أعتقد أنَّ هناك نظريَّة“ تقول السيِّدة دي وينتر، وهي تسترجع كلَّ ما حدث في مandlerي، ”مفادها أنَّ الرجال والنساء يخرجون من المُعاناة أفضل وأقوى وأنَّنا كي نتقدَّم في هذا العالم أو في أيِّ عالم آخر، علينا أن نتحمَّل التعذيب بالنار“. وتردِّف قائلة إنَّه عاجلاً أم آجلاً ستكون هناك لحظة اختبارٍ في حياة كلِّ شخص، وأنَّها بعد أن مرَّت بأزمتهَا، سئمت من الميلودراما. يبتابني الشعور ذاته. أخشى ممَّا يحدث حولي في العالم لكنِّي أحاول الاستمتاع بالإيقاعات اللطيفة للحياة اليومية، وآمل أن تتركني آلهة القصَّة وشأني لبعض الوقت.

أتذكَّر عندما كنت فتاة صغيرة، أعيش في سنيث، كنت أتوق لحدوث أمرٍ ما لي. الآن، أتمنَّى ألا يحدث شيء. بل أودُّ القيام بأعمال خفيفة، على أمل زرع المزيد من الخير ليطغى على الشرِّ في هذا العالم وإيجاد طرق تمكِّيني أن أكون ذات نفع، وفيما عدا ذلك تربية طفلي، وزراعة حديقتي، والاستمتاع بصحبة عائلتي وأصدقائي والعديد من المُجلِّدات الرائعة الرثَّة على رفوف مكتبتي، التي -بالمناسبة- لا تزال غير مرتَّبة. لا أستطيع تحديد طريقة مُرضية لترتيب الرفوف، كما أنَّ حلولي بعدم السماح لأكوام الكتب المُتأرجحة بالخروج عن السيطرة لن تدوم طويلاً.

كُلُّ كتابٍ يحمل ذكرى. عندما تحمل كتابًا في يدك، لن تصل إلى محتويات ذلك الكتاب فحسب، بل إلى أجزاء من شخصيتك السابقة التي كنت عليها عندما قرأته. حين أنظر إلى المستقبل -أنتزع نفسي من الماضي للحظة وأتطلع إلى المستقبل- أعلم أنني سأستمر في قراءة الكتب وسأجد راحة كبيرة ومتعة بين الصفحات. وربّما، عندما يتقدّم بي العمر أو ينهكني المرض، ويصبح الخطّ صغيرًا جدًّا، سأستمع إليها بدلًا من ذلك. ربّما الصوت الذي سأسمعه وأنا أحتضر صوت مايا أنجيلو وهي تقرأ كتاب "أعرف لماذا يغرد الطائر الحبيس"، أو ربّما يقرأ لي (مات) أو حتّى أحد أبنائه، وهي ليست وسيلة سيّئة للرحيل.

حتّى ذلك الحين، يمكنني أن أستمرّ في البحث في الخزانات وأعلم أنّه بغضّ النظر عمّا سيحدث لي، طالما أنّ هناك نفسًا يدخل ويخرج من جسدي، سأذكّر متعة الاستلقاء تحت شجرة ومعّي كتاب في حديقة والديّ، نعمة القراءة لابني، وللعديد من الغرباء الذين التقيت بهم على مرّ السنين في متاجر بيع الكتب والمكتبات والمهرجانات والسجون وعلى متن الطائرات والقطارات، وأنّ لحظات التواصل الإنسانيّ تلك قد حدثت على الجسر الذي بنته الكتب بيني وبين العالم الذي أعيش فيه. نحن جميعًا في الحضيض، لكن الكتب تسمح لنا برؤية النجوم. وأنا على يقين أنّه مهما حدث في حياتي، سأظلّ أحبّ التحدّث مع الغرباء عن الكتب. في يوم من الأيام كانت هناك فتاة صغيرة تحبّ الكتب، وهي لاتزال تحبّها. وستظلّ دومًا تحبّها.

”لا توجد نهايات. إذا كنتم تعتقدون ذلك، فأنتم مخدوعون بطبيعتها. كلُّها بدايات. وهذه إحداها“.

هيلاري مانتل، ”أخرجوا الجثث“



شكر وتقدير

استغرقتُ وقتًا طويلًا في كتابة هذا الكتاب لأتبي كلِّما ساء مزاجي أصابني الشكُّ في فرضيتي الخاصَّة -وهي أنَّ الحياة تستحقُّ أن نعيشها، وأنَّ القراءة مناصرة لها-، وأكافح لمُتابعة ما بدأته. أدركت في نهاية المطاف أنَّ تقلُّبات الحياة تلك بحلوها ومزجها كانت تؤكِّد فرضيتي حين كنت أتبع النمط نفسه من الشعور بالإحباط، والانعزال لمُزاولة نشاطاتي القديمة التي أفصِّلها إلى أنَّ أشعر بالتحسُّن لدرجة أعاود فيها الانخراط بالحياة. أخيرًا اكتشفت أنَّ هذا المشروع، وربَّما كلُّ مساعيِّ التي قمت بها، يمكن إيجازها بالتالي: "الحياة تؤلم والكتب تداوي".

أمَّا الفائدة التي جنيتها من استغراق مشروعِي وقتًا طويلًا فهي أنَّني حصلت على ثلاثة محرِّرين رائعين، وأنا ممتنة للغاية لفرانثيسكا ماين وكيش وبيدياراتنا وجيليان فيتزجيرالد كيلي. وكذلك أتقدِّم بخالص شكري لوكيل أعمالِي وصديقي جو أونوين ولميلي رايلي ودونا جريفز في وكالة جو أونوين الأدبيَّة "جولا". إنَّه لشرف عظيم أن أكون في رعاية مثل هؤلاء النساء الرائعات.

وأودُّ أن أشكر جميع الكُتَّاب الذين أجريت معهم محادثاتٍ مثيرة خلف الكواليس حول هذا الكتاب، لكن يبدو الأمر كأنَّه تمرين على ذكر الأسماء، لذا سأقتصر على القول "أنتم تعرفون من أنتم". أوَّجِّه الشكر الجزيل لباعة الكتب وأمناء المكتبات ولمنظِّمي المهرجانات لكونهم شريان الحياة الذي يصل بين المؤلِّفين والقُرَّاء.

تحية شكر خاصة إلى أبناء مدينتي من متحدثي اللهجة الكورنوشية:
في مكتبة (فالماوث)، ومتجر بيع الكتب في فالماوث، و(ووترستونز) في
ترورو.

شكرًا للجميع في مؤسسة أرفون الخيرية، ومدرسة "كور تيس براون
كرياتيف" للتدريب، وجامعة فالماوث، ومنظمة "كويسترل ترست"
الخيرية، وحملة "سبريد ذا ورد"، و"كلين بروز"، والمركز الوطني للكتابة
على إعطائي فرصًا لرعاية الكتاب. وتحية ملؤها الفرح إلى جميع طلابي
والمُتدربين: أنتم تملؤون قلبي بالبهجة.

في المراحل الأخيرة من كتابة هذا الكتاب، استمتعتُ بتقديم
بودكاست "بوكسيلر". شكرًا لنايجل روبي وفيليب جونز وتوم تيفنان
وألينس أوكيف وكارولين ساندرسون وكريس طومسون لجعل الأمر ممتعًا
للغاية، ولجميع مؤلفينا، وخاصة برناردين إيفارستو التي رغم انشغالها
خصّصت لنا الوقت في أعقاب الفوز بجائزة البوكر. (بالمناسبة
أصبحت ثاني مؤلفة تفوز بجائزة بوكر في "كويك ريدز" وأول من
يفوز بها بتلك الطريقة).

أنا مدينة لكل أنواع الدعم الذي قدّمته لي كل من أليسون بيلشو وروبرت
بويس وكير دي بورسك وسارة كولينز وإستير كونور وجو داوسون وكيت
ديمبلي وجانين جيوفاني، وسالي هيوز وميا كاوادا وصوفي كيركهام وفيونا
لوكهارت وكريستال ماهي مورغان وويل مينموير وسانجا أوكلي وجوليا
صموئيل ونينا ستيبي وكيت دي وال.

أودُّ أن أشكر جون وليزي ووترهاوس لمنحهما لي مكانًا شعرت فيه بالراحة وكأني في بيتي، وأشكر أليس وآني لأنَّهما جعلاني على الدوام أشعر بأني موضع ترحاب.

كما أُنَّني في غاية الامتنان لإسلا موريسون على صداقتنا التي ستدوم مدى الحياة. عندما أرسلتُ لها بعضًا ممَّا كتبت عنها، أبكاني ردُّها الرائع: "أعتقد أنَّك الفتاة الأوفر حظًا في العالم مع كمِّ الحبِّ اللا مشروط الذي أحاطك به العزيزان ميغ وكيف في بيتك، ذلك المكان الذي كنت تجدين فيه أننا جدَّابتان وذكيَّتان.

لا أظنُّ أنني كنت أبالي باختفائك بين الكتب في عطلة نهاية الأسبوع كما اعتقدت، لأني كنت أسعد جدًّا بقضاء الوقت مع والديك وماتي! فالمكوث في بيتك عصر يوم الأحد لمشاهدة "بولزي" وأمانا صينيَّة شاي وطبق مليء ببسكويت واغن ويلز وتانوك تي كيك، كان أروع ما في أسبوعي! أن أكون جزءًا من العائلة (حتَّى ولو لبضعة أيَّام كلَّ حين) كان بالنسبة لي حبل النجاة لأعيش حياة طبيعيَّة في ذلك الوقت، ولم أستهن أبدًا بطول أمد صداقتنا ولا بتأثيرها الإيجابي. لا أذكر سوى تلك اللحظات السعيدة المليئة بالحبِّ والضحك التي أمضيتها معكم.

أخيرًا، فيما يخضُّ عائلتي. أشكر والدائي، كيفن وميغي، على مواصلة اعتنائهما بي وإدخال البهجة والمرح وهما يعتنيان بحديقة المنزل. وأتمنَّى أن يستمرَّ ذلك طويلًا. إنَّني ممتنة لـ (آدا رينتزنبيرنك وباول وماريون بوير) على مساعدتهم وصحبتهن. أشكر زوجي، إيروين، لأنَّه شخصٌ طيِّب

ولطيف، ولأنَّه تعلَّم ضبط نفسه كيلا يناقش معي قضايا اليوم حتَّى أنهى فترة عملي اليوميَّة في الكتابة. أشكر ابني، (مات)، على الحوارات الرائعة الكثيرة التي أجريناها معًا عن الكتب والقصص، وعلى كونه المصدر الدائم لدعمي وسروري.

يقول (مات) إنَّه من غير المُنصف ألاَّ أذكر حيواناتنا الأليفة، لذا سأختم بذكر أرابيلا القطَّة وريبيتشيب السحلية. وأشكر كذلك، بما أُتي أذكر الحيوانات، رينبو وبيغي وفودج لكرمهم على السماح لي بقضاء الوقت مع مالكيهم.

كلُّ الحبِّ لكم كذلك. إنَّ كتابة أيِّ شيء تبدو بالنسبة لي بمثابة مناورة افتتاحيَّة - بداية للحوار - وأشعر بالسعادة، بل وبالشرف عندما أُرَدُّ على أيِّ أحدٍ يرغب بالتواصل معي. كُتبي تشبه البالونات غير المنفوخة تنتظر القارئ أن ينفخ الحياة فيها. أشكركم لسماحكم لي بالتحليق في مُخيَّلاتكم، وأتمنّى لكم جميعًا قراءةً ممتعةً.

قد تكون الكتابة عملًا فرديًّا، لكن ما يشدُّ عزيمتي ويشجِّعني على الدوام هو فكرة التواصل مع ناشر كُتبي الرائع، ومع الكثير من الأشخاص الموهوبين والرائعين الذين يعملون بجِدِّ لإطلاق الكتب إلى العالم. إنَّني مسرورة لتمكُّني من ذكر أسمائهم وأدوارهم جميعًا.

الفهرس

الرقم	الموضوع
3	تقديم "كتاب متعة القراءة"
9	عزيزي القارئ
13	الحلم بنارنيا
25	كُتب الأطفال التي أحبُّ إعادة قراءتها
29	فتياتٌ في الكتب
37	الأيتام في الكتب
41	مذكّراتي العزيزة
47	مذكّراتٌ إبداعيةٌ خياليةٌ
51	قسم الراشدين في المكتبة
61	العزاء الدائم في الجريمة
65	مرحباً أيها الحزن
73	كُتب المقاهي
77	ما بعد
89	آه يا أخي، أين أنت؟
93	قوة السحر
99	سلاسلُ الكتب
103	الفتاة التي تقرأ
127	"كتبٌ عن المكتبات وبائعي الكتب"

131	دخول بطل غير متوقع
147	حب سيئ
151	الاثنين الأسود
163	“الأثرياء يتصرّفون بشكل سيئ”
167	أيها القارئ، لقد تزوجته!
177	الأمهات وأطفالهن
181	الأمّ العاملة
191	كُتِبَ عن القراءة
195	من القارئ إلى الكاتب
209	السير الذاتية
213	تشارلي المُبتَهج
221	كُتِبَ عن الأدباء
225	العودة إلى كورنوال
237	قصص واقعية مفيدة
241	كُتِبَ تَمَّت مراجعتها
253	شكر وتقدير